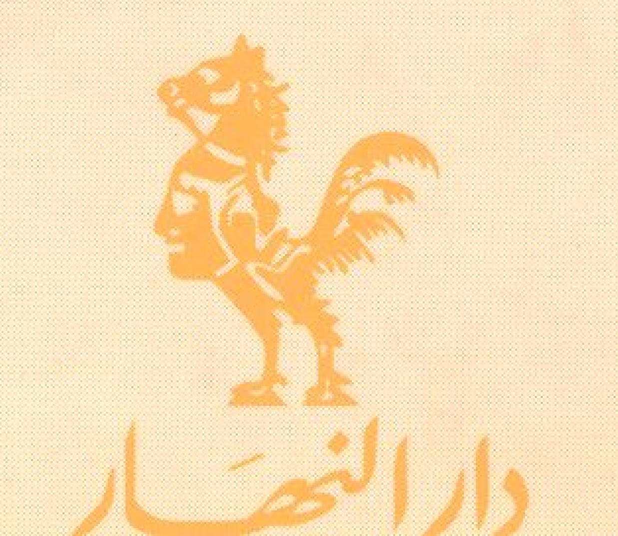
ميشال الحايك

المسيح في الإسلام



دار النهار

«دار النهار للنشر» تشكر «دار المشرق»

للسماح لها بتصوير الطبعة الثانية من الكتاب (١٩٦١)

الطبعة الرابعة، المطابقة للطبعة الثانية المنقحة والمكملة
(١٩٦١) لكتاب «المسيح إمام المسلمين»، بيروت (١٩٦٠)
تموز ـ ٢٠٠٤
ص ب ٢٢٦ـ١١، بيروت لبنان
فاكس: ٥٦١٦٩٣ـ١ـ٩٦١

ISBN 2-84289-490-1

ميشال الحايك

المسيح في الإسلام



دار النهار

على قدمي

سيدة الهجرة والنخلة والصحراء ،

« أمّ هذا الروح الطيّب التي اختارها الله لكلمته

وطهّر جوفها لروحه وسوّدها على إمائه » ،

أضع هذه الصفحات التي خطّها اخوان لي من

ذلك الشرق العجيب الحبيب ،

نذراً عليّ ، لديها ، في محبتهم وخدمتهم

حتى الموت

تمهيد

لقد وافى الزمن الذي يجب علينا ان نلتقي فيه، ولكن على غير الصعيد الذي ظننا منذ اجيال ان كان لنا عليه موعد، وما كان لنا هناك غير الخيبة .

ان لم يكن بيننا سوى هذه الرقعة الجغرافية الواحدة التي تضمنا ، وهذه اللغة الواحدة التي بها نتداول ، وهذا الشطر الواحد من التاريخ الذي صنعناه وقطعناه معاً، فقد حتم علينا التلاقي والاخاء.

منذ ثلاثة عشر قرناً والنصارى يعيشون الى جانب المسلمين ، والمسلمون الى جانب النصارى ، توسع اولئك على حساب هؤلاء ، وبات هؤلاء يتحينون الفرصة لاسترجاع ما غنم اولئك منهم عنوة او صلحاً. فكانت هذه الثروة التقليدية التي ورثناها من الجدود ولا نزال نتوارثها، ثروة الجهل والعنف، وكانت هذه الاعماق التي تفصل الآن ما بيننا .

ولم يبخل التاريخ على الاثنين بمواعيده ، فقد التقوا مراراً عديدة في ساحاته وعلى مفترقاته ولكنهم لم يتعارفوا الا قليلاً ولم يتصافوا الا نادراً ، وظلوا اخوة غرباء في بيت ابيهم ابراهيم .

وكان اول ما التقوا علناً يوم غادر محمد نبي المسلمين مكة ، وفيها فتنة على دين جديد ما جاء ليخلف الموحدين من النصارى واليهود ، بل لينذر بالعقاب امة جعلت الصنم العيّ رباً لها . كانت

الفتنة على المؤمنين الاولين بدين الاسلام فهجرهم نبيهم الى بلد الاحباش النصارى فوجدوا هناك لدى النجاشي ، سيد اقصوم ، موئلًا يقيهم ، في ساعة البؤس ، ظلامات بني قومهم . فحلوا مكرمين على سعة في ظل المليك . ولما خمدت الفتنة في مكة رجع المهاجرون الاولون ، ومنهم من طاب له المقام هناك فظل مقيماً . وحين قضى النجاشي حتفه صلى محمد على نفسه في البقيع معلناً الحداد الاسلامي الاول على نصراني مات .

ولقد لاقى محمد لدى المسيحيين في مكة والمدينة ، في بدء هجرته ، اخلاصاً في الولاء وقياماً بالعهد ، فاحبهم بدوره حباً لا غش فيه ، وحفظ القرآن آيات كانت صدى تلك المودة الاولى : « ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون » .

ولكن هذا التلاقي لم ينزل صوب الاعماق ، بل بات سطحياً ، اذ ان المسيحيين ، قبيل الهجرة ، في الجزيرة العربية ، كانوا جماعة مبعثرة الشمل من اناس قليلي العدد ، خاملي النسب ، لا تجمع بينهم الروابط الدينية ولا يوحد امرهم اولئك القسيسون والرهبان الذين ذكرهم القرآن . بل كانوا بالاحرى قوماً فرقت بينهم النزعات الدينية والعرقية والتجارية ، جاء البعض منهم من سوريا ليقوموا بحرفات وضيعة ، كالحجامة او بيع الزيوت والخمور في جزيرة العرب وهي آنئذ « ارض البؤس والجوع . » والبعض الآخر ، وهو اكثر عدداً ، قدم من افريقيا ، ومن هؤلاء كان بلال ، مؤذن النبي ، ومارية القبطية التي اعطت محمداً قرة العين ، ابراهيم ، الطفل الوحيد الذي قضى صغيراً ،

ومعظم هؤلاء الاحابيش كانوا يجندون للذود عن مكـة ، وقت رحلات القوافـل او اذا طرأت الغزوات ؛ فان زال الخطر الطارئ انتزع منهم السلاح ، وعادوا فباعوا حرياتهم لاشراف مكة الوثنيين لقاء الاسودين ، التمر والماء . وقد حكم صاحب كتاب الاغاني ان « لا خير فيهم ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زنوا » .

وهؤلاء لم يعرفوا من دينهم المسيحي سوى جهلهم بـه ، ولم يمارسوا شعائره الا بالشكل الذي عيّرهم به الامام علي ، الا وهو تحليل شرب الخمرة . ولكنهم احتفظوا من عقيدتهم بقصص غريبـة اوردتها الاناجيل المنحولة او الموضوعة ، فكرّم البعض منهم مريم وقربوا لها التقادم والقرابين كأنها الهة « من دون الله » . وكان لمريم بين اصنام الكعبة تمثال يصورها وابنها عيسى « قاعـدًا مزوقاً » في حجرها ، كما ذكر الكلبي في « كتاب الاصنام . » ومـا نكران الوهية المسيح في القرآن سوى غضبة على اولئك المسيحيين الذين تتبرّأ منهم الحقيقة المسيحية ، والذين كرموا مريم نظير « الصاحبة » قرب الله ، في هياكل الاوثان .

فلم يكن بوسع النبي ان يلتقي بالعقيدة المسيحية على حقيقتها . واذ حانت له فرصة في ذلك اذا بالنتيجة تجيء فاشلة . فما ان هاجر النبي الى المدينة حتى اصطدم باليهود اولًا فاخضعهم قبيلة بعد اخرى معملًا السيف في رقـاب ذكورهم مستبيحاً البعض من نسائهم للمهاجرين والانصار او جالياً العاجزين والعاجزات منهم خـارج الجزيرة . ثم كان له اصطدام اخير مع القبائل المسيحية اليعقوبية التي كانت تحمي النفود في الشمال ، على طريق القافلات الداخلـة

ارض بيزنطية . فكانت غزوة تبوك ومؤتة اللتان اسفرتا عن فشل المسلمين . فجاءت آيات في القرآن معاصرة لهذه الاحداث التاريخية المعروفة ، وهي آيات مرة على المسيحيين . وكانت بعد ذلك المباهلة، اي دعوة الله على الكافرين ، بين النبي ووفد مدينة نجران . ولقد اوسع محمد حينذاك مكاناً للنجرانيين فصلوا صلاة الفصح في اول جامع اسلامي ، في « المدينة المنورة » سنة ٦٣١ .

ومات النبي وانتشرت دعوة الاسلام صوب الشمال ضاربة في البلدان السريانية المسيحية الخاضعة لسلطان بيزنطية.وكانت القبائل المسيحية تكره قيصر الروم لتعسفه ، فساروا في مقدمة الغزاة المسلمين على سوريا ، وقد ذكّر بهذا شاعرهم النصراني في حضرة الخليفة : « لما رأونا والصليب طالعا ومارسرجيس وسما ناقعا .. » وكانت في زمن الامويين الاولين اخوّة يجب ان تعاش من جديد .

ولكن مـا عتم الامر حتى ادرك المسيحيون ان آية القرآن سوف تطبق عليهم بالحرف الكتابي ، فهم أهل الذمة وعليهم « ان يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ». فبدأت تسوء بهم الحال ، فنهم من اسلموا ومنهم من قبعوا في زوايا الشرق ، وما لهم من هم سوى الحفاظ على تراث دينهم .

وحلت الحروب الصليبية ، وقد فسدت غاياتها الدينية ؛ واذ قاربت بين الشرق والغرب ، تركت وراءها رصيدا من التباعد والتباغض لم ينشف الاثنان منه تماماً حتى يومنا هذا .

ثم دُكّت اسوار القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فانهارت روائع لا تحصى ؛ وكان الفتح العثماني سنة ١٥١٦ ، وكلها انتصارات سجلها

الاسلام في تاريخه، وانطوى، الا من بعض الصفحات، سفر المسيحية من هذه البلدان التي أزل ، الا عن بعض قبابها ، الصليب .

***

من هذه اللمحة الخاطفة يبدو ان المسيحية والاسلام التقيا سياسياً وجغرافياً ؛ ومن ثم كان تفاعل بين الاثنين اعطى جنى طيّباً في عالم الثقافة ؛ ولكن السياسة والثقافة مهما طابت نتائجها لن يكونا سوى عرض في العلاقات الاسلامية المسيحية . وانما الجوهر هو اعمق من ذلك ، هو في الاحتكاك العقائدي المحض بين الديانتين على ضوء الاصول الثابتة .

لا ننكر على الذين سبقوا جهدهم في طرح المشكلة على هذا الاساس . ولن يفضي بنا الغرور الى الاعتقاد باننا اول من يقوده تفكيره بامور هذا الشرق الى البحث بالشؤون الدينية التي ما برحت، بالرغم من المتنكرين لها ، جذور مجتمعاتنا . ولسنا اول من يشاء باخلاص ان يحاول ايجاد حل مقتبس من اصول الدين لمشكلة هذا المجتمع ليتمكن ابناؤه من العيش آمنين في رضى ربهم وظلال وطنهم . ولو جئنا نعدد المحاولات السالفة لطال بنا الحديث وقادنا البحث الى الاجيال الدارسة فتهنا وتاه معنا القارئون . اذ انه ، منذ ظهور الاسلام، بدأت المسألة تُثار من هذا الجانب ومن ذاك الجانب، ولا يزال بنا الامر على هذا النحو، نتناساه في يومياتنا الهزيلة وتصرّ علينا الاحداث من حين لآخر فنذكره في ساعات الفواجع .

لتكفنا ، هنا ايضاً ، لمحة عجلاء ونستنتج منها ، هنا ايضاً ، رصيد الفشل بعد جولة في اثار من كتبوا لهذا الموضوع .

منذ يوحنـا الدمشقي المتوفى في منتصف الجيل الثامن الى يومنا الحاضر تتوالى كتابات المسيحيين عن المسيحية والاسلام . فكان في الشرق والغرب خاصة، امس واليوم، رجال اهتموا بالامر فاختلفت اثارهم على اختلاف اطوارهم واوطانهم ونزعاتهم، فانقسموا قسمين : واحد يدافع عن الاسلام دفاعاً مغرضاً إما لالحادهم واعتقادهم بان الديانات نتيجة النشوء الاجتماعي ، فلا فرق بينها اذ انها على السواء من صنع الناس ، وإما للطعن غير المباشر بالمسيحية التي عنها مرقوا .

اما القسم الاكبر فقد سقطوا في النقيض الثاني حين وصفوا الاسلام بانه بدعة حوت الشرور باسرها قام بها راهب زنديق ؛ ورسموا للنبي صورة مجحفة فاصبح اسطورة تناقلتها في الاجيال الوسطى السنة العامة وكتابات الخاصة .

ولم يتخلف المسلمون عن المسيحيين في هذا المضمار فصوروا عن النصارى اشنع صورة ولم يحجم رجل عرف بتدينه وهدوء اعصابه مثل الغزالي، عن اعلانها شريعة هذيان وسخافة . وما ادراك ما قال الجاحظ وابن حزم وابن تيمية وغيرهم من سنيين وشيعيين وحنابلة ومعتزلة وظاهريين ...

وفي الواقع قليلون هم الذين كانوا من بين المؤلفين مؤمنين عن غير تعصب ، بارين بالعلم عن غير هوس . ولا بد من الاعتراف بان الموضوع شائك وان خطر الهوى الاعمى يترقب كل معالج لهذه القضايا التي تلاقي لدى الكثير من المسيحيين والمسلمين حساسية متوقدة تجعل من كل بحث مثل هذا ضرباً من المغامرة بالسمعة

والمجازفة بالذات.ولكن الامر اجل من ان تقف هذه الاعتبارات الشخصية حاجزًا دونه . ولكي لا ترتفع من هنا وهناك اصوات التناقض والشكوى ، فضلنا قبل الاقدام على عرض ما توصلنا اليه من استنتاجات علمية ، ان نباشر عرض النصوص ذاتها فنضعها بين يدي القارئ مع ذكر مصادرها القريبة والبعيدة كلما امكننا ذلك.

اما هذه النصوص فتختلف قيمتها حسب اهمية كاتبها ووزنه ومدى تأثيره في العالم الاسلامي . وان مؤلف الفصل الاول هو الله نفسه في عقيدة المسلمين ، اذ ان القرآن كلام الله . ولذلك افردنا له فصلًا خاصاً لكيلا يدخل في روع احد ان كل ما قيل بين دفتي هذا الكتاب سواء بسواء قيمة وتأثيرا .

اما النصوص التالية فاهمها الاحاديث التي اجمع على صحتها المسلمون فاقاموا لها وزناً خاصاً بجانب القرآن ودونها الجامعون في كتب الحديث من صحيح ومسند وسنن للبخاري ومسلم وابن ماجه وابي داود الطيالسي والنسائي والترمذي (وهو غير الحكيم الترمذي صاحب كتاب « نوادر الاصول ») . ويلتقي بهم ابن حنبل والهندي والقرطبي .

اما ما تبقى من المؤلفين ، مؤرخين او مفسرين او صوفيين ، فقيمة كتاباتهم ترتكز على قيمتهم الفردية ومدى فعاليتهم في تفكير المسلمين . فليس السمرقندي كالغزالي وابن العربي ، من بين الصوفية، وليس الكسائي كالطبري وابن خلدون في معرفة التاريخ.

وهذه النصوص شاء جامعها ان يضعها في متناول المسيحيين ليعلموا عن الاسلام غير ما تنشره الجرائد في مواسم معينة تعليلًا

لقارئيها ان بين الديانتين اتفاقاً ووحدة تامة. ولست ادري هل خطر ببال احدهم ان عند علماء المسلمين مثل هــذه الاثار المدهشة في بعض الاحيان. لقد آن لهم ان يعرفوا على الاقل ان الاسلام لم يخطر له يوماً ببال، حتى في اقسى ساعاته على المسيحية، ان يجدّف عـلى قدسية المسيح، روح الله وكلمتــه، وان يقذف مريم بمثل ما قذفها به بعض اليهود في تاريخهم. فقد احاط المسلمون باكرام كل مواطن الاكرام لتلك التي سوّدها الله على جميع امائه وجعلهــا سيدة نساء العالمين فذكروها في كل بلد خلفوا فيه المسيحيين، في كنائس نجران والحيرة وطرطوس وانطاكيــة والقسطنطينية والمغرب . . . واستقبلوا تمثالها بالتهليل يوم مر على ضياع لبنان، سنة ١٩٥٤ .

وهذه النصوص شاء جامعها ايضاً ان يضعها في متناول المسلمين نفسهم لكي يعرفوها اذا كانوا يجهلونها او يذكروها اذا كانوا نسوها. فصليب المسيح الذي عنــه يعرضون، اذ لا يليق بروح الله ان يصلب، يجد له مقاماً كريماً عند بعض المفكرين والفلاسفة والمؤرخين الصارمين منهم، حتى لم يربأ احدهم، في قصة رائعــة اسمها « قرية ظالمة »، ان يبدأ كتابه بيوم الجمعة، وهو في اعتقــاده يوم مشهود معاصر لنكبات البشرية المتجددة كل يوم : فان فيه اراد الناس ان يقتلوا الضمير الانساني وان يطفئوا نوره، والمسيح هو هذا الضمير وهذا النور .

ولا بد من الاشارة الى حقيقة تيقنت منهــا في تجوالي بين الصفحات الضخام التي كتبهــا المؤلفون المسلمون، في الكلام او التفسير او التاريخ او التصوف ؛ الا وهي ان الاسلام لم يطرح يوماً

واحدًا على نفسه مشكلة العقيدة المسيحية الصرف . لقد جازها قبل ان تعرّض لها ، وحلّها قبل ان تشكل عليه . فبقيت آية القرآن على شرطها فلم يعط عنها جواب علمي : « لو كان لله ولد فانا أول العابدين. » اذ ان هنالك توالدًا عقلياً هو غير التناسل ، فالكلمة هي وليدة الفكر الازلي . كذا المسيح ابن الله .

فان هنالك اذن فرضاً قاطعاً على عنق المسيحيين وهو ان يقبلوا على تفهم الدين الاسلامي باخلاص لمعتقد الغير وانفتاح على ما بينه وبين المسيحية من قربى ؛ وان يقبلوا بعد ذلك على اظهار حقيقة دينهم لاخوانهم المسلمين بلغة عربية مبينة ، فيتكون من ذلك ادب مسيحي عربي يجني منه كل واحد ، مهما كانت عقيدته ، ثمار الخير والوفاق وانهم دون شك واجدون عقائد وتقاليد ثابتة تؤمّن للجميع ثروة الاخوّة التي لا تعادلها غنائم الخصومات مهما عظمت ... وما خلا هذه الرجعة الى الاصول الدينية باطلًا نسعى الى العيش بامان ، اذ ان حلول السياسة والثقافة مهدئات خادعة . وفي زحمة هذه الاعاصير الهابة على العالم من كل حدب وصوب ، لا بد للمؤمنين بالله ابراهيم من ان يقفوا صفاً واحدًا للدفاع عن قضية الله التي هي قضية الانسان. وقد زعم الزاعمون ان مشكلة الانسان اليوم هي اقتصادية او سياسية او تطاحن على نفوذ روحي . والحق ان الانسان اليوم اكثر منه في تاريخه الغابر يبحث عن معبود ، وان التطاحن العالمي ، في دنيا الاقتصاد والسياسة والثقافة ، ليس سوى عوارض سطحية ظاهرة للاصطدام الباطني العميق بين الايمان والكفر ، بين الخير والشر ، بين الله والشيطان . ولقد آن ان يلتقي المؤمنون بالخير وبالله

الذي هو الخير الأكبر .

لم يغرب عن بالنا يوماً ان بين الاسلام والمسيحية عقبات عقائدية كأداء لا يمكن ان يذللها التفاهم مهما تجرد الداعون اليه . ولا يكفي ان يتصافح الاثنان لتزول النقائض. وليس غير الجاهلين باساسات العقيدتين من يعللون انفسهم بالوصول الى هذه الغاية . لقد قام في الشرق والغرب رجال قالوا بضرورة ازالة الفروق ومزج الديانتين في عقيدة اخرى لا يمكن ان تكون سوى صنيعة ممسوخة لصنّاع خائبين . فكل محاولة نهجت هذا السبيل فسدت وافسدت وكانت وبالًا وبلاء . وذلك لان الفوارق بين الديانتين تغور حتى الجذور العميقة .

فالاسلام يقوم على الايمان باله لم يعلن سر ذاته لاحد ولن يستطيع احد ان يكتنه اغواره الهائلة . على « قاب قوسين » منه وقف محمد ليلة معراجه ، حسب القرآن ؛ ولم يعط للبشر من معرفتهم له سوى جهلهم به ، حسب احد الصوفيين. فبين العبد والمعبود هوة عميقة الغور لا يقطعها انسان . فليس اذاً على العبد الا التسليم او الاسلام للارادة التي لا تحتكم الا الى ذاتها فتهدي من تشاء وتضل من تشاء .

ولا تقلّ المسيحية عن الاسلام تنزيهاً لله حين تعلن ان الله لا يدركه المحدود البشري ، ولكنها توقن ايضاً ان الله اوحى هو ذاته ذاته وسرّ وجوده ، فذاته محبة . وهذه المحبة لا تُدرك ، اذ ان بها تجسدت كلمة الله في ناسوت المسيح فاصبح الله قريباً للانسان في شخص الوسيط بين الله والانسان ، في المسيح .

فعلى المسيح كان الاختلاف: هو صخرة الشك التي بها يصطدم الناس جميعاً وعليه يقتتلون لو يعلمون. كذا كان الامر منذ ألفي سنة، بين معاصريه في اورشليم، وكذا كان الامر من بعده في التاريخ، وسيكون كذلك الى انتهاء الزمان، حين ينزل من السماء للحكم الاخير: «سينزل بينكم ابن مريم حكماً مقسطاً ... فيملأ الارض عدلًا كما مُلئت جورًا».

على هذا الحديث اجمع المسلمون والمسيحيون وهم على انتظار «الحاكم يوم الدين». فالى عدله النهائي يصرخ المظلومون طالبين الانصاف وقد طال عليهم الجور. هي الصيحة بالحق التي تتعالى اليه من هنا وهناك، في المسيحية والاسلام؛ هي اصوات الفقراء الخافتة وقد خنقها التهريج السياسي وصخب المدنية الحديثة وضجيج معادن التسلح التي بلغ تهديدها بالافناء حد الشمول. وتلك الاصوات عند فقراء الاسلام ونساك المسيحية المجهولين، هي صلوات تخترق السحب لتصل حتى العرش تظلّماً الى الله واحتكاماً الى امره الازلي. «بدا الاسلام غريباً وسيعود كما بدا، فطوبى للغرباء!» انها الهجرة القصوى صوب اورشليم الثانية العلوية بهداية المسيح بن مريم البتول الحصينة. «فطوبى لعيش بعد المسيح!»

ميشال الحايك

المصادر

لم نذكر بين هذه المصادر سوى ثلاثة من المفسرين وهم البيضاوي والرازي والالوسي ؛ وذلك لان نصوص المؤرخين خاصة تغني في اغلب الاحيان عن ذكر العديد من الشارحين، ولاننا لم نشأ الدخول في التآويل التي قد تصيب القارئ بالملل حين لا تأتي بفتح علمي او عقائدي جديد. ولم نذكر الا النادر (محمد كامل حسين مثلاً في كتابه « قرية ظالمة » (القاهرة ١٩٥٥) من المؤلفين الحديثين الذين عرضوا قضية المسيح، والا لاكرهنا على نقل مؤلفات عديدة بكاملها مثل « عبقرية المسيح » للعقاد (القاهرة، ١٩٤٣)، « ونظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام » لمحمد زاهر الكوثري (القاهرة، ١٩٤٢) « واقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان » لعبد الله الصديق الغماري (القاهرة ١٩٤٣) « والمسيح عيسى بن مريم » لعبد الحميد جودة السحار (القاهرة، ١٩٥٩) وغيرهم ؛ ولاجبرنا ايضاً على اعادة نشر المقالات والقصائد الحولية العديدة التي تظهر في اعداد الجرائد والمجلات الخاصة بالميلاد. وفي كل هذا شهادة على المستوى الذي يركز فيه المسيح في تفكير الاسلام العربي في يومنا. فاذا كنا اهملنا هذه المؤلفات، لاجل حداثتها لا حكماً منا على اهميتها، فاقد أغضينا ايضاً عن ذكر القديمة منها كل مرة جاء فيها الجدل الديني عنيفاً، وكم يعنف الجدل في مثل هذه الاحوال. ولكننا عازمون على طرح الموضوع من

جديد في كتاب كبير سيصدر باللغات الثلاث، العربية والفرنسية والانكليزية، محاولين فيه عرض القضية كلها على ضوء العلم البعيد عن الهوى خدمة لمجتمعنا الاسلامي ـ المسيحي، ورفقاً منا بالدين يصبح تجارة المفرقين بيننا من الخارج او الانتهازيين منا في الداخل.

اما المراجع المسيحية فهي تكاد تُرَد جميعها الى الاناجيل الموحاة والمنحولة، وقد نُشرت في الغرب على اساس علمي راهن في لغاتها الاصيلة القديمة ابتداء من اليونانية والسريانية الى العربية واللاتينية والارمنية والقبطية... ولكننا رجعنا ايضاً من حين لآخر الى الموسوعات المسيحية وفيها مؤلفات علماء الكنيسة، كما رجعنا الى التلمود اليهودي وفيه شروح الربانيين على التوراة، لنبش الآثار المشتركة بين أهل الكتاب وأهل الاسلام. وهكذا فاننا حين نقابل بين النصوص فنقول ان هذا مأخوذ او منقول عن ذاك، ليست غايتنا ان نظهر فضل هذا على ذاك بل فضل الله على الجميع، اذ ان كل خير مقول او مفعول هو منه سبحانه وتعالى. وقانا الله شر ما لا نريد ووفقنا الى الخير الذي في سبيله نسعى.

المصادر الاسلامية

القرآن الكريم = طبعة بولاق ، ١٣٥٨ .

البخاري ـ الجامع الصحيح ؛ ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٦ ؛ وطبعة كرهل (Krehl) ،
٣ اجزاء ؛ ليدن ، ١٨٦٢–١٨٦٨ ، والجزء الرابع طبعة جونبول (Juynboll)
ليدن ، ١٩٠٧ .

مسلم = الصحيح ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٢٩٠ .

ابن ماجه = السنن ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٣ .

النسائي = السنن ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٢ .

ابو داود الطيالسي = المسند ؛ حيدرباد ، ١٣٢١ .

ابن حنبل = المسند ؛ ٦ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٣ .

الهندي = كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ؛ ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٣ .

ابن عبد البر القرطبي = مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ؛ القاهرة ،
١٣٢٠ .

السيوطي = كتاب اللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٧ .

» = الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ؛ المخطوطة العربية لمكتبة باريس الوطنية ،
عدد ٥٨٨ .

عبد الوهاب الشعراني = مختصر تذكرة الامام القرطبي ؛ القاهرة ، ١٣٠٨ .

» = لواقح الانوار القدسية ؛ القاهرة ، ١٣٢١ .

» = الطبقات الكبرى ؛ جزءان ، بولاق ، ١٢٨٦ ؛ القاهرة ، ١٣١٥ .

» = اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر ؛ القاهرة ، ١٣٢١ .

» = لطائف المنن والاخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على
الاطلاق ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣٢١ .

البيضاوي = انوار التنزيل واسرار التأويل ؛ جزءان ، القاهرة ١٣٥٥ .

الرازي = مفاتيح الغيب ؛ ٦ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٧٨ / ١٨٦٢ .

الالوسي = روح المعاني ؛ ٣٠ جزءاً ، القاهرة ١٩٢٧ .

ابن هشام = سيرة الرسول ، طبعة وستنفلد (Wüstenfeld) .

الحلبي = انسان العيون في سيرة الامين المأمون ؛ ٣ اجزاء، القاهرة، ١٢٩٢ .
الطبري = تاريخ الرسل والملوك ؛ ١٣ جزءاً ، طبعة ده غويه (De Goeje) .
ابن الاثير = الكامل في التاريخ ، طبعة تورنبرغ (Tornberg) .
اليعقوبي = تاريخ ؛ طبعة هوتسما (Houtsma) :
ياقوت الحموي = معجم البلدان ؛ ٦ اجزاء ، طبعة وستنفلد .
البيروني = الايام الباقية عن القرون الخالية ؛ طبعة ساخو (Sachau) .
المسعودي= مروج الذهب ومعادن الجوهر؛طبعة باربيه‌ده مايناد(Barbier de Meynard) .
ابن خلدون = المقدمة ، الجزء الاول من كتاب العبر . . . ؛ القاهرة ، دون تاريخ .
الكسائي = قصص الانبياء ، طبعة ايسنبرغ (Eisenberg) .
الثعلبي = قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس ؛ القاهرة ، ١٣٧٠ / ١٩٥١ .
ابن القوطية = تاريخ الاندلس ؛ طبعة مدريد ، دون تاريخ .
ابن سيده المرسي = كتاب المخصص ؛ ١٧ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٢١ .
ابن حزم = الفصل في الملل والنحل ؛ ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٧ — ١٣٢٠ .
الجاحظ = كتاب البيان والتبيين ؛ ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٨ .
» = كتاب المحاسن والاضداد ؛ لاهاي ، ١٨٩٨ .
ابن عبد ربه = العقد الفريد ؛ ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٣ .
ابو حامد الغزالي = كتاب احياء علوم الدين ؛ ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٢ .
» = مختصر احياء علوم الدين ، على هامش نزهة الناظرين للشيخ عبيد الضرير ؛ القاهرة ، ١٣١٧ .
» = كتاب مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب ، المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب للامام الغزالي ؛ القاهرة ، ١٣٠٠ .
» = فاتحة العلوم ؛ القاهرة ، ١٣٢٢ .
» = كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك ؛ القاهرة ، ١٣١٧ .
» = رسالة الغزالي الى ملكشاه في العقائد ؛ القاهرة ، ١٣٢٥ .
» = الجواهر الغوالي ، من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالي ، تشتمل على : الادب في الدين ، ايها الولد ، فيصل التفرقة ، القواعد العشرة ، مشكاة الانوار ، رسالة الطير ، الرسالة الوعظية ؛ القاهرة ، ١٣٤٣ .
» = فرائد اللآلي من رسائل الغزالي ، تشتمل على : معراج السالكين ، منهاج العارفين ، روضة الطالبين وعمرة السالكين ؛ القاهرة ، ١٣٤٤ .
» = الدرجة الفاخرة ؛ طبعة غوتيه (Gautier) .
» = منهاج العابدين ؛ القاهرة ، ١٣١٣ .

مرتضى الحسيني الزبيدي – اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين؛ ١٠ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١١ .

ابن منصور الحلاج = راجع ماسينيون ، مجموعة نصوص :
L. Massignon, *Recueil de textes inédits...*; Paris, 1929.

ابن العربي = الفتوحات المكية ؛ ٤ اجزاء ، بولاق ، ١٢٦٩ – ١٢٧٤ .

« = كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣٠٥ .

« = فصوص الحكم ، مع شرح القاشاني ؛ القاهرة ، ١٣٠٩ .

« = عنقاء مغرب ، القاهرة ١٣٥٣ .

القاشاني = شرح على فصوص الحكم ؛ القاهرة ، ١٣٠٩ .

الجامي = نقد النصوص في شرح فصوص الحكم ، بولاق ، ١٣٠٦ .

ابو طالب المكي = قوت القلوب في معاملة المحبوب؛ ٤ اجزاء، القاهرة ، ١٣٥١/١٩٣٢ .

ابو نعيم الاصبهاني = كتاب حلية الاولياء؛ ١٠ اجزاء، القاهرة، ١٣٥٤/١٩٣٥–١٣٥٧/١٩٣٨ .

عبد الكريم الجيلي = كتاب الانسان الكامل في معرفة الاوائل والاواخر ؛ المخطوطة العربية لمكتبة باريس عدد ٦٥٩٦ .

الحكيم الترمذي = نوادر الاصول ؛ القاهرة ، ١٢٩٣ .

« = كتاب الترمذي ؛ مخطوطة مكتبة الاسكوريال عدد ١٨٦٠ .

ابن العريف = كتاب محاسن المجالس ؛ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٦٦١٤ .

السهروردي = كتاب عوارف المعارف للعارف بالله ، على هامش احياء علوم الدين للغزالي ؛ القاهرة ، ١٣١٢ .

عبد القادر الجيلاني = كتاب الغنية لطالبي طريق الحق ؛ جزءان القاهرة ، ١٣٢٢ .

ابو الليث السمرقندي = قرة العيون ومفرح القلب المحزون ؛ على هامش مختصر تذكرة الامام القرطبي للشعراني ؛ القاهرة ، ١٣٠٨ .

« = تنبيه الغافلين ؛ القاهرة ، ١٣٢٦ .

ابو القاسم القشيري = الرسالة القشيرية في علم التصوف ؛ القاهرة ، ١٣١٨ .

عبيد الضرير = نزهة الناظرين ، القاهرة ، ١٣١٧ .

اخوان الصفا = رسائل ، ٤ اجزاء ؛ القاهرة ، ١٣٤٧ / ١٩٢٨ .

ابو بكر الطرطوشي = سراج الملوك ؛ القاهرة ، ١٢٨٩ .

ابو سعيد الخركوشي = تهذيب الاسرار ؛ مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ .

عبد الغني النابلسي = هتك الاسرار ؛ مخطوطة المكتبة الخديوية ، عدد ٣٢٤٥ .

ابو حيان التوحيدي = رسالة في الصداقة والصديق ؛ إسطنبول ، ١٣٠١ .

ابن الجوزي = كتاب الاذكياء ؛ القاهرة ، ١٣٠٤ .

الماوردي = كتاب الاحكام السلطانية ؛ القاهرة ، ١٢٩٨ .

الدميري = حياة الحيوان الكبرى ، جزءان ؛ القاهرة ، ١٣١٠ .

ابو الحجاج البلوي = كتاب الف باء ، جزءان ؛ القاهرة ، ١٢٨٧ .

ابن جهضم الهمداني = بهجة الاسرار ومعدن الانوار في مناقب السادة الاخيار من المشايخ الابرار ؛ مخطوطة دمشق ، مجموع ٦٤ .

اليافعي = روض الرياحين في حكايات الصالحين ؛ القاهرة ١٣١٥ .

الحريفيش = الروض الفائق في المواعظ والرقائق ؛ القاهرة ، ١٣٢٨ .

محمد كامل حسين = قرية ظالمة ؛ القاهرة ، ١٩٥٥ .

المصادر المسيحية

الكتاب المقدس ، في عهديه العتيق والجديد :
الموسوعة اليونانية : Patrologia Graeca ; éd. Migne.
الموسوعة الشرقية : Patrologia Orientalis; éd. Graffin-Nau
انجيل طفولية سيدنا ، نسخة اسحق بن ابي الفرج بن القسيس المتطبب ؛ مخطوطة المكتبة اللورنسية في فلورنسا ، تحت عدد ٣٢ لمجموعة Codex orientalis .

Brunet (G.), *Les Evangiles Apocryphes*, Paris, 1863.
Daïetsi (I.), *Livres apocryphes du Nouveau Testament*, Venise, 1898.
Dunlop Gibson (M.), *The Commentaries of Isho'dad of Merv*. Volume II. *Matthew and Marc in Syriac*, Cambridge, 1911 — Horae Semiticae, N°. VI.
Fabricius (J.A.), *Codex apocryphus Novi Testamenti*, Hambourg, 1719.
Hennecke (E.), *Neutestamentliche Apocryphen;* 2 vol., Tubingue, 1904.
Michel-Peeters, *Evangiles apocryphes ;* I, Paris, 1911.
Peeters (P.), *Evangiles apocryphes;* II, Paris, 1914.
Révillout (E.), *Etudes égyptologiques*, fasc. 7, *Apocryphes coptes du Nouveau Testament*, Paris 1876.
Sike (H.), *Evangelium Infantiae, vel liber apocryphus de Infantia Servatoris* ; Traiecti ad Rhenum, 1697.
Thilo (J.C.), *Codex apocryphus Novi Testamenti*, t. I, Leipzig, 1832.
Wallis Budge (M.E.A.), *The History of the Blessed Virgin Mary and the History of the Likeness of Christ ;* 2 vol., London, 1899.

الفصل الأول

المسيح في القرآن

في القرآن مائة وأربع عشرة سورة بلغ عدد آياتها ستة آلاف ومائتين وستاً وعشرين آية (أو ٦٢٤٦ ، أو ٦١١٦ آية تختلف حسب العلماء) . ولقد ورد اسم المسيح في خمس عشرة سورة ، في ثلاث وتسعين آية . فالى هذا المصدر الاول ينقاد عفواً تفكير الباحثين عن علاقة المسيحية بالاسلام وعن مركزها في « دين التوحيد ». لقد اوسعنا لهذه النصوص فصلاً خاصاً بها نظراً لاهميتها، فهي في عقيدة المسلمين كلام الله المنزل لفظاً ومعنى على قلب محمد من لوح محفوظ في السماء ، صورةً عربية مبينة عن اصلها الاول في «امّ الكتاب» . الى هذه الآيات يرجع التفكير الاسلامي كلما اعترضه اسم المسيح. فكل ما كتب العلماء المسلمون في هذا الموضوع كان تفسيراً لكلام الكتاب استعانوا لاجله احياناً بالنصوص المسيحية فتقبلوا منها بسهولة أخوية كل ما كان بوسعهم معرفته وقبوله . ولكنهم رفضوا دوماً محاولة التوفيق بين الانجيل والقرآن حيث ظهر تناقض بين الكتابين ، فقالوا بتحريف الانجيل كلما ناقض نصه القرآن .

ولقد رتّبنا هذه الآيات مستندين الى ما توصل اليه العلم بين البحاثين من ذوي الاستشراق . وغايتنا أن نظهر فكرة القرآن في تدرجها عندما تعرض العقيدة المسيحية . فهي في الآيات الاولى المكّية كثيرة الحنان على النصارى ، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسّيسيهم . ولكنها في آخر عهد النبي ، في المدينة ، تصبح

شديدة الوطأة فتتنكر للنصارى ويبدو أنها ترفض رفضاً قاطعاً ألوهية المسيح .

وان وراء هذا التحول أحداثاً تاريخية معروفة أهمها فشل النبي في غزوتيه ضد نصارى تبوك ومؤتة ومباهلته مع وفد نجران .

وهنالك سبب ديني بحت يدور حول مشكلة وحدانيـة الله . وقد بدا لمحمد أن الثالوث الذي يقر به النصارى يهدد هذه الوحدانية التي يقوم عليها الاسلام.ولكن هذا الثالوث الذي يتنكر له القرآن هو غير ما تؤمن به النصرانية في توحيدها ، فهو مركّب ثلاثي، يشبه الثلاثية الوثنية التي قاومها محمد، مؤلف من الله والصاحبة، مريم، والولد ، عيسى ، وهذا ما لم يقل به النصارى ابدًا . ولم تزل المشكلة عالقة ، حول هذا الامر ، الى اليوم الذي تجد فيه انصارًا يطرحونها من جديد على ضوء العلم المجرد الصافي .

بشارة زكريا بيحيى المعمدان

ذكرُ رحماتِ ربّك عبدَه زكريًا .
اذ نادى ربّه نداءً خفيًا .
قال ربِ إنّي وهنَ العظمُ منّي واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك ربِ شقيًا .
واني خفتُ الموالي من وراءي وكانت امرأتي عاقرًا فهبْ لي من لدنك وليًا .
يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِ رضيًا .
يا زكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبلُ سميًا .
قال ربِ أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرًا وقد بلغتُ من العمر عتيًا .
قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّن وقد خلقتُك من قبلُ ولم تكُ شيئًا .
قال ربِ اجعلْ لي آية قال آيتك ألّا تكلّمَ الناس ثلاث ليالٍ سويًا .
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم أن سبحوا الله بكرةً وعشيًا .
يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًا .
وحنانًا من لدنّا وزكوةً وكان تقيًا .
وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًا .
وسلام عليه يومَ وُلد ويومَ يموت ويوم يُبعث حيًا[1] .

... وزكريا اذ نادى ربه ربِ لا تذرْني فردًا وأنت خير الوارثين .
فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه — انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين[2] .

... وزكريا ويحيي وعيسى والياس كلٌّ من الصالحين[3] .

---

١) سورة مريم، ١٩ : ٢–١٥ ؛ ٢) سورة الانبياء، ٢١ : ٨٩–٩٠ . ٣) سورة الانعام، ٦ : ٨٥ .

هنالك دعا زكريا ربّه قال ربِ هبْ لي من لدنك ذريةً طيبةً إنك سميع الدعاء .
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أنّ الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بكلمةٍ من الله وسيدًا وحَصورًا ونبياً من الصالحين .
قال رب أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكِبَر وامرأتي عاقر، قال كذلك الله يفعل ما يشاء .
قال ربِ اجعلْ لي آيةً قال آيتك ألّا تكلّم الناس ثلاثة أيام ألا رمزًا واذكرْ ربك كثيرًا وسبح بالعشيّ والابكار[٤] .

بشارة مريم

واذكرْ في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقيًّا .
فاتخذتْ من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحَنا فتمثّلَ لها بشرًا سويًّا .
قالت إني اعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا .
قال انما انا رسول ربك لأهبَ[٥] لك غلاماً ذكيًّا .
قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسْني بشر ولم أكُ بغيًّا .
قال كذلك قال ربكِ هو عليّ هيّن ولِنجعلَه آيةً للناس ورحمةً منا وكان امرًا مقضيًّا .
فحملتْه فانتبذتْ به مكاناً قصيًّا .

الميلاد

فأجأها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيًّا .

---

٤) سورة آل عمران، ٣ : ٣٨ – ٤١ .

٥) اجمع علماء المسلمين على قراءة « لأهب » عوض « ليهب » . فالقراءة الاولى تفترض تدخلًا مباشرًا من قبل الله في انشاء عيسى يشتم منه « التبني » الذي يرفضونه رفضاً قاطعاً، واما الثانية فهي تفترض الملاك واسطة بين الله ومريم، وهذا ما أقره المسلمون جميعاً دون ابن حزم، العالِم الظاهري الذي جزم بان لا مجال للجدل بين القراءتين ما دام خالق عيسى هو الله ذاته لا نفخ الملاك، راجع كتاب الفصل بين الملل والنحل .

فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا .
وهزّي اليك بجذع النخلة تُساقط عليك رُطَباً جنياً .
فكلي واشربي وقرّي عيناً فإمّا ترينّ من البشر احـدًا فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن اكلّم اليومَ انسيًا .
فأتتْ به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً فريًا .
يا أخت هرون ما كان ابوكِ امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا .
فأشارتْ اليه قالوا كيف نكلّم مَن كان في المهد صبيًا .
قال إني عبدالله آتاني الكتابَ وجعلني نبيًا .
وجعلني مباركًا أين ما كنتُ واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمتُ حيًا .
وبَرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا .
والسلام عليَّ يومَ وُلدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعث حيًا .
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون .
ما كان لله ان يتخذ من ولدٍ سبحانه اذا قضى امرًا فانما يقول له كنْ فيكون[٦] .

علم للساعة

ولما ضُرب ابن مريم مثلًا اذا قومك منه يصدّون .
وقالوا أألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلًا بل هم قوم خصمون .
إن هو إلّا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني اسرائيل .
ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً في الارض يخلفون .
وانه لَعِلمٌ[٧] للساعة فلا تمترنّ بها واتبعوني هذا صراط مستقيم .
ولا يصدنّكم الشيطانُ إنه لكم عدوٌّ مُبين .
ولما جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض

٦) سورة مريم ، ١٩ : ١٦–٣٥ ٧) « لَعلْمٌ » وهناك قراءة اخرى مشهورة يفضلها البعض وهي « لَعَلَمٌ » أي علامة ، وقرأ أُبيّ « لَذِكْرٌ » راجع الطبري والبيضاوي في تفسيرهما هذه الآية .

الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعونِ .

ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

فاختلف الاحزاب من بينهم فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يومٍ أليم[٨] .

وجعلنا ابنَ مريم وامّه آيةً واويناهما الى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين[٩] .

والتي أحصنتْ فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنَها آيةً للعالمين[١٠] .

شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...[١١] .

لقد آتينا موسى الكتابَ وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون[١٢] .

قولوا آمنّا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون[١٣] .

تلك الرسل فضّلنا بعضَهم على بعضٍ منهم من كلّم اللهُ ورفعَ بعضَهم درجاتٍ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد[١٤] .

ميلاد مريم ـ سيرة المسيح

ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآلَ ابراهيم وآلَ عمران على العالمين .

ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

٨) سورة الزخرف ، ٤٣ : ٥٧ — ٦٥ . ٩) سورة المؤمنون ، ٢٣ : ٥٠ .
١٠) سورة الانبياء ، ٢١ : ٩١ . ١١) سورة الشورى ، ٤٢ : ١٣ . ١٢) سورة البقرة ، ٢ : ٨٧ . ١٣) سورة البقرة ، ٢ : ١٣٦ . ١٤) سورة البقرة ، ٢ : ٢٥٣ .

اذ قالت امرأة عمران ربِ إني نذرت لك ما في بطني محرّرًا فتقبّلْ مني إنك انت السميع العليم .

فلما وضعتْها قالت ربِ إني وضعتُها أنثى والله اعلم بما وضعتْ وليس الذكر كالانثى وإني سمّيتُها مريمَ وإني أُعيذها بك وذريتَها من الشيطان الرجيم .

فتقبّلها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[١٥] .

واذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين .

يا مريم اقنُتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .

ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنتَ لديهم اذ يلقون اقلامَهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون .

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمُه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين .

ويكلّم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين .

قالت ربِ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسْني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرًا فانما يقول له كنْ فيكون .

ويعلّمه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيل .

ورسولًا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآيةٍ من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله وأبرئْ الاكمه والابرصَ واحيي الموتى بأذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين .

ومصدِّقاً لما بين يديَّ من التوراة ولأُحلَّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم وجئتُكم بآيةٍ من ربكم فاتقوا الله واطيعونِ .

ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

---

١٥) سورة آل عمران ، ٣ : ٣٣-٣٧ .

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال مَن انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهدْ بأنا مسلمون .

ربنا آمنّا بما أنزلتَ واتّبعنا الرسولَ فاكتبْنا مع الشاهدين .

ومكروا ومكرَ اللهُ والله خير الماكرين .

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .

فأما الذين كفروا فأعذّبهم عذاباً شديدًا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين .

واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين .

ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم .

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كنْ فيكون .

الحق من ربك فلا تكن من الممترين .

فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنات الله على الكاذبين .

ان هذا لهو القصص الحق وما من الهٍ الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم .

فإن تولّوا فان الله عليم بالمفسدين .

قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضُنا بعضاً ارباباً من دون الله ... [16] .

قد آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على ابراهيم واسمعيل واسحقَ ويعقوبَ والاسباط وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين احدٍ منهم ونحن له مسلمون [17] .

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ...

ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيمَ وجعلنا في ذريتهما النبوّةَ والكتابَ فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون .

١٦) سورة آل عمران ، ٣: ٤٢-٦٤ . ١٧) سورة آل عمران ، ٣: ٨٤ .

ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيلَ وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعَوها حقّ رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون[١٨] .

واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه احمد[١٩] فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين[٢٠] .

يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارَ الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَن انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنتْ طائفة من بني اسرائيل وكفرتْ طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فاصبحوا ظاهرين[٢١] .

... وبكفرهم[٢٢] وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً .

وقولهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسى بن مريم رسولَ الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ما لهم به من علمٍ إلّا اتّباع الظن وما قتلوه يقيناً .

بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً .

وإن من اهل الكتاب إلّا ليؤمننَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً[٢٣] .

إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده، واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبوراً[٢٤] .

---

١٨) سورة الحديد، ٥٧ : ٢٥–٢٧ .

١٩) احمد اسم آخر لمحمد تفسيره في رأي بعض المسلمين كتفسير البارقليط أي الروح القدس الذي وعد به المسيح قبل صعوده، في عقيدة النصارى . ٢٠) سورة الصف، ٦١ : ٦ ٢١) سورة الصف، ٦١ : ١٤ . ٢٢) «هم» ضمير يعود الى بني اسرائيل. ٢٣) سورة النساء، ٤ : ١٥٦–١٥٩ . ٢٤) سورة النساء، ٣ : ١٦٣ .

ثالوث او ثلاثية؟

يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحقَ انما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمتُه ألقاها الى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى الله وكيلًا .

لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله ولا الملائكةُ المقربونَ ومن يستنكفْ عن عبادته ويستكبرْ فسيحشرهم اليه جميعاً[٢٥]

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً[٢٦] .

ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقتْ بكلمات ربها وكتبهِ وكانت من القانتين[٢٧] .

وقالت اليهودُ عُزَيْرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبلُ قاتلهم الله أنى يؤفكون .

اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحدًا لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون[٢٨] .

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيحَ بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير .

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبّاؤه قل فَلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير .

وقفّينا على إثْرهم[٣٠] بعيسى بن مريم مصدِّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه

---

٢٥) سورة النساء، ٤: ١٧١–١٧٢ . ٢٦) سورة الاحزاب ، ٣٣ : ٧ ٢٧) سورة التحريم، ٦٦: ١٢ . ٢٨) سورة التوبة، ٩: ٣٠–٣١ . ٢٩) سورة المائدة، ٥: ١٧–١٨

٣٠) على اثر انبياء بني اسرائيل .

الانجيل فيه هدى ونور ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظةً للمتقين .

وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون[٣١] .

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النارُ وما للظالمين من انصار .

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثةٍ وما من آلهٍ إلّا آلهٌ واحدٌ وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ .

أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .

ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامّه صدّيقة كانا يأكلان الطعامَ انظر كيف نبيّن لهم الآياتِ وانظر أنّى يؤفكون .

قال أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً والله هو السميع العليم .

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غيرَ الحق ولا تتّبعوا اهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل .

لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[٣٢] .

مائدة القربان ــ عيسى في الدينونة

يومَ يجمع الله الرسلَ فيقول ماذا أُجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علّام الغيوب .

اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكرْ نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناسَ في المهد وكهلاً واذ علّمتُك الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيلَ واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون

---

٣١) سورة المائدة ، ٥ : ٤٦–٤٧ . ٣٢) سورة المائدة ، ٥ : ٧٢–٧٨ .

طيرًا باذني وتبرئ الاكمه والابرصَ باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففتُ بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم ان هـذا إلّا سحرٌ مبينٌ .

واذ أوحيتُ الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهدْ باننـا مسلمون .

اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربُّك أن ينزّل علينا مائدة من السماء قال اتّقوا الله ان كنتم مؤمنين .

قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئنَّ قلوبُنا ونعلم أنْ قد صدقتَنا ونكون عليها من الشاهدين .

قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزلْ علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وانت خير الرازقين .

قال الله اني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذّبه عذابـاً لا اعذبه احدًا من العالمين .

واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهَين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ان كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك إنك انت علّام الغيوب .

ما قلتُ لهم إلّا ما امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفّيتني كنتَ انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد .

إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم .

قال الله هذا هو يوم ينفع الصادقين صدقُهم لهم جناتٌ تجري من تحتهـا الانهار خالدين فيها ابدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم .

لله ملك السموات والارض وما فيهنّ وهو على كل شيء قدير[٣٣] .

---

٣٣) سورة المائدة ، ٥ : ١٠٩-١٢٠ . وعلى هذا تنتهي آيات القرآن جميعها ، حسب تدقيق الباحثين من ذوي الاستشراق العلمي .

الفصل الثاني

زكريا ويحيى المعمدان

يذكر القرآن زكريا في آيات معـدودات تقص سيرة الشيخ « الواهن العظم»، وقد شارف الموت حاملًا غصة العاقر فلا ذرية له ، وكيف كفل مريم في المحراب فأبصر عندها فاكهة في غير اوانهـا . كان ذلك من قطف الجنة، من رزق الله . واذ رأى العجوز المعجزة طابت نفسه وتقوّى ايمانه بالذي « يرزق بغير حساب » . عند ذلـك نادى ربه في الخفية متوسلًا اليه ان يهبه ولـدًا يرثه ، فاعطاه ربه يحيى ، اي يوحنا .

ويحيى هذا كان آية في الزهد والحرمان . لقد غلا كتَّاب قصص الأنبياء في وصف تقشّف يحيى،وقد غلبت عليه حالة البكاء والرهبة خشيةَ النار . ولكن لم يرد شيء في القرآن عن ذلك سوى أنَّ يحيى كان حَصورًا ، فهو والمسيح الاعزبان الوحيدان بين الانبياء حسب الاسلام وفيه من الاحاديث مثل:«انَّ من سنتي النكاح،والنكاح ستَّة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء » ...

اما ما ذُكر من قصته وقصة أبيه زكريا فهو مرهون باصولـه اليهودية – المسيحية وقـد اختلطت أحياناً على مؤلفيها فكوّنت سيرة شك في سرد بعض فصولها غير واحـد من مؤرّخي الاسلام كالطبري مثلًا .

وقد حاول المفسرون شرح كلمة يحيى محـاولات فاشلة ؛ ولا شك في انها من أصل قريب من السريانية ، وهي لغـة المندائيين وكانوا شيعة في شمال الجزيرة العربية تكرّم « يحو » وتعمّد بالمعمودية التي جاء بها سابقاً للمسيح .

مختصر سيرة زكريا ويحيي

وزكريا وهو زكريا بن ادّق من ولد داود من سبط يهوذا وكان تزوج اشباع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح وهو عمران بن ماران بن يعاقيم من ولد داود ايضاً . واسم ام اشباع ومريم حنـه وولدت لزكريا يحيي . وكان يحيي ابن خالة المسيح وكان زكريا نجـارًا وأشاعت اليهود أنه ركب مع مريم الفاحشة فقتلوه. وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلّهم عدوّ الله ابليس عليه فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوها وقطعوه معها.

ولما ولدت اشباع بنت عمران اخت مريم ام المسيح يحيي بن زكريا هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلًا بعثه الله الى بني اسرائيـــل فقام فيهم بامر الله ونهيــه فقتلوه وكثرت الاحداث في بني اسرائيل فبعث الله اليهم ملكاً من ناحية الشرق يقال له خردوش فقتـــل منهم على دم يحيي بن زكريا الوفاً من الناس الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل[1] .

نذر مريم وكفالة زكريا

وكان زكريا بن برخيا[2] ابو يحيي بن زكريا ، وعمران بن ماثان ابو مريم متزوجين باختين احداهما عند زكريا وهي ام يحيي والاخرى منهما عند عمران بن ماثان وهي ام مريم فمات عمران بن ماثان وام مريم حامل فلما ولدت مريم كفلها زكريا بعد موت امها لان خالتها اخت امها كانت عنده ، واسم ام مريم حنة بنت فاقوذ ابن قبيل ، واسم اختها ام يحيي الاشباع[3] ابنة فاقوذ .

وكفلها زكريا وكان مسمّاة بيوسف بن يعقوب بن مـــاثان بن اليعازر بن أليوذ بن أحين بن صادق بن عازور بن ألياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل ابن يوحنيا بن يوشيّا بن أمون بن منشّا بن حزقيًا بن آحاز بن يوتام بن عوزيا

---

١) المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٠-١٢٢

٢) زكريا بن برخيا هو تاريخيًا غير زكريا ابي المعمدان ، فبينهما اكثر من سبعمائـة سنة ، اذ ان زكريا بن برخيا هو معاصر للنبي اشعيا الذي ذكره في نبوءته ، ٨ : ٢

٣) والاصل لتعريب كلمة « الاشباع » هو سرياني .

ابن يورام بن يهوشافــاط بن آسا بن ابيًا بن رحبعم بن سليمان بن داود ابن عم مريم[٤] .

اما ابن حميد فانه حدثنا عن سلمة بن اسحاق انه قال : مريم فيما بلغني عن نسبها ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشًا بن حزقيا بن أحزيق بن يوتام بن عزريا بن امصيًا بن ياوش بن احزيهو بن يارم بن يهشافــاط بن اسا بن ابيًا بن رحبعم بن سليمان[٥] .

فولد لزكريا يحيى بن خالة عيسى بن مريم فنُبِّئ صغيرًا فساح ثم دخل الشام يدعو الناس ، ثم اجتمع يحيى وعيسى ثم افترقا بعد ان عمّد يحيى عيسى[٦] .

قال الله تعالى : اذ قالت امرأة عمران ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرّرًا — الايات — . قال المفسرون : هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليــه السلام . وعمران : قال ابن عبــاس : هو عمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى اذ بينهما الف وثمانمائة سنة . وكانت بنو مــاثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم . وقــال ابن اسحق : هو عمران بن ساهم بن امور . . . ابن سليمان بن داود عليه السلام.

وكانت القصة في ذلك ان زكريا بن يوحنًا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين ، احداهما عند زكريا بن يوحنًا وهي ايشاع بنت فاقوذ ام يحيى،وكانت الاخرى عند عمران وهي حنّة بنت فاقوذ ام مريم وكان قد أمسك عن حنــة الولد حتى ايست وعجزت وكانوا اهــل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل

---

٤) هذا النسب هو ذاته كما في الكتاب المقدس ؛ راجع انجيل مق ١ : ١٦ ، لولا بعض الاخطاء التي قد تكون نتيجة تداول النص بين ايدي الكتبة ، وهكذا نجد تحريفًا لبعض الاسماء . وهي في الانجيل كذلك نزولًا من ابراهيم الى داود ، وهذا ما اهمله الطبري ، ومن داود الى سليمان ، رحبعم ، ابيا ، آسا ، يوشافاط ، يورام ، عزيا ، يوتام ، آحاز ، حزقيا ، منسى ، آمون ، يوشيا ، يكنيا ، شالتئيل ، العازر ، يعقوب ، يوسف .

٥) لا ذكر في الانجيل لنسب مريم ، ولذلك حار الطبري بين اسماء اخذت هنا وهناك وحاول التوفيق بين ما يعرف عن قرابة مريم ويوسف من جهة ، وبين ما يقول القرآن عن صلة مريم بعمران من جهة اخرى .

٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١–٣ : ٧١١–٧١٣

شجرة اذ نظرت طائرًا يطعم فرخاً فتحركت عنـد ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى ان يهب لها ولدًا وقالت: اللهم لك عليَّ ان رزقتني ولدًا أن اتصدّق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمـه نذرًا وشكرًا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت: ربي اني نذرت لك ما في بطني محررًا أي عتيقاً من الدنيا واشغالها خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حبساً عليه مفرغاً لعبادة الله وخدمته – فتقبّل مني – الكائن، انك انت السميع العليم [٧].

قالوا وكان المحرِّر اذا حرَّر ونَذر جعل المحرَّر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحكم فاذا بلغ خُيّر بين ان يقيم وبين أن يذهب حيث شاء، وان اراد ان يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدَنة ليكون خروجه على علم منهم. ولم يكن من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسله محرر لبيت المقـدس، ولم يكن محررا الا الغلمان، وكانت الجارية لا تكلف ذلك لما يصيبها من الحيض والاذى، فحررت ام مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها: ويحكِ ما صنعت؟ أرأيتِ إن كان في بطنك انثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعاً في همّ من ذلك.

فهلك عمران وحنة حامل بمريم، فلما وضعتها اذا هي جارية، فقالت حنـة وكانت ترجو ان يكون غلاماً اعتذارًا الى الله: ربِّ اني وضعتها انثى، والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى – اي في خدمة الكنيسه والعبادة فيهـا

---

٧) قابل هـذا بنصوص الاناجيل المنحولة حيث تجد هذه القصة التي لا يستطيع علم التاريخ ان يثبت صحتها: «وبينما كانت حنة تبكي (لغياب زوجها يوياقيم) في جنينة دارها رفعت في صلاتها عينيها الى الله فرأت عشاً في شجرة غار، فتضرعت لله هاتفة والتنهـدات تقطع كلامها: «اللهمَّ السيد الضابط الكل الذي وهبت نسلًا لكل الخـلائق، للوحوش والدواب والحيات والاسماك والطيور، والذي جعلتها جميعاً تفرح بذريتها والذي حرمتني انا من نعمة عطاياك هذه. انت تعلم اللهم اني منذ بدء زواجي نذرت ان احرر لبيتك المقدس الولد الذي تهبني اياه ذكرًا كان ام انثى»، انجيل متى المزعوم، ٢: ٢؛ انجيـل يعقوب الموضوع، ٣: ١–٣؛ اما في النص الارمني لكتاب الطفولة، ٢: ٢، فهو يوياقيم وليست حنة من يدعو الله ليرزقه ولدًا.

لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى – واني سمّيتها مريم – وهي بلغتهم العابدة والخادمة . وكانت مريم عليها السلام اجمل النساء وامثلهن في وقتها[٨] .

ثم لفّتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابنـاء هارون وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بني شيبة من الكعبة فقـالت : دونكم هذه المنذورة . فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم. فقال زكريا: انا احق بها لان خالتها عندي . فقالوا : لكننا نقترع عليها . فألقوا أقلامهم في نهر جار قيل هو نهر الاردن[٩] فألقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم[١٠] .

٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧١ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠١–٣٠٢ .

٩) يقول الكسائي انهم القوا اقلامهم في عين سلوان ، قصص الانبياء ، ٣٠٢ .

١٠) تذكر الاناجيل المنحولة هذا الاقتراع وتزعم ان زكريا نفسه اجراه بامر ملاك الرب اذ ظهر له قائلا : يا زكريا ، يا زكريا ، اخرج (وكان يصلي لاجل مريم في قدس الاقداس من الهيكل) واجمع الاعيين من الشعب ، وليأت كلٌّ منهم بمروحة ، والذي يبعث الله له بمعجزة نصبح زوجاً له . فخرج المنادون واعلنوا ذلك في كل بـلاد يهوذا ، ونفخ في الصور فتقاطر الجميع . اما يوسف (وكان نجاراً) فترك فأسه وجاء ملتحقاً بهم . فاجتمعوا وجاؤوا حاملين مراوحهم الى رئيس الكهنة . وهذا اخذ المراوح ودخل الهيكل فصلى ولما انتهى من صلاته اخذ المراوح فخرج واعادها لاصحابها ولم تحدث معجزة . ولمـا استرجع يوسف مروحته ، اذا بحمامة تخرج منها وتطير فوق رأسه . عنـد ذاك قال رئيس الكهنة ليوسف : « لقد وقعت القرعة عليك لتكفل عذراء الرب » . اما يوسف فقـال معترضاً : « ان لي بنين وانا شيخ ، وهي طفلة (وكانت في الثانية عشرة) ؛ فـلا يليق بان اصبح هزأة لبني اسرائيل » . فقال له رئيس الكهنة : « اتق الرب الهك . . . » ويوسف امتلأ خوفاً وكفل مريم ؛ انجيل يعقوب الموضوع ، ٩ : ١–٣ ؛ قابل بانجيل متى المزعوم ، ٨ : ١–٥ ، حيث تجد بعض التفاصيل والمتناقضات مع النص الاول : عوضاً عن ١٢ سنـة، ١٤ سنة كذا كان عمر مريم وقت الاقتراع . وهذه القرعة وقعت بين اسباط اسرائيـل الاثني عشر ؛ اسم رئيس الكهنة ابيطار . راجع ايضاً قصة يوسف النجار ، في نصهـا العربي القديم ، الذي يذكر الاقتراع ونتيجته دون ان يذكر الاقلام او المراوح ، ٣–٣

بشارة زكريا ومولد يحيى

فأخذها وكفلها وضمّها الى خالتها ام يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة في المسجد لا يُرقى اليها الا بسلّم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. فيقول : أنّى لكِ ذلك فتقول : هي من عند الله[١١] فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء. وفاكهة الشتاء في الصيف فقال : ان الذي فعل هذا بمريم قادر على ان يُصلح لي زوجتي حتى تلد فقال : ربِّ هبْ لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم، فاذا هو برجل شاب ، هو جبرائيل ففزع زكريا منه فقال له : ان الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بكلمةٍ من الله ، يعني عيسى بن مريم عليه السلام . ويحيى اول من آمن بعيسى وصدّقه وذلك ان امه كانت حاملًا به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها : يا مريم أحامل انتِ ؟ فقالت: لماذا تسألينني ؟ قالت: اما اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك[١٢] ؛ فذلك تصديقه . وقيل صدّق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين ، وسمّاه الله تعالى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم ، قال الله تعالى : لم نجعل له من قبل سمياً ، وقال تعالى : والسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً . قيل : اوحش ما يكون ابن آدم في هذه الايام الثلاثة ، فسلمه الله من وحشتها. وانما وُلد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة اشهر . وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان . قال : ربِّ أنى يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ؛ وكان عمره اثنين وتسعين سنة . فقيل له لذلك : الله يفعل ما يشاء . وانما قال ذلك استخبارا هل يُرزَق الولدَ من امرأته العاقر ام غيرها ، لا انكارًا لقدرة الله تعالى. قال: ربِّ اجعل لي آية ، قال : آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزًا. قال: أمسك الله لسانه عقوبةً لسؤاله – الآية – والرمز : الاشارة[١٣] .

---

١١) هذه المعجزة التي اوردها القرآن وتناقلها المؤرخون من بعده، لم تذكرها الاناجيل الموحاة ولا الموضوعة منها .

١٢) قابل بكلام الانجيل ، لوقا ، ١ : ٤١–٤٤ .

١٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١١–٢١٣ ؛ قابل بنص الانجيل : «كان

قال محمد بن اسحاق : ثم اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها (أي تأكل من قطف الجنة) ثم ضعف زكريا على حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال : يا بني اسرائيل تعلمون والله اني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي ؟ فقالوا : والله لقد جهدنا واصابنا من الجهد ما ترى . فتدافعوها بينهم، ثم لم يجدوا من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام، فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها . قال : فعرفت مريم من وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له : يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا . فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فاذا ادخله عليها وهي

في ايام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيا وامرأته من بنات هرون اسمها اليصابات وكانا كلاهما بارين امام الله . . . ولم يكن لهما ولد لان اليصابات كانت عاقرًا، وكانا كلاهما قد تقدما في ايامهما . وبينما كان يكهن في نوبة فرقته امام الله اصابته القرعة على عادة الكهنوت ان يدخل هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلي خارجاً . . . فترآى له ملاك الرب واقفاً على يمين مذبح البخور فاضطرب زكريا حين رآه ووقع عليه خوف، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا فان طلبتك قد استجيبت وامرأتك اليصابات ستلد ابناً فتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده لانه يكون عظيماً قدام الرب ولا يشرب خمرًا ولا مسكرًا ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن امه ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم . . . فقال زكريا للملاك : بمَ اعلم هذا فاني انا شيخ وامرأتي قد تقدمت في ايامها . فاجاب الملاك وقال له : انا جبرائيل الواقف امام الله وقد أُرسلتُ لأكلمك وأبشرك بهذا وها انك تكون صامتاً فلا تستطيع ان تتكلم الى يوم يكون هذا لانك لم تصدق كلامي الذي سيتم في اوانه . وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من ابطائه في الهيكل، فلما خرج لم يستطع ان يكلمهم فعلموا انه قد رأى في الهيكل رؤيا، وكان يشير اليهم وبقي ابكم . . . اما اليصابات فلما تمّ زمان وضعها ولدت ابناً فسمع جيرانها واقاربها ان الرب قد عظّم رحمته لها ففرحوا معها . وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي فدعوه باسم ابيه زكريا فاجابت امه قائلة : كلّا لكنه يدعى يوحنا، فقالوا لها : ليس احد في عشيرتك يدعى بهذا الاسم، ثم أومأوا الى ابيه ماذا يريد ان يُسمّى، فطلب لوحاً وكتب فيه قائلًا يوحنا، فتعجبوا كلهم . وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم مباركاً لله » ؛ لوقا، ١-٥-٥٧-٦٤ .

في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثّره ، فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلًا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها : يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب[١٤].

الا ترى وفقك الله الى زكريا عليه السلام لما دخل على مريم المحراب وهي بتول محررة ... ورأى عندها رزقاً فطلب من عند الله ذلك ان يهبه ولـداً حين تعشق بجمالها يقول : ربِّ هب لي من لدنك ... ذرية طيبة انك سميع الدعاء . ومريم في خياله من حيث مرتبتها وما اعطاها الله من الاختصاص بالعناية الالهية . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب.. .ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيـداً ، وهو الكمال لان مريم كملت فكمل يحيى ، وحصوراً وهو الذي اقتطعه الله عن مباشرة النساء،وهو العنين عندنا ، كما اقتطع مريم عن مباشرة الرجال وهي البتول فكان يحيى عليه السلام زئر النساء. كما كانت حنة مريماً ، لان المريم المنقطعة من الرجال ، واسمها حنه ومريم لقب لها وصفت به كما ذكرناه آنفاً . فانظر ما أثر سلطان الخيال عن زكريا في ابنه يحيى عليه السلام حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم لما اعطاها الله من المنزلة[١٥] .

روي ان جماعة قصدوا دار زكريا عليه السلام فاذا فتاة جميلة رائعة قـد اشرق البيت لها حسناً قالوا : من انتِ ؟ قالت : انا امرأة زكريا عليه السلام. قالوا بينهم : كنّا نرى نبيَّ الله زكريا لا يريد الدنيا فاذا هو قد اتخذ امرأة

---

١٤) الثعلبي ، قصص الانبياء، ٣٧٣ ؛ هذا الاقتراع الثاني ان هو استنبط الا ليوفق بين امرين ، اولهما ما يقول القرآن عن كفالة زكريا لمريم، وثانيهما ما تقول الاناجيل المنحولة عن كفالة يوسف لمريم ؛ ولدى هذا المأزق التاريخي اختلق المؤرخ القصة هـذه فتشابه دور زكريا ودور يوسف فاذا هما نجاران واذا هما كافلان مريم . اما تردد زكريا في حمـل بنت عمران في زمن أزمة بني اسرائيل ، فهو تردد يوسف امام الكفالة ذاتها ولم يكن ذلك بسبب ضيقة العيش فحسب بل نظرًا لكبره، انظر اصل ذلك في انجيل يعقوب المنحول، ٩ : ٢ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٤ : ٥–٦ ؛ انجيل متى المزعوم ، ٨ : ٤ .

١٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٦٥٣

جميلة رائعة ، فقال عليه السلام : انا انا تزوجت امرأة جميلة رائعة لاكف بها بصري واحفظ بها فرجي[١٦] .

لقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرًا لقوم فقدموا له رغيفة اذ كان لا يأكل الا من كسب يده . فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال : اني اعمل لقوم بالاجرة وقدموا اليَّ الرغيف لاتقوّى بـه على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفِكم ولم يكفِني وضعفتُ عن عملهم[١٧] .

مصرع زكريا

لما قتل يحيى وسمع ابوه بقتله مرَّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه اشجار فأرسل الملك في طلبه فمرَّ زكريا بالشجرة فنادته : هلمَّ يا نبي الله . فلما انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقي في وسطها . فـأتى عدو الله ابليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا اخبرهم . ثم لقي الطلب فأخبرهم فقال لهم : ما تريدون ، فقالوا : نلتمس زكريا ، فقال : انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها ، قالوا : لا نصدقك ، قال : فان لي علامة تصدقوني بها ، فأراهم طرف ردائه فأخـذوا الفؤس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمنشار فمات زكريا فيها . فسلَّط الله عليهم اخبث اهل الارض فانتقم به منهم[١٨] .

وقيل ان السبب في قتله ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف

---

١٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٧٥.

١٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ٣٠.

١٨) حسب نص الطبري ان الشيطان تشبه لزكريا بصورة راع واوعز اليه ان يدخل الشجرة فدل عليه طالبيه مشيرًا الى هدب ردائه ، ويزيد الطبري : « وليس تجد يهودياً الا تلك الهدبة في ردائه » . ولكن سبب الهدبة هو غير ذلك ، راجع الكتاب المقدس ، سفر العدد ، ١٥ : ٣٨ ...

زكريا بمريم ... فطلبوه فهرب من دخوله الشجرة نحو ما تقدم[19] .

روي ان زكريا عليه السلام لمّا هرب من الكفّار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلــك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا ، فأنّ منه انّة ، فأوحى الله تعالى اليه : يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لامحونّك من ديوان النبوّة ، فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قُطع شطرين[20] .

ويروى في بعض الاخبار ان زكريا عليه السلام لما وضع على رأسه المنشار أنّ أنّة . فأوحى الله تعالى اليــه : ان صعدت اليّ منك أنة اخرى لاقلبنّ السموات والارض بعضها على بعض[21] .

---

١٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٧–٢١٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣٢ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٠–٣٨١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٠–١٢١ . لقد خلط المؤرخون هنا بين احداث عديدة فنسبوا قتل زكريا لامرين : اولهما هربه بعد موت ابنه يحيى ودخوله الشجرة وهذا ما تذكره الاناجيل الموضوعة ولكن على نحو آخر وهو ان هيرودس ارسل فقتل الاطفال من عمر اثنين فما دون . وكان يطلب يوحنا لانه كان سمع من المجوس ان طفلًا وُلد وسيكون الملك المنتظر ان يملك على بني اسرائيل ، فلما سمعت اليصابات بطلب هيرودس حملت ابنها وهربت به الى مكان مقفر من الجبل ونادت الجبل لينفتح لها فانشق الجبل فاختبأت فيه مع ولدها . وعاد رسل هيرودس يطلبون الصبي من ابيه ، فاقسم زكريا انه يجهل موضع الام والولد ، فقتله هيرودس ليلتئذ قرب المذبح ، راجع انجيل يعقوب الموضوع ، ٢٢–٢٣ : انجيل الطفولة ، في نصه الارمني ، ١٤ : ١–٥ .

والسبب الثاني في قتل زكريا هو قذفه بالفاحشة زورًا ؛ وهذه التهمة تذكرها الاناجيل المنحولة ايضًا عن يوسف الشيخ النجار الذي كفل مريم ، ولكن يوسف فقــد حوكم واذ ظهرت براءته فلم يصبه اذى ، راجع انجيل متى المزعوم ، ١٢ : ١ ؛ انجيل يعقوب الموضوع ، ١٥ : ٤ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٧ : ٤ .

اما قصة هدب الرداء ، فهي من اصل عبراني وقد نسبت الى موت النبي اشعيا فتخالطت كل هذه القصص وفيها التاريخ والاسطورة فأوجدت النص العربي كما قرأته .

٢٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٩٨ : مكاشفة القلوب ، ٨ ؛ الزبيدي ، اتحــاف السادة المتقين ، ٩ : ١٤٦ .

٢١) ابن عباد الرندي ، الرسائل الصغرى ، طبعة بولس نويا ، في المشرق ، ١٩٥٧ ، ١ : ٧١ .

شمائل يحيي

وفي بعض الاخبار أنه لما وُلد يحيي رُفع الى السماء فتغذى بأنهار الجنـه حتى فُطم ، ثم أُنزل الى ابيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله[٢٢] .

هذه حكمة الاولية في الاسماء فان الله سمّاه يحيي اي يحيي بـه ذكر زكريا . ولم يجعل له من قبل سمياً ، فجمع بين حصول الصفـة التي فيمن غبر ممن ترك ولدا يُحيي ذكرَه وبين اسمه بذلك فسمّاه يحيي . فكان اسمه يحيي كالعلم الذوقي فان آدم عليه السلام حيي ذكره بشيث ،ونوحاً حيي ذكره بسام وكذلك الانبياء عليهم السلام . ولكن ما جمع الله لاحد قبل يحيي بين الاسم والعلم منه .

ثم انه تعالى بشّره بما قدّمه من سلامه عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً . فجاء بصفة الحياة وهي اسمه ، وأعلمه بسلامه عليـه ، وكلامه صدق فهو مقطوع به وان كان قول الروح[٢٣] : والسلام علي يوم ولـدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً اكمل في الاتحاد والاعتقاد وارفع للتأويلات . فـان الذي انخرقت فيه العادة في حق عيسى انما هو النطق فقد تمكن عقله وتكمل في ذلك الزمان الذي انطقـه الله ، ولا يلزم التمكن من النطق على اي حالة كان الصدق فيما به نطق بخلاف المشهود له كيحيي . فسلام الحق عن يحيي من هذا الوجه ارفع للالتباس الواقع في العناية الالهية من سلام عيسى على نفسه ، وإنْ كانت قرائن الاحوال تدل على قربه من الله في ذلك وصدقه ، اذ نطق في معرض الـدلالة على براءة امه في المهد فهو احد الشاهدَين ، والشاهد الآخر هزْ الجذع اليابس فسقط رطباً جنياً من غير فحل ولا تذكير ، كما ولـدت مريم عيسى من غير فحل ولا ذكر ولا جماع عرفي معتاد[٢٤] .

انما خصت الكلمة اليحيوية بالحكمة الجلالية لان الغالب على حاله احكام الجلال من القبض والخشية والحزن والبكاء والجد في العمل والهيبة والرقـة

٢٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٦ .
٢٣) الروح اي عيسى .
٢٤) ابن العربي ، فصوص الحكم ، ٣٤١-٣٤٤ .

بالخشوع في القلب ، فشربه من حضرة ذي الجلال فكان دائماً تحت القهر ، وقد خدّت الدموع في خده اخاديد من كثرة البكاء ، وكان لا يضحك الا ما شاء الله . وكل ذلك من مقتضيات حضرة الجلال والقيام بحقها ، ولذلك قُتل في سبيل الله وقُتل في دمه سبعون الفاً حتى سكن دمه من فورانه[٢٥].

واختلفوا لما سمي يحيي . قال ابن عباس : لان الله تعالى احيا به عقر امه. وقال قتاده وغيره : لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان والنبوة . وقال الحسن بن فضل : لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهمّ بمعصية ، دليله مـا اخبرني به الحسن بن فتحويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلعم : ما من احد يلقى الله عز وجلّ الا قد همّ بخطيئة او عملها الا يحيي بن زكريا فانه لم يهمّ ولم يعمل. قال الاستاذ : وكان شيخنا ابو القاسم الجنيد يقول : سمي بذلك لانه استشهد والشهداء عند ربهم يرزقون. قال النبي صلعم : من هوان الدنيا على الله ان يحيي بن زكريا قتلته امرأة . قال:وسمعت ابا منصور الحمشاوي يقول:قال عمر بن عبدالله المقدسي: اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لساره — وكان اسمها كذلك — : اني مخرج منكما عبدًا لا يهمّ بمعصيتي اسمه حيّ فهبي له من اسمك حرفاً ، فوهبت له اول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيي وصار اسمها ساره — مصدقاً بكلمة من الله— يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير اب : كن فكان ، فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وُجد . ويحيي اول من آمن بعيسى وصدّقه . . .

قال سعيد بن المسيَّب : وسيدا ، السيد : الفقيه العالم . وقال سعيد بن جبير : السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال الضحاك : السيد الحسن الخلق. وقال عكرمة : الذي لا يغضب . وقال سفيان : الذي لا يحسد — وحَصورًا ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهنّ . فَعول بمعنى فاعل ، يعني انـه حصر نفسه عن الشهوات . وقال ابن المسيَّب والضحاك : هو العَنين الذي لا باءة له . ودليل على هذا التأويل ما اخبرني به

---

٢٥) القاشاني ، شرح . . . ، ٣٤١–٣٤٢

ابن فتحويه باسناده عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه ان شاء او يرحمه الا يحيي بن زكريا فانه كان سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين . ثم اومأ النبي صلعم الى قذاة من الارض فاخذها قال...[٢٦] وقال المدني : الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل[٢٧] .

فلما وُلد رآه ابوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويًا في طاعة الله مذ كان صبيًا . قال الله تعالى : آتيناه الحكم صبيًا . قيل انه قال له يومًا الصبيان امثاله : يا يحيي اذهب بنا نلعب ، فقال لهم : ما للعب خُلقت .

وكان يأكل العشب واوراق الشجر[٢٨]، وقيل كان يأكل خبز الشعير . ومر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال : انت تزعم انك زاهد وقد ادخرتَ رغيف شعير ، فقال يحيي : يا ملعون هذا القوت . فقال ابليس : ان الاقل من القوت لمن يموت ، فاوحى الله اليه : اعقلْ ما يقول لك .

ونُبئ صغيرًا فكان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر ، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أين جنّه الليل ، ولم يكن له دينار ولا درهم ولا أمة واجتهد في العبادة فنظر يومًا الى بدنه وقد نحل فبكى ، فأوحى الله اليه : يا يحيي أتبكي لما نحل من جسمك ، وعزتي وجلالي لو اطلعتَ في النار اطلاعةً لتدرعتَ الحديد عوض الشعر ، فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين ، فبلغ ذلك امه فدخلت عليه واقبل زكريا ومعه الاحبار فقال : يا بُنيّ ما يدعوك الى هذا ، قال : أنت أمرتني بذلك حيث قلت : ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا الباكون من

٢٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٤-٣٧٥ .

٢٧) حذفت الجملة التالية رفقًا بالقارئ .

٢٨) وقد اورد الانجيل وصفا لزهد المعمدان : « وكان لباس يوحنا من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه الجراد وعسل البر » ، ٣ : ٤ ؛ « عظيمًا امام الرب لا يشرب خمرًا ولا مسكرًا » ، لوقا ، ١ : ١٥ ؛ وهذا الرفض الانجيلي لكل لهو هو مصدر الحادثة التي اوردها مؤرخو الاسلام عن رفضه اللعب مع الصبيان .

خشية الله ، فقال : فابكِ واجتهدْ اذن . فصنعت له امه قطعتي لبد على خديه تواري اضراسه فكان يبكي حتى يبلّها . وكان زكريا اذا اراد يعظ الناس نظر فان كان يحيي حاضرًا لم يذكر جنّة ولا نارًا[٢٩] .

دخل يحيي بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك ، فرجع الى ابويه فمرّ بصبيان يلعبون ، فقالوا له: يا يحيي هلمّ لنلعب فقال: اني لم اخلق للعب . قال : فاتى ابويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارًا ويصبح فيه ليلًا حتى اتى عليه خمس عشرة سنة، فخرج ولزم اطواد الارض وغيرانَ الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك ، فسأله ابوه أن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمُدح بالبرّ ، فرده ابواه الى بيت المقدس . فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمَدَر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه ، فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين ، فقالت له امه : يا ابني لو أذنت لي ان اتخذ لك شيئاً تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فألصقتها على خديه فكان اذا قام يصلي بكى ، فاذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت اليه امه فعصرتها ، فاذا رأى دموعهُ تسيل على ذراعي امه قال : اللهم هذه دموعي وهذه امي وأنا عبدك وانت ارحم الراحمين . فقال له زكريا يوماً : يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي بكِ . فقال يحيي : يا أبت ان جبريل عليه السلام اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكّاء ، فقال زكريا عليه السلام : يا بُنيّ فابكِ[٣٠] .

---

٢٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٣ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٩ .

٣٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ٤ : ١٣١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٤٨ ؛

روي عن يحيي بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيي آثرت عليَّ الدنيا ، فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه(٢١) .

قال علي بن أبي طالب : شبع يحيي بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيي أوَجدتَ داراً خيراً لك من داري ، أم وجدتَ جواراً خيراً لك من جواري ، فوَعزتي وجلالي يا يا يحيى لو اطلعتَ على الفردوس اطلاعةً لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً. ولو اطلعتَ الى جهنم اطلاعةً لذاب شحمك ولبكيتَ الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح(٢٢) .

كان طعام يحيى بن زكريا العشب وانه كان ليبكي من خشية الله تعالى ما لو كان القار على عينيه لاحرقه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه(٢٣) .

عن المحاسبي : اوحى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام : اني قضيت على نفسي ان لا يحبني عبد من عبادي أعلمُ ذلك منه الا كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يبصر به ولسانَه الذي يفهم به فاذا كان ذلك كذلك بغَّضتُ اليه الاشتغال بغيري وأدمتُ فكرته وأسهرتُ ليله وأظمأتُ نهاره .

يا يحيى انا جليس قلبه وغاية امنيته وامله أهب له كل يوم وساعة فيتقرب مني واتقرب منه واسمع كلامه وأجيب تضرعه ، فوَعزتي وجلالي لابعثنه مبعثاً

عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٤١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٣ ؛ قابل بما يقول الانجيل عن زهد يوحنا ، متى ، ٣ : ١-٦؛ مرقص ، ١ : ٤-٦ ؛ لوقا ، ١ : ١٥، ٨٠ ؛ ٣ : ٢-٣ .

٢١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٤٧ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٩٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ، ٣ : ٤ ؛ ١١ : ٨ .

٢٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٤٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ١٨٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ٣٣٤ .

٢٣) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٥ .

يغبطه به النبيون والمرسلون ، ثم آمر منـادياً ينادي : هذا فلان بن فلان ولي الله وصفيّه وخيرته من خلقه دعاه الى زيارته ليشفي صدره من النظر الى وجهه الكريم ، فاذا جاءني رفعت الحجاب فيما بيني وبينه فنظر اليّ كيف شاء، وأقول أبشرْ ، فوَعزتي وجلالي لاشفينّ صدرك من النظر اليّ ولأجددنّ كرامتك في كل يوم وليلة وساعة(٣٤) .

قال النبي صلعم : ان الله امر يحيى بن زكرياء بخمس كلمات ليعمل بهـا ويأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهـا وانه كاد يبطئ ، فقال عيسى : ان الله امرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني اسرائيل ان يعملوا بها فاماً ان تأمرهم واما ان آمرهم ، فقال يحيى : اخشى إن سبقتني بها أن يُخسف بي او أعذَّب .

فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف ، فقال : ان الله أمرني بخمس كلمـات ان اعمل بهنّ وآمركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فان مثل من أشرك بالله كمثل رجـل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب او ورق ، فقال : هذه داري وهذا عملي فاعمـلْ وأدِّ اليّ ، فكان يعمل ويؤدي الى غير سيده فأيكم يرضى ان يكون كذلك.

وان الله يأمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجـه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرّة فيها مسك وكلهم يعجب او يعجبه ريحها وان ريح الصائم عند الله اطيب من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فأوثقوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : انا افديه منكم بالقليل وبالكثير ففـدى نفسه منهم .

وأمركم ان تذكروا الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العـدو في اثره سراعاً حتى اتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم ، كذلـك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله(٣٥).

٣٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠: ٨٢ .

٣٥) مخطوطة مكتبـة الاسكوريال ، عدد ١٩٤٩ : ١٣ صفحة ٧ ، ذكره اسين

... عن النبي انه قـال : رحم الله أخي يحيي حين دعاه الصبيان الى اللعب وهو صغير فقال: ما للعب خُلقت، فكيف بمن ادرك الحنث من مقاله[٣٦].

يروى عن يحيي بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له : « لِمَ فعلت هذا » فقال : ما ظننتها الا جدارًا[٣٧].

قال يحيي بن زكريا للمكذبين من بني اسرائيل : يا نسل الافـاعي من دلكم على الدخول في المساخط الموبقـة بـكم ! ويلكم تقربوا بعمل صالح ولا تغرنكم قرابتكم من ابراهيم فان الله قادر على ان يستخرج من هـذه الجنادل نسلًا لابراهيم ! ان الفأس قد وُضِعتْ في اصول الشجر فأخلقْ بكل شجرة مرّة الطعم أن تقطع وتلقى في النار[٣٨].

قال يحيي لعيسى عليهما السلام : لا تكن حديد النظر الى ما ليس لك فانه لن يزني فرجك ما حفظتَ نظرك . فان استطعت ان لا تنظر الى ثوب المرأة التي لا تحلّ لك فافعلْ ولن تستطيع ذلك الا باذن الله تعالى[٣٩].

قيل ليحيي : ما بدء الزنا ؟ قال : النظر والتمني[٤٠].

بلاثيوس في الموسوعة الشرقية، ١٠ : ٥٦٠ ، عدد ١٦٣ ، ثانيًا ؛ السمرقندي ، تنبيه الغافلين، ١٦٣ .

٣٦) الهندي ، كنز العمال ، ٦ : ٢٠٤٢ ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٩٥ عدد ٢١٢ .

٣٧) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٤ : ٢٨٦ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ١٠ : ١٠١

٣٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ قابل بما ورد في الانجيل على لسان النبي ذاته ؛ متى ٣ : ٧ - ١٠ ؛ لوقا ٣ : ٧ - ٩ : « يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب من السخط الآتي ، اثمروا ثمرًا يليق بالتوبة ولا يخطر لكم ان تقولوا في نفوسكم ان ابانا ابراهيم لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجـارة اولادًا لابراهيم . ها ان الفأس وُضعت على اصل الشجر فكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى في النار . »

٣٩) عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل، متى ، ٥ : ٢٨ : « ان كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه . »

٤٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ٣ : ٧٤ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٣٣، قابل بالانجيل متى ٥ : ٢٨ .

مرّ يحيي بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي[٤١] عليه السلام فسمع صوتاً من القبر يقول : سبحان مَن تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت ، فمضى ؛ فاذا هو بصوت من السماء : انا الذي تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت ، من قالهن استغفرت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن[٤٢] .

ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى انه قال : ان ابليس لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له يحيى بن زكريا : اخبرني عن طبائع ابن ادم عندكم فقال ابليس : أما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء ؛ والصنف الثاني فهم بايدينا كالكرة في ايدي صبيانكم وقد كفونا انفسهم ؛ والصنف الثالث فهم اشد الاصناف علينا فنقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد به علينا ما ادركنا منه فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه[٤٣] .

ذكر عن يحيى عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيي : ما هذه ؟ فقال : هذه الشهوات التي اصيد بها بني آدم ، فقال له : هل تجد لي فيها شيئاً ؟ قال : لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة ، قال : لا جرم اني لا اشبع بعدها ، قال ابليس : لا جرم اني لا انصح بعدها احداً ابداً[٤٤] .

لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له : يا ابليس أخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك ، فقال : أحبّ الناس اليَّ المؤمن البخيل وابغض الناس اليَّ الفاسق السخي . قال له : لِمَ ؟ قال : لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله .

---

٤١) بين يوحنا (يحيى) ودانيال النبي اكثر من خمسمائة سنة حسب التاريخ .

٤٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٥ .

٤٣) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٢١٧ ؛ قابل بقصة القديس باخوميوس وقد ظهر له ابليس بصورة امرأة فاخبره عن التجارب التي بها يصطاد الناس ، راجع : حياة الاباء ، ١٣٥ يميناً ، طبعة روزفيد (Rosveyde) .

٤٤) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٣٢ .

ثم ولى وهو يقول : لولا انك يحيى لما اخبرتك [٤٥] .

وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه قال لابليس : هل وجدت مني شيئاً قط ؟ قال : لا ، الا انك ربما شبعت فثقلت عن الصلاة . فعاهد الله تعالى ان لا يشبع حتى يخرج من الدنيا [٤٦] .

انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ، اي لم نجعل احداً لم يذنب سواه ، لان يحيى من الحياة ، وقد احيا الله تعالى قلبه به فلم يذنب ولم يهم به . قال عليه السلام [٤٧] : ما من آدمي اخطأ او هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا [٤٨] .

بلغنا ان الخبيث ابليس تبدى ليحيى بن زكريا علية السلام فقال له : اني اريد ان انصحك ، فقال : كذبت انت لا تنصحني ولكن اخبرني عن بني آدم ، فقال : هم عندنا على ثلاثة اصناف ، أما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا ، نقبل حتى فتنته ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء . واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نلقيهم كيف شئنا ، قد كفونا أنفسهم . واما الصنف الآخر منهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء . فقال له يحيى على ذلك : هل قدرت مني على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فانك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل اشهّيه اليك حتى اكلت اكثر مما تريد ، فنمتَ تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنتَ تقوم اليها . قال : فقال له يحيى : لا جرمَ ،

---

٤٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٧٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٩٩ ؛ ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ١ : ٦٥ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٩٢

٤٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٨٣-٣٨٤

٤٧) محمد في حديث مذكور عنهُ .

٤٨) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٨٥ ؛ يحيى لم يهم بذنب ؛ واما عيسى فقد عصم قبل مولده من كل ذنب .

لا شبعت من طعام ابدًا حتى اموت ، فقال له الخبيث : لا جرمَ ، لا نصحتُ آدميًا بعدك[٤٩] .

ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يقربها، قيل لغض البصر ، وقيل للفضل في ذلك كأنه اراد ان يجمع الفضائل كلها ، قيل للسنّة[٥٠] .

ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتأهلين وهم خمس وثلاثون ، وقد ذكرنا آنفاً ان يحيى عليه السلام قد تزوج ، واما عيسى فانه سينكح اذا نزل من السماء ويولد له[٥١] .

مصرع يحيى

وقيل ان عيسى بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلّمون الناس . قال : وكان فيما نهوهم عنه نكاح بنات الاخ ... وكان لملكهم ابنة اخ تعجبه يريد ان يتزوجها ، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك امها قالت لها : اذا دخلتِ على الملك فسألك حاجتك فقولي : حاجتي ان تذبح لي يحيى بن زكريا ، فقال : سليني غير هذا . قال : فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فبذرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر فجاءته عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه ان يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين الفاً منهم في سنّ واحدة فسكن ...

ثم ان ملك اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في امره ولا يقطع امرًا دونه وانه هوى ان يتزوج ابنة امرأة له فسأل يحيى عن ذلك فنهاه عن نكاحها وقال : لست ارضاها لك . فبلغ ذلك امها فحقدت

---

٤٩) عن وهيب بن الورد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٨

٥٠) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٥٣ ؛ في السنة ان النكاح خير من التبتل ، وقد قال النبي : خافوا لقاء الله عزّبا . . وان سجدة واحدة من متأهل خير من الف سجدة من متبتل . . . الى ما هنالك من احاديث بهذا النوع .

٥١) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٥٥ ؛ انظر في ادناه ، الفصل التاسع .

على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً وطيبتها وألبستها الحلي وألبستها فوق ذلك كساء اسود فأرسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه وان تعرض له فان ارادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فان اعطاها ذلك سألته ان تؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت فجعلت تسقيه وتعرض له، فلما اخذ في الشراب ارادها على نفسها فقالت: لا افعل حتى تعطيني ما اسألك، قال: ما تسأليني ؟ قالت: اسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فأُوتى برأسه في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، قالت: ما اريد ان اسألك الا هذا. قال: فلما أبت عليه بعث اليه فأُتي برأسه والرأس يتكلم حتى وُضع بين يديه وهو يقول: لا تحل لك. فلما اصبح اذا دمه يغلي فامر بتراب فأُلقي عليه فرقى الدم فوق التراب فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي[٥٢]...

---

٥٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١: ٣: ٧١٣-٧١٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١: ٢١٤؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٧٩؛ اما نهاية القصة كما يذكرها الطبري وناقله ابن الاثير، فهي ان ام الجارية صعدت الى سطح قصرها فسقطت الى الارض واكلتها الكلاب، وهي مأخوذة عن قصة ايزابال الملكة التي قتلت نابوت الايزرائيلي وقد تنبّأ لها النبي ايليا عن ميتة كهذه، وهكذا ماتت ولحست الكلاب دمها، راجع سفر الملوك الثالث، ٢١: ١٩؛ ويتابع الطبري وابن الاثير والثعلبي... القصة فاذا بالملك بختنصر تقوده امرأة من بني اسرائيل الى مكان غليان الدم وتخبره كيف يمكنه ان يفتح المدينة. وهكذا يقتل سبعين الفاً من اليهود فيسكن الدم. وتمتزج بكل هذا قصة دانيال في جب الاسود وسبي اليهود الى بابل الى ما هنالك من المتناقضات. ولقد ادرك الطبري ذلك فقال عنه مستنداً الى اهل العلم من النصارى واليهود بانه « باطل عند اهل السير والتاريخ واهل العلم بامور الماضين وذلك بانهم مجمعون اجمعون على ان بختنصر غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد ارميا بن حلقيا وبين عهد ارميا وقتل يحيى اربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى » الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١: ٣: ٧١٦-٧١٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ١٢: ٢١٥؛ وهكذا يكون المؤرخ هم باصلاح تناقض تاريخي فسقط في آخر اذ ان اشعيا لم يكن في عهد ارميا وبين الاثنين اكثر من مائة سنة (اشعيا نبيٌ حوالي

والنصارى تزعم ان يحيى ولد قبل عيسى بستة اشهر وان الذي قتله ملك بني اسرائيل يقال له هيرودوس بسبب امرأة يقـال لها هيروذيا وكانت امرأة اخ له اسمه فيلفوس عشقها فوافقته على الفجور وكان لها ابنة يقال لها دمنى فاراد هيرودوس ان يطأ امرأة اخيه المسمّاة هيروذيا فنهاه يحيى واعلمه انه لا تحـل له . فـكان هيرودس معجباً بالابنة فألهته يوماً ثم سألته حاجة فأجابها اليها وامر صاحبا له بالنفوذ لما تأمره فأمرتـه ان يأتيها برأس يحيى ففعل فلما عرف هيرودوس الخبر اسقط في يده وجزع جزعاً شديداً . . . »[٥٣]

٧٤٠ ق. م. وارميا ، حوالي ٦٢٧ ق. م.) ويقول ابن الاثير ، ١،١: ٢١٥–٢١٦ ، نقلاً عن الطبري ، ١: ٣: ٧٢١–٧٢٣ : « اما ابن اسحاق فقال الحق . . . » ويسرد قصة رجوع بني اسرائيل من جلاء بابل وتكرارهم قتل الانبياء الى ان كان آخر من قتلوا يحيى بن زكريا؛ اذ ذاك بعث الله عليهم ملكاً من بابل اسمه جودرس أو خردوس أو جردوس ، وهذا بعث قائداً من معسكره اسمه نبوزاذان او نبوزراذان الذي جاء بيت المقدس فسأل عن سبب غليان الدم فلم يصدقوه الخبر ، فذبح سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم فلم يهدأ الدم ثم ذبح سبعمائة من علمائهم فلم يهدأ . ثمّ سأل ونوعد فاخبروه الحق . اذ ذاك يخاطب الدم ليهدأ فيهدأ . ويؤمن هو بدين بني اسرائيل ويخبرهم ان الملك اقسم بان يسيل دماءهم في وسط عسكره . ولكي يفي بقسم سيده يقتل « خيلاً وحميراً وبقراً وغنماً وابلاً ويجري عليه ماء فيجري الدم في العسكر ويضع القتلى الاولين فوق المواشي فيرى الملك الدم والقتلى فيقول له كفى » — ولا بد من الاشارة الى تناقض اخبر وهو مجيء نبوزردان في زمن يحيى، وقد ذكره الكتاب المقدس في كلامه عن هدم الهيكل وسبي بني اسرائيل الى بابل . وكان ذلك تحت قيادته ، سنة ٥٨٧ قبل المسيح ويحيى ، راجع الكتاب المقدس ، سفر الملوك الرابع ، ٢٥ : ٨ .

نجد القصة ذاتها عند اليهود وهذه فقرة منها : « واذ وجد نبوزردان في ذلك الوادي دم النبي زكريا وهو غير زكريا ابي يحيى بل زكريا بن براخيا الذي تكلم عنه الانجيل) سأل السكان : ما هذا الدم ؟ فاجابوه اولاً : انه دم الحيوانات التي تقدم في الهيكل (هكذا حرفياً عند ابن الاثير) . ولكن اذ احرجهم بالسؤال اعترفوا له انه دم النبي الذي قُتل منذ سنوات ، عند ذاك اجابهم قائد الملك البابلي : سأهدّئ هذا الدم ، وهكذا فبعد ان قتل كثيراً من الشبان فتيات واطفالاً مازجاً دماءهم بدم النبي ما برح الدم يغلي ، فقال نبوزردان عندئذ : زكريا ، زكريا لقد قتلتُ افضلهم اتريد ان اقتلهم جميعاً ؟ وللحال هدأ دم النبي » ، راجع التلمود البابلي ، بابلي ، جتين ، ٥٧ شمالاً .

٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ١: ٣: ٧١٩ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،

وفي الخبر ان الشمس بكت على يحيى اربعين صباحاً وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء . ويروى ان يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم(٥٤).

يحيى يوم القيامة

ان الموت يُجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح يعرفه الناس ولا ينكره احد فيُذبح بين الجنة والنار . روي ان يحيى عليه السلام هو الذي يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه(٥٥).

فان الله يُظهره يوم القيامة في صورة كبش املح ويُنادى : يا أهل الجنة فيشرئبون ، ويُنادى : يا أهل النار فيشرئبون ، وليس في النار ذلك الوقت الا

---

١ : ٢١٣–٢١٤ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٠ ؛ اما المصدر الحق المنسوب الى النصارى فهو هذا كما تجده في الانجيل : « . . . لان هيرودس كان قد ارسل وامسك يوحنا واوثقه في السجن من اجل هيروديا امرأة أخيه فيلبس لانه كان قد تزوجها فكان يوحنا يقول لهيرودس انه لا يحل لك ان تكون لك امرأة اخيك . وكانت هيروديا تترصده وتريد قتله فلم تستطع لان هيرودس كان يخاف من يوحنا لعلمه بانه رجل بار وقديس ويحافظ عليه وكان يصنع اموراً كثيرة على حسب ما سمع منه ويصغي اليه بانبساط . ولما كان اليوم الموافق وقد صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الالوف واعيان الجليل دخلت ابنة هيروديا ورقصت فأعجبت هيرودس والمتكئين معه فقال الملك للصبية : سليني ما أردت فأعطيك وحلف لها ان مهما سألتِ مني أعطيك ولو نصف مملكتي فخرجت وقالت لامها : ماذا أسأله ، قالت : رأس يوحنا المعمدان . وللوقت دخلت على الملك مسرعة وسألت قائلة : اريد ان تعطيني على الفور رأس يوحنا المعمدان في طبق . فاستحوذ على الملك حزن شديد ولكنه من اجل اليمين والمتكئين معه لم يرد ان يصدها ، ولساعته أنفذ سيافاً وأمر أن يأتي برأسه في طبق . فانطلق وقطع رأسه في السجن وأتى برأسه في طبق ودفعه الى الصبية فدفعته الصبية الى امها . » مرقص ، ٦ : ١٧–٢٨ ؛ متى ، ١٤ : ٣–١٢ .

٥٤) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٠.

٥٥) ابن العربي ، الفتوحات المكيّة ، ١ : ٢٤٥ ؛ ٤ : ٣١٩ .

اهلها . فيُقال للفريقين : أتعرفون هذا ، وهو بين الجنة والنار ، فيقولون : هو الموت. ويأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيضجعه ويذبحه وينادي مناد: يا أهل الجنّة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت ! وذلك يوم الحسرة[٥٦].

---

٥٦) ابن العربي، الفتوحات المكيّة ، ١: ٣٥٢ ؛ ٣ : ١٣٣ ، ٢١٥ ، ٢٤٥ ؛ وكذلك قال ابو قيس في كتاب خلع النعلين ؛ وقال غيرهما : « يتولى جبريل ذبح الموت لا السيد يحيى » ، الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٠٩ .

الفصل الثالث

مريم البتول

تفرّدت مريم البتول بشمائل لم يدركها أحد غيرها، في نظر الدين الاسلامي . فلقد ذكرها القرآن باسمها وحدها من بين النساء . ولدت معصومة من أذى الشيطان الذي يطعن كل مولود في جنبه، وقُرّبت نذيرة لله حين لا ينذر الا الذكور ، ورزقت في المحراب من جنى الفردوس، وبشرها الملاك بأعجوبة الاعاجيب اذ تجسدت في أحشائها كلمة الله وروحه، عيسى ، وهي البتول التي لم تقترن بزوج ، وسلمت عليها الملائكة مرددة على الاجيال في الاسلام : « يا مريم ان الله اصطفاك على نساء العالمين» وآواها ربها الى «ربوة ذات قرار ومعين» قد تكون الجنة ، ويكون في ذلك انتقالها الى النعيم .

هذا من القرآن ، وأما الحديث فيقول عنها انها كانت سيدة نساء زمانها ، سوّدها الله على امائه جميعاً ، ولقد اصبحت في الجنة ايضاً سيدة نساء العالمين .

ومضى بعد ذلك علماء الاسلام يرددون اعجابهم ، فقالوا فيها أجمل ما يقال في امرأة ، وعيّد لها الشعب الاسلامي احياناً وصام وصلى . فهي بين العالمين الاسلامي والمسيحي نقطة الالتقاء الكبير .

مختصر سيرة مريم وعيسى

ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على اميال من بيت المقدس. ولدته في يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة من كانون الاول . وكان من امره ما ذكره الله في كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلعم . وقد زعمت النصارى ان ايشوع اي المسيح الناصري أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها المدرس ثلاثين سنة ، وقيل تسعاً وعشرين سنة ؛ وانه في بعض الايام كان يقرأ في سفر أشعيا اذ نظر في السفر الى كتاب من نور فيه : انت بني وخالصتي اصطفيتك لنفسي[1] فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول : الآن تمت كلمة الله في ابن البشر[2] .

وقد قيل ان المسيح كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت في هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت سخين كالرب تتبرك به النصارى ، وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها اناس من الصيادين وهم بنو زبدا واثنا عشر من القصارين فدعاهم الى الله وقال : اتبعوني تصيدون البشر ، فاتبعه ثلاثة من الصيادين وهم بنو زبدا واثنا عشر من القصارين . وقد ذُكر متى ويوحنا ومارقس ولوقا وهم الحواريون الاربعة الذين تلقوا الانجيل[3] فألفوا

---

١) اشعيا ، ٦١ : ١ – ٢ .

٢) قابل بالانجيل : « ودخل كعادته المجمع يوم السبت فدفع اليه سفر اشعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه : ان روح الرب علي ولذلك مسحني وارسلني . . . ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم . . . فجعل يقول لهم : اليوم تمت هذه الكتابة . . . » ، لوقا ، ٤ : ١٦ – ٢١ .

٣) كان متى ويوحنا وحدهما من الرسل او الحواريين ، اما مارقس فكان تلميذاً لبطرس الذي هو من الحواريين ، واما لوقا فكان تلميذاً لبولس . وقد كتب هؤلاء الاربعة النصوص الانجيلية بوحي من الله .

خبر عيسى عليه السلام وما كان من امره وخبر مولده وكيف عمّده يحيي بن زكريا وهو يحيي المعمداني في بحيرة طبرية ويجري الى البحيرة المنتنة ، وما فعل من الاعاجيب واتى من المعجزات وما ناله من اليهود الى أن رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وفي الانجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشيء ولا اخبر به نبيه محمد صلعم[٤] .

البشارة والميلاد في الصحراء

كانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يليان خدمة الكنيسة فكانت مريم اذ نفد ماؤها فيما ذُكر وماء يوسف ، أخذ كل واحد منهما قلّته فانطلق الى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه فيملأ قلته ثم يرجعان الى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل وكان اطول يوم في السنة واشدها حرًا ، نفد ماؤها فقالت : يا يوسف ألا تذهب بنا نستقي ، قال : ان عندي لفضلًا من ماء اكتفي به يومي هذا الى غد . قالت : لكني والله ما عندي ماء . فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فتجد جبريل قد مثّله الله لها بشرًا سويًا . فقال لها : يا مريم ان الله بعثني لأهب لك غلامًا زكيًا ، قالت : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيًا ، وهي تحسبه رجلًا من بني آدم. فقال : انما انا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا . قالت : أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيًا . قال : كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان امرًا مقضيًا ؛ أي ان الله قد قضى ان ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله . فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها وملأت قلتها ...[٥]

---

٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ١:١٢٢-١٢٤ .

٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١:٣:٧٢٣-٧٢٤ لم تذكر الاناجيل الموحاة بشارة العذراء مريم وهي تستقي الماء ، ولكن ذلك ما ذكرته الاناجيل الموضوعة ، انجيل يعقوب الموضوع ، ١١ ؛ انجيل متى المزعوم ، ٩ ؛ وقد ردد الفن المسيحي صداه في القرون الوسطى ، حتى اصبح تقليدًا شعبيًا عرفه المؤرخون والرسامون في الاسلام .

لما ارسل الله عز وجل جبريل الى مريم تمثل لها بشرًا سوياً ، فقالت: اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً،ثم نفخ في جيبها حتى وصلت النفخة الى الرحم واشتملت على عيسى . قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل الزيتون ، وكان ذلك المسجد يومئذ من اعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم فرغبا في ذلك. فكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وكناسته وطهوره وكل عمل يُعمل فيه . فكان لا يُعلم من أهل زمانها أحد اشد اجتهادًا وعبادة منها، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف. فلما رأى الذي بها استعظمه وعظم عليه وفظع به ولم يدر على ما يضع امرها ، فاذا اراد أن يتهمها ذكر صلاحها وأنها لم تغب عنه ساعة قط ، واذا اراد يبرّئها رأى الذي بها ، فلما اشتد ذلك عليه كلّمها فكان اول كلامه لها أن قال لها : إنه قد وقع من امركِ شيء قد حرصت على أن أميته واكتمه فغلبني ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدري . قالت فقل قولًا جميلًا . قال : ما كنت لاقول الّا ذلك ، فحدثيني هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت: نعم . قال : فهل تنبت شجرة بغير غيث يصيبها ؟ قالت: نعم . قال . فهل يكون ولد بغير ذكر ؟ قالت : نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر والبذر انما كان من الزرع ؟ ألم تعلم أن الله خالق الشجر من غير مطر وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياةً للشجر بعد ما خلق كل واحد منها وحده، أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى استعان عليه بالماء. ولولا ذلك لم يقدر على انباته . قال يوسف : لا أقول هكذا ولكني أقول ان الله يقدر على ما يشاء. انما يقول لذلك : كنْ فيكون . قالت له : ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر وانثى ؟ قال : بلى . فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله لا يسعه أن يسألها عنه لما رأى من كتمانها لذلك .

ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه وذلك لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتوء بطنها وضعف قوتها ودأب نظرها ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك[٦] .

---

٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١:٣ : ٧٢٤ – ٧٢٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل في

قال عكرمة : وكان جبريل عرَضَ في صورة رجل شاب امرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق . قالت الحكماء : انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على سماع كلامه فلما استعاذت منه مريم ، قال : انما انا رسول ربك ... هو علي هين (الآيات) . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها . فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد .

وقال السدي وعكرمة : ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة ، فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد . فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً اي مشرقاً لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة .

قال الحسن : انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكاناً شرقياً[٧] فاتخذت فضربت من دونهم حجاباً أي ستراً . وقال مقاتل : جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة ، اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها . قال وهب : فلما اشتملت على عيسى

التاريخ ، ١ : ٢١٨ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٢ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٢-٣٠٣ ؛ قابل بالبلوي جزئياً ، كتاب الف باء ، ١ : ٤٠٦ ، حيث تخبر مريم يوسف عن سرّ حالها قائلة استناداً الى كلام القرآن : «ان الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.» هذا النص هو توسيع يحاكي مبالغات انجيل الطفولة في نصه الارمني والسرياني ، ٧ ، لما ورد في الانجيل الحقيقي : «لما خطبت مريم ... الى يوسف وجدت من قبل ان يجتمعا حبلى من الروح القدس . واذ كان يوسف رجلها صدّيقاً ولم يرد ان يشهرها هم بتخليتها سرًا . وفيما هو متفكر في ذلك اذا بملاك الرب تراءى له في الحلم قائلًا : يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ امرأتك مريم فان المولود منها انما هو من الروح القدس .» متى ، ١ : ١٨-٢٠

٧) لا علاقة بين الامرين ، وانما اورده الحسن لان القرآن يقول ان مريم انتبذت مكاناً شرقياً . والاصح ان قبلة الكنائس عند النصارى هي جهة الشرق بسبب اورشليم حيث ولد المسيح فشاهد المجوس نجمه في المشرق ، ومن المشرق سيعود في آخر الزمان . والآباء السريان واليونان يدعون المسيح نفسه «المشرق» .

كان معها ذو قرابة يقال له يوسف[٨] .

فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فأتت اقصاه ففاجأها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، يعني نُسي ذكري واثري فلا يرى أثر ولا عين . قالت مريم: كنتُ اذا خلوت حدثني عيسى وحدثتهُ فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه في بطني . فناداها جبرئيل من تحتها أي من أسفل الجبل: لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، وهو النهر الصغير أجراه تحتها . فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرئيل ومن فتحها[٩] قال: انه عيسى انطقه الله . وهزي اليك بجذع النخلة ، وكان جذعاً مقطوعاً فهزته فاذا هو نخلة وقيل كان مقطوعاً . فلما أجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب ، فقيل لها : هزي اليك بجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب ، فقال لها : كلي واشربي وقري عيناً فاما ترينَّ من البشر احدًا فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلّم اليوم انسياً . وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي . فلما ولدته ذهب ابليس فأخبر بني اسرائيل أن مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدّون بدعوتها فأتت به قومها تحمله .

وقيل إن يوسف النجار تركها في مغارة اربعين يوماً ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها : يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً فما بالك انت . وكانت من نسل هرون اخي موسى . كذا قال . قلت انها ليست من نسل هرون ، انما هي من سبط يهوذا بن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوي بن يعقوب[١٠] . قالت لهم ما أمرها الله به . فلما ارادوها بعد

٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨١-٣٨٢ .

٩) اي فتح الميم في كلمة : « من » يعني « الذي هو تحتها » .

١٠) انها واحدة من المحاولات التي قام بها المفسرون لابعاد التناقض عن القرآن الذي يذكر مريم بابنة عمران واخت هرون . وهرون اخو موسى وبين موسى ومريم ام المسيح نحو الف وخمسمائة سنة . وكان لموسى وهرون اخت اسمها مريم ذكر اسمها الكتاب المقدس، سفر الخروج ، ١٥ : ٢٠ ؛ ومنهم من يقول ان هرون هذا كان معاصرًا لمريم : « قال

ذلك على الكلام اشارت اليه فغضبوا وقالوا : لَسخريتها بنا اشدّ علينا من زنائها . قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً . فتكلم عيسى فقال : اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حياً. فكان اول ما تكلم به العبودية ليكون ابلغ في الحجة على من يعتقد انه اله . وكان قومها قد اخذوا حجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها. ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان[1] .

(عن نوف البكالي) : كانت مريم عليها السلام فتاة بتولًا وكان زكريا زوج اختها كفلها . فكانت معه قال : فكان يدخل عليها يسلّم عليها. قال: فتقربُ اليه فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء. قال: فدخل عليها زكريا عليه السلام مرة فقربت اليه بعض مــا كانت تقرّب . قال : يا مريم أنّى لك هذا ؟ قالت :هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب. هنالك دعا زكريا ربه . قال : ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء. قال : فبينما هي جالسة في منزلها اذا رجل قائم بين يديها قــد هتك الحجب فلما رأته قالت : اني اعوذ بالرحمن ان كنت تقياً . . . وكان امرًا مقضياً (الآيات) فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها فحملت حتى اذا أثقلت وجعت كما توجع النساء .

فلما وجعت كانت في بيت النبوّة فاستحيت فهربت حياء من قومهـا نحو المشرق . وخرج قومها في طلبها يسألون عنها فلا يخبرهم عنها أحد . فأخذها المخاض الى النخلة وقالت: يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيًا. . . فناداها من تحتها قال : جبريل عليه السلام ، من اقصى الوادي ، ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، قال : جدولًا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك

قتادة : كان هرون رجلًا صالحًا من اتقياء بني اسرائيل وليس بهرون اخي موسى وذكروا انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفًا من بني اسرائيل وكلهم يسمى هرون . وقال وهب: كان هرون من افسق بني اسرائيل واظهرهم فساداً فشبهوها به » ، الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٦ .

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٠-٢٢١ .

رطباً جنياً فكلي واشربي وقرّي عيناً فاما ترينّ من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً ، فلن اكلم اليوم انسياً .

فلما قال لها جبرائيل اشتد ظهرها وطابت نفسها ، قطعت سرره ولفته في خرقة وحملته . قال : فلقي قومها راعي بقر وهم في طلبها . قالوا : يا راعي هل رأيت فتاة كذا وكذا ؟ قال : لا ، ولكن رأيت البارحة في بقري شيئاً لم أره منها قط فيا خلا . قالوا : وما رأيت منها ؟ قال : رأيتها باتت سجداً نحو هذا الوادي . فانطلقوا حيث وصف لهم . فلما رأتهم مريم عليها السلام ، جلست ترضع عيسى عليه السلام فجاءوا حتى قاموا عليها وقالوا لها : يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً . قال : امراً عظيماً . يا اخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً . قال ابو عمران : قال نوف : فأشارت اليه بأن كلموه، فعجبوا منها . قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال نوف : المهد حجرها . فلما قالوا ذلك ترك عيسى عليه السلام ثديها واتكأ على يساره ثم تكلم . قال : اني عبد الله (الآيات)[١٢] قال : فاختلف الناس فيه[١٣] .

فلما دنا نفاسها اوحى الله اليها ، ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بك عيّروك وقتلوا ولدك . فأفضت عند ذلك الى اختها ، واختها حينئذ حبلى وقد بشرت بيحيى فلما التقيا[١٤] وجدت ام يحيى ما في بطنها خر لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى[١٥] .

فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له ليس بينها، حين ركبت الحمار، وبين الاكاف شيء . فانطلق يوسف بها ، حتى اذا كان متاخماً لارض مصر في منقطع بلاد قومها، ادرك مريم النفاس والجأها الى آري حمار، يعني مذود الحمار،

---

١٢) سورة مريم ١٩ : ٢٧-٣٣ .

١٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء، ٦ : ٥١-٥٢ .

١٤) هكذا في الاصل .

١٥) وفي الانجيل : « فعندما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من الروح القدس ، فصاحت بصوت عظيم وقالت : . . . فانه عندما بلغ صوت سلامك الى اذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني .» لوقا ، ١ : ٤١-٤٤ .

في اصل نخلة وذلك في زمان الشتاء . فاشتد على مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة قاموا صفوفاً محدقين بها . فلما وضعت وهي محزونة ، قيل لها : ألا تحزني (الآيات ، حتى انسيا)[١٦] فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء .

فأصبحت الاصنام التي كانت تُعبد من دون الله حين ولدت بكل ارض مقلوبة منكوسة على رؤوسها. ففزعت الشياطين وراعها، فلم يدروا ما السبب، فساروا عند ذلك مسرعين حتى جاءوا ابليس وهو على عرش له في لجة خضراء. يتمثل بالعرش يوم كان على الماء. ويتحجب يتمثل بالحجب التي دون الرحمن فاتوه وقد خلا ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس جماعتهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة ، انما كان يراهم أشتاتاً فسألهم فاخبروه انه قد حدث في الارض حدث ، أصبحت الاصنام منكوسة على رؤوسها ولم يكن شيء اعون على هلاك بني آدم منها كنا ندخل في اجوافها فنكلمهم وندبر أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرهم[١٧] في اعين بني آدم ، وأذلها وأدنأها ذلك ، وقد خشينا الا يعبدوها بعد ذلك أبداً وأعلم انا لم نأتك حتى احصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء قوينا عليه فلم نزدد بما اردنا الا جهلاً . قال لهم ابليس : ان هذا لامر عظيم ، لقد علمت باني كُتمتهُ ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار ابليس عند ذلك فلبث عنهم ثلاث ساعات فمرّ فيهن (١٧) بالمكان الذي وُلد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه . فأراد ابليس ان يأتيه من فوقه فاذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم اراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا اقدام الملائكة راسية اسفل مما اراد ابليس . ثم اراد ان يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك ، ثم رجع ابليس الى اصحابه فقال لهم : ما جئتكم حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها برها وبحرها ، والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغتُ في ثلاث ساعات ، وأخبرهم بمولد المسيح وقال لهم : لقد كُتمتُ شأنه وما اشتملتْ قبله رحم انثى على ولد الا بعلمي ، ولا وضعته قط

---

١٦) سورة مريم ١٩ : ٢٤-٢٦ .

١٧) هكذا في النص .

الا وأنا حاضرها ، واني لارجو ان أُضِل به أ كثر مما يهتدي به وما كان من نبي قبله أشد علي وعليكم منه[١٨] .

قال الكلبي : لما كان يوسف ببعض الطريق اراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : انه من روح القدس فلا تقتلها . واختلاف العلماء في مدة حملها ، تسعة أشهر أو ثمانية لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى ، أو ستة ، أو ثلاث ساعات ، أو ساعة .

وقال ابن عباس : ما هو إلّا ان حملتْ ووضعتْ ولم يكن بين الحمل والوضع الا ساعة واحدة لان الله لم يذكر بينهما فصلًا . . .

وقال مقاتل : حملته أمه في ساعة وصُوّر في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة . وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى . . .

قال الربيع بن الخثيم : ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل . وقال عمرو بن ميمون : ما ادري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرًا من الرطب وقرأ هذه الآية[١٩] . قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلعم يمضغ التمر ويحنك به اولاد الصحابة حين يولدون . وقال بعض البلغاء في وصف التمر : علة الصغير ونهلة الكبير . ثم أن يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد أضرّ بها البرد. ثم أشعل لها نارًا لتصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فأطعمها اياها ،

١٨ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٢٧ – ٧٢٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ : ٢٢١–٢٢٢ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٤–٣٨٥ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٣٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٢٧٨ ؛ لا شك في ان هذه القصة هي مقتبسة مع بعض التشويش عن الاناجيل الموضوعة ؛ حيث تجد ان الاصنام تتحطم لدى دخول المسيح معابدها في مصر ؛ هكذا في انجيل متى المزعوم ، ٢٣ . وفي انجيل طفولية سيدنا ، كما ورد في نصه الارمني ، ١٥ : ٦–١٦ . وتجد حوارًا بين ابليس والشياطين يشبه ما اورده الطبري ، هكذا في انجيل نيقوديموس الموضوع ، راجع فابريسيوس : الاناجيل الموضوعة ١ : ٢٧٩ الخ . . .

١٩) وهزي بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا ، فكلي واشربي . . .

فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز[٢٠] .

فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد ارض مصر، وهي الربوة التي قال الله تعالى : وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين .

ذكر أبو اسحق الثعلبي في التفسير : ذات قرار ومعين . قال عبدالله ابن سلام : هي دمشق . وقال أبو هريره : هي الرملة[٢١] . وقال قتادة وكعب : هي بيت المقدس . وقال كعب : هي أقرب الارض الى السماء ، وقال ابو زيد : هي مصر . وقال الضحاك : هي عرصة دمشق . وقال ابو العالية : هي ايلياء . وقال القزّاز : الارض المستوية ، والمعين : الماء الطاهر .

فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها ، والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة[٢٢] .

المجوس

وذكر بعض اهل الاخبار ان مولد عيسى عليه السلام كان لمضي اثنتين واربعين سنة من ملك اغوسطوس وان اغوسطوس عاش بعد ذلك بقية ملكه وكان جميع ملكه ستاً وخمسين سنة ، قال بعضهم :واياماً . قال ووثبت اليهود بالمسيح والرئاسة ببيت المقدس في ذلك الوقت لقيصر والملك على بيت المقدس من قبل قيصر هيرودوس الكبير الذي دخلت عليه رسل فارس غلطا واخبروه ان ملك فارس بعث بهم ليقربوا الى المسيح الطافاً معهم من ذهب ومر ولبان،

٢٠) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٣–٣٨٤ .

٢١) ان التقليد المسيحي يزعم ان العائلة المقدسة ، مريم وابنها ويوسف ، قد اتخذت ، حين هربت الى مصر ، مقرًا في مطرية ، وهي مكان يبعد نحو عشرة كيلومترات عن القاهرة ، نحو هليوبوليس القديمة ؛ ومن هناك نزلوا الى ما يسمى الآن مصر العتيقة ، وهناك كنيسة اليوم اسمها ابو سرجة يحتفظ الاقباط فيها بهذه الذكرى ، راجع « انجيل طفولية سيدنا »، ٢٤–٢٥ و A. J. Butler, *The Ancient Coptic Churches in Egypt*, t.I Oxford, (1884). ص ١٨١–٢٠٥

٢٢) الثعلبي، عرائس المجالس ، ٣٨٦ .

وانهم نظروا الى نجمه قد طلع فعرفوا ذلك بالحساب وقربوا الالطاف اليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيرودوس خبرهم كاد المسيحَ فطلبه ليقتله فأمر الله الملك ان يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما اراد هيردوس من قتله ، وأمره ان يهرب بالغلام وامه الى مصر[٢٣] .

وخرج في تلك الليلة قوم يؤمنونه[٢٤] من أجل نجم طلع أنكروه وكانوا قبل ذلك يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال[٢٥] فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فروا علك من ملوك الشام فسألهم اين يريدون فأخبروه بذلك قال : فما بال الذهب والمر واللبان اهديتموه له من بين الاشياء كلها ؟ قالوا : تلك امثاله لان الذهب هو سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي هو سيد اهل زمانه ولان المرّ يُجبَر به الجرح والكسر وكذلك هذا النبي يشفي به الله كل سقيم ومريض ولان اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره[٢٦] . فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدّث نفسه بقتله فقال : اذهبوا فاذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فاني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية الى مريم وارادوا ان يرجعوا الى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى فلقيهم ملَك فقال لهم : لا ترجعوا اليه

٢٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٤٠ .

٢٤) اي يؤمنون عيسى .

٢٥) قد يكون في هذا اشارة الى نبوءة دانيال عن ابن البشر ، الفصل السابع ؛ او الى قصة الفتية في اتون النار كما سيرد ذلك في ادناه ، دانيال ، ٣ : ٥٠ ؛ وعلى كل حال فان الاناجيل الموضوعة في اصلها النسطوري ، وبين النساطرة وبلاد فارس علاقات تاريخية وجغرافية ، تذكر ان زرادشت مؤسس الدين المجوسي تنبأ عن مولد طفل من عذراء وان علامته نجم يطلع في السماء يكون اشد لمعانًا من الشمس ، وهذا النجم يكون هاديًا للمجوس الى المدينة المقدسة ، وقال المتروبوليت يشوع بن نون ان زرداشت هذا لم يكن الا بلعام المنجم ؛ انظر النص العربي « لانجيل طفولية سيدنا » وقد نقله اسحق ابن ابي الفرج ابن القسيس المتطبب في ماردين ، مخطوطة المكتبة اللورنسية في فلورنسا ، تحت جزء Codex orientalis عدد ٣٢ ، صفحة ٢ .

٢٦) اعتاد آباء الكنيسة ان يقدموا شرحًا آخر ، فالذهب في اعتقادهم هو رمز ملك المسيح ، والمرّ رمز آلامه ، واللبان اي البخور رمز الوهيته .

ولا تعلموه بمكانه فانه انما اراد بذلك ليقتله فانصرفوا في طريق آخر واحتملته مريم على ذالك الحمار ومعها يوسف حتى وردا ارض مصر فهي الربوة التي قال الله : وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين[٣٧] .

كان كورش الملك حين ولد المسيح بعث بثلاث انفس ودفـع الى أحدهم صرة من لبان والى الآخر صرة من مرّ والى الثالث صرة من تبر وسيّرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى المسيح وامه بأرض الشام .

والنصارى تغلو في قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود في الانجيـل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد المسيح فكانوا اذا ساروا سار معهم ذلك النجم واذا وقفوا وقف بوقوفهم . وقد أتينا في كتابنا « اخبـار

---

٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١:٢:٧٢٨-٧٢٩ ؛ انظر اليعقوبي الذي يورد نصوص الانجيل على حقيقتها اجمالاً، في تاريخه، ١:٧٥-٧٦؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٨٥ . وفي الانجيل : « ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك اذا مجوس اقبلوا من المشرق الى اورشليم قائلين : اين المولود ملك اليهود فانا رأينا نجمه في المشرق فوافينا لنسجد له . فلما سمع هيرودس الملك اضطرب هو وكل اورشليم معه وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح، فقالوا له في بيت لحم اليهودية لانه هكذا كُتب بالنبي : وانتِ يا بيت لحم ارض يهوذا لستِ الصغيرة في رؤساء يهوذا لانه منك يخرج المدبر الذي يرعى شعبي اسرائيل (نبوءة ميخا ، ٥:١) . حينئذ دعـا هيرودس المجوس سرًا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر . ثم ارسلهم الى بيت لحم قائلًا : اذهبوا وابحثوا عن الصبي متحققين واذا وجدتموه فاخبروني لكي اذهب انا ايضاً واسجد لـه فلما سمعوا هذا من الملك ذهبوا فاذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي . فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيماً جـدًا وأتوا الى البيت فوجدوا الصبي مع مريم امه فخرّوا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومرّ . ثم اوحي اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هيرودس فرجعوا في طريق آخر الى بلادهم . فلما انصرفوا اذا بملاك الرب تراءى ليوسف في الحلم قائلًا : قم فخذ الصبي وامه واهرب الى مصر وكن هنالك حتى اقول لـك فان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه . فقام واخذ الصبي وامه ليلًا وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس ليتم المقول من الرب بالنبي القائل (نبوءة هوشع ، ١١:١) : « من مصر دعوت ابني » ، متى ، ٢ : ١ - ١٥ .

الزمان » على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعلهم الخبز تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حفر عليها الى الماء. وانها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الارض تَقِدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر[٢٨] .

خصائص مريم

ان الله تعالى دبّر للعباد اموراً مرن النفوس سلوك طريق ذلك التدبير وعرفوه ووطنوه ، ثم له تعالى في ذلك التدبير تدبير آخر مختص . فأهل الضيق يتحيرون ويضيقون ومن عاين الصنفين والتدبيرين لم يضق . وان لله عز وجل في كل تدبير مشيئة ان شاء امضاه وان شاء أخره . فالتدبير الذي قد وطنه الناس ان يكون بالولد من ذكر وانثى . فاختص الله تعالى لعيسى بن مريم تدبيراً فحملت به مريم من غير ذكر فتحير فيه علماء ذلك الزمان واحبارهم وهلك فيه العام والسفهاء، وأدرك مريم رضي الله عنها بعض تلك الحيرة فقالت: أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً ؟ قال : كذلك يخلق ما يشاء . فأبصرت واذعنت لحكم ربّها تعالى وتقدس فاستوجبت بذلك أن اثنى عليها رب العالمين فقال : وصدّقتْ بكلمات ربها وقال: وامّه صديقة. وكذلك فعل زكريا عليه السلام فيما بشر به من الولد بعد الكبر ، وكذلك رزق مريم رضي الله عنها : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال : يا مريم أنى لك هذا، قالت: هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب.

---

٢٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤ : ٧٩ – ٨٠ ؛ اما قصة الرغفان او الارغفة فقد حورها المسعودي ، وهي في الاصل اسطورة القماط الذي اخذته مريم من اقمطة الطفل واعطته للمجوس . وعندما رجع هؤلاء الى بلادهم عيد لهم اهلوهم فاشعلوا النار التي كانوا يعبدونها والقوا فيها القماط فاشتعل ولم يحترق، ولما خمدت النار استرجعوا القماط فاذا هو ابيض كالثلج واثبت من ذي قبل فلثموه ووضعوه على اعينهم قائلين : حقاً انه لباس رب الارباب اذ ان نار الالهة لم تقدر على احراقه ؛ راجع الاناجيل الموضوعة في نصها العربي ، « انجيل طفولية سيدنا » ، ٧–٨ ؛ والسرياني ، ٣ (طبعة Sike) ؛ قابل بالكاتب السرياني النسطوري سليمان البصري ، في طبعة بودج (Budge) : *The Book of the Bee*، ٣٧–٤٠ .

فقد علم الناس ارزاقهم من مظانها من السوق ومن الكدس ومن الكرم ومن الكيس ومن ايدي الخلق ، فرزقت على وجه التدبير المختص مما لم تمسسه ايدي العالمين[٢٩] .

ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه فالتصديق بالكلمة اعظم الاشياء. لانها لم تعاين الملائكة وانما سمعت صوت البشرى : ان الله يبشرك بكلمة منه فصدقت ولم تردد[٣٠] فسماها الله صديقة في تنزيله فقال : وامه صديقة . فبالاتصال بلغ العباد أعلى منازل الصديقين فلا ينالهم في امر الله حيرة . ألا ترى ان ساره لما بُشرت باسحاق كيف اضطربت حتى أنكرت الملائكة من قولها : ان هذا الشيء عجيب . فقالوا : أتعجبين من أمر الله ؟ فتبين ههنا منها نقص وتبين الكمال من مريم حين بُشرت بالكلمة من قوله : ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين . فعندها قالت : أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر . فانما سألت من أين هذا الولد لانه قد جاءها من أمر الله ما ليس في البشر مثله والذي جاء من أمر ساره ليس بمستنكر قد يكون مثله في البشر ألا ترى أنه لما جاء الولد من ابراهيم وساره لم يفتتن الخلق به ومجيء عيسى عليه السلام فتنة[٣١] .

فقوله تعالى لمريم: اقنتي لربك اي أطيعي ربك فهذا تفسير ظاهر ، ولكن أريد من مريم القنوت في الباطن وهو أن تقبل بقلبها على الله مظلًا على النفس مشتملًا على شهواتها لئلا تتحرك وتتفرق غلياناً وتجيش حتى يفور دخانها الى الصدر الى محل اشراق نور الالوهية ، فانه ليس من حق عطايا ربنا أن يعطي عبدًا اشراق نور عظمته في صدره فيهمل العبد حراسته ورعايته حتى تفور حرارة شهواته كفوران القدر التي تغلي الى صدره كالدخان بين يدي نور العظمة في صدره . . . فأمرت مريم بالقنوت اي بالدوام وبالركود بمقابلة القلب قبالة عظمة الله

٢٩) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٩٤-٩٥ .

٣٠) وفي الهامش : « لعله لم تتردد » .

٣١) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٥٧ .

حتى يدوم لها التعظيم لجلال الله[٣٢] .

والرجال عليهن[٣٣] درجة لان حواء صدرت عن آدم فلم تزل الدرجة تصحبه عليها في الذكورة على الانوثة وان كانت الام سبباً في وجود الابن فابنها يزيد عليها بدرجة الذكورة . . . ولما كان الولد لا يدعي الا لابيه لا ينسب الى امه لان الاب له الدرجة وله العلو فينسب الى الاشرف ، ولما لم يتمكن لعيسى عليه السلام أن ينسب الى من وهبه لها بشراً سوياً أعطيتْ امه الكمال وهو المقام الاشرف فنُسب عيسى اليها فقيل عيسى بن مريم فكان لها هذا الشرف بالكمال مقام الدرجة التي بها شرف الرجال على النساء ، فنسب الابن الى ابيه لاجلها[٣٤] . وكمال مريم شهد لها بذلك رسول الله صلعم[٣٥] .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلعم : حسبك من نساء العالمين اربع : مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم[٣٦] .

وأخبرنا شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال : كل ادمي يطعنه الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وامه عليهما السلام جُعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء . قال : وذكروا لنا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم[٣٧] .

وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها[٣٨] .

(عن أبي هريرة) : ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان الا ابن مريم وامه. ثم قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم : واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم[٣٩] .

---

٣٢) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٤١٤ — ٤١٥ .
٣٣) اي على النساء .
٣٤) اي لاجل الدرجة .
٣٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ١٢–١٣ .
٣٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ ؛ ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، ٢ : ٣٤٤ .
٣٧) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ .
٣٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ .
٣٩) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٢٤ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٢ : ٢٣٣، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٢ ، ٣١٩ ، ٣٦٨ ، ٥٢٣ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرهل)، ٣ : ٣٦٦ .

يا معشر الملائكة اني خلقت اربع فتيات من نساء العالمين وفضلهن على الحور العين كفضل الشمس على القمر وعلى سائر الكواكب: اسيه بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد[٤٠] .

... امّ هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته وطهّر جوفها لروحه وسوّدها على امائه[٤١] .

(عن ابي هريرة) : سمعت رسول الله صلعم يقول : نساء قريش خير نساء ركبن الابل احناه على طفل وارعاه على زوج في ذات يده . قال: يقول ابو هريرة على اثر ذلك : ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط[٤٢] .

(عن علي) : سمعت رسول الله صلعم يقول: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد . قال ابو كريب : واشار وكيع السماء والارض[٤٣] .

(عن ابن معاذ) : سمعت رسول الله صلعم يقول : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[٤٤] .

وقال صلعم : اربع نساء سيدة نساء العالمين : مريم واسية وخديجة وفاطمة[٤٥] .

اما اكرم الخلق على الله عز وجل آدم خلقه الله بيده وعلّمه الاسماء كلها. واما اكرم امائه عليه فهي مريم التي احصنت فرجها فنفخ فيه من روحه[٤٦] .

---

٤٠) الله هو المتكلم ، الكسائي ، قصص الانبياء ، ١٩٩ .

٤١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٩٨ .

٤٢) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٧٠ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح ، (طبعة كرهل) ، ٣ ، ٣٦٦

٤٣) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٤٣ .

٤٤) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٤٣ .

٤٥) ابن حنبل ، المسند ، ٣ : ٦٤ ، ٣٥ ؛ ابو داود ، سنن ، عدد ٥٠٤ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح ، ٢ : ٥١٥ ؛ الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٠٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٤٢ : « تلك (مريم) سيدة نساء عالمها وانت (فاطمة) سيدة نساء عالمك » .

٤٦) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢ : ٣٧٤ .

خصائص عيسى

منها تأييده[٤٧] اياه بالروح القدس. قال عز من قائل: وايدناه بروح القدس، ونظيرها في سورة المائدة اذ قال الله: يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس .

واختلفوا فيه فقال الربيع بن انس : هو الروح الذي نفخ فيه الروح اضافه سبحانه الى نفسه تكريماً وتخصيصاً ، نحو بيت الله وناقة الله ، والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى : وروح منه — فنفخنا فيه من روحنا .

وقال آخرون : اراد بالقدس الطهارة اي الروح الطاهر لانه لم تتضمنه اصلاب الفحول ولم تشتمل عليه ارحام الطوامث ، انما كان امرًا من الله تعالى .

قال السدي وكعب: روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو انه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى ان صعد به الى السماء. وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير: هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى ويري الناس تلك العجائب .

ومنها تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى : واذ علمتك الكتاب ، اي الخط . قيل : الخط عشرة اجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل[٤٨] .

الله خاصة طهر جسمه عن الاقذار الطبيعية فانه روح متجسد في بدن مثالي روحاني ولذلك بقي مدة مديدة زائدة على الف في زماننا هـذا ومن الهجرة سبعمائة وثلاثون بثلاثمائة وستة وثلاثين . فان من ميلاد النبي الى زماننا هذا سبعمائة واحدى وثمانين سنة. وذلك اما من صفاء جوهر طينته ولطافتها وصفاء طينة امه وطهارتها . ونزّه روحه وقدسه من التأثر بالهيئات الطبيعية والصفات البدنية لتأيده بروح القدس الذي هو على صورته ولهذا ما قتل وما صلب كما اخبر الله عنه لتجرده عن الملابس الهيولانية وصيّره مثلًا له بتكوين الطير من الطين وتكوين الاعراض من الحياة والصحة في الموتى والمرض في نشأته الاولى

٤٧) اي تأييد الله لعيسى .

٤٨) الثعلبي ، عرائس المجالس، ٣٩١–٣٩٢ .

وبكونه خليفة الله وخاتم الولاية في نشأته الثانية اي مثله في الصفـات ، او صيّره مثل الخلق في الصورة بتكوينه تعالى اياه من الطبيعة الجسمانية(٤٩) .

وقد قال تعالى : لقد فضلنا بعض النبيين على بعض . وقال : منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات . فكان عيسى عليه السلام من المفضلين . ولأدلاله سلم على نفسه فقال : والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً ، وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس . واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال : وسلام عليه(٥٠) .

ذكر من تكلم في المهد وهم اربعة : صاحب جُرَيج ببراءته من الزنا وشاهد يوسف ببراءته من زليخا(٥١) ابن الماشطه التي لبنت فرعون حذّرها من الكفر ، وعيسى بن مريم ببراءة امه عليهما السلام(٥٢) .

قال ابن عطا : احسن النبات ما كان ثمرته مثل عيسى روح الله(٥٣) .

المنقول عن عيسى عليه السلام انه قال : ان الله تبارك وتعالى اشتاق ان يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها واني انا ذلك النور وآدم المرآة(٥٤) .

ان الله فضّله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين(٥٥) .

---

٤٩) القاشاني ، شرح على فصوص الحكم ، ٢٥٨-٢٥٩ .

٥٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٩٣ .

٥١) زليخا اسم مزعوم لامرأة فرعون مصر ، فوطيفار ، قابل ما يقوله الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، ٣٩ : ٧-٢٠ بما يقول القرآن ، سورة يوسف : ١٢ عن يوسف بن يعقوب .

٥٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٥٥ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرهل) ، ٣ : ٣٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ١ : ٣٨٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ١٠١ ؛ الهندي ، منتخب كنز العال ، ٦ : ١٦٥ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٢ : ٣٠٧-٣٦٨ ؛ ويقول الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ١٠٠ - ١٠١ ، ان عيسى تكلم ثلاث مرات في المهد .

٥٣) البقلي في تفسيره ، ١ : ٨٠ ، ذكره ماسينيون ، مجموعة نصوص ، ٥٦

٥٤) ذكره ماسينيون ، مجموعة نصوص ، ٢٢٨-٢٢٩ .

٥٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٩٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجـاشي الاضخم ، ملك الحبشة سلام انت . فاني احمد اليك الله الملك القدوس ، السلام ، السلام ، المؤمن المهيمن ، واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاهـا الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له[٥٦] .

ولما قال اهل الطبيعة ان ماء المرأة لا يتكون منه شيء وان الجنـين الكائن في الرحم انما هو من ماء الرجل ، جعلنا تكوين جسم عيسى تكويناً آخر وان كان تدبيره في الرحم تدبير سائر اجسام البنين فان كان من مـاء المرأة — وتمثل لها الروح بشراً سوياً — او كان عن نفخ مغاير في النشء غيره من اجسام النوع ، فكان جسماً رابعاً مغايراً للاجسام الثلاثة في سبب نشئه . ولذلك قال الله تعالى : ان مثل عيسى عند الله ، اي صفة نشئه ، كمثل صفة آدم في نشئه ، خلقه من تراب ، والضمير يعود الى آدم ووقع الشبه في خلقـه من غير اب ، الا ان آدم خلقه من تراب وعيسى خلقه من نفخه فقال له ما قال.

ثم ان عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لانـه اسرع اليه التكوين لما اراد الله ان يجعله آية ويرد بـه على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما اعطتهم من العادة لا بما تقتضيه بما اودع الله فيها من الاسرار والتكوينات العجيبة . ولقد انصف بعض حذاق علماء الطبيعة فقال لا نعلم منها الا ما اعطتنا خاصة وفيها ما لا نعلم[٥٧] .

اما الانسان فقد اختلف خلقه على اربعة انواع من الخلق : فخلق آدم لا يشبه خلق حواء ، وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم ، وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق من ذُكر . . . فآدم خُلق من طين ، وحواء من ضلع آدم ، وعيسى من نفخ روح ، وبنو آدم من ماء مهين[٥٨] .

---

٥٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٥٧٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ : ٢ : ٢٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ : ٦١ الخ . . .

٥٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ١٣٨–١٣٩ .

٥٨) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ١٤٥–١٤٦ .

فأول موجود ظهر من الاجسام الانسانية كان آدم عليه السلام وهو الاب الاول من هذا الجنس . . . وهو اول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس ، ولكن كما قررناه . ثم فصل عنه اباً ثانياً سماه لنا اماً ، فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليها لكونه اصلاً ، فختم النواب من دورة الملك بمثل ما بدأ به لينبه ان الفضل بيد الله وان ذلك الامر ما اقتضاه الاب الاول لذاته فأوجد عيسى ابن مريم، فتنزلت مريم منزلة آدم، وتنزّل عيسى منزلة حواء ؛ فكما وجد انثى من ذكر وُجد ذكر من انثى، فختم بمثل ما بدأ به في ايجاد ابن من غير اب كما كانت حواء من غير ام، فكان عيسى وحواء اخوين، وكان آدم ومريم ابوين لهما.

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، فأوقع التشبيه في عدم الابوة الذكرانية من اجل انه نصب ذلك دليلاً لعيسى في براءة امه ؛ ولم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلاً موضوعاً للولادة وليس الرجل بمحل لذلك. والمقصود من الادلة ارتفاع الشكوك، وفي حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلاً لما صدر عنه من الولادة وهذا لا يكون دليلاً الا عند من ثبت عنده وجود آدم وتكوينه والتكوين منه . وكما لا يعهد ابن من غير اب كذلك لا يعهد من غير ام ، فالمثل من طريق المعنى ان عيسى كحواء ، ولكن لما كان الرجل يتطرق في مثل ذلك من المنكر لكون الانثى محلاً لما صدر عنها، ولذلك وقعت التهمة ، كان التشبيه بآدم لحصول براءة مريم مما يمكن في العادة وقوعه ، فظهور عيسى ابن مريم من غير اب كظهور حواء من آدم من غير ام وهو الآب الثاني[٥٩] .

وخص (الله) عيسى عليه السلام بكونه روحاً واضاف النفخ اليه فيما خلقه من الطين ولم يضف نفخاً في اعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى[٦٠] .

وقول عيسى عليه السلام : قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء.[٦١] فمن اكتنز ماله فقد دفن قلبه في ارض

---

٥٩) ابن العربي، الفتوحات المكية، ١ : ١٥١ .

٦٠) ابن العربي، الفتوحات المكية، ٢ : ٥٨ .

٦١) وعن الانجيل : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون . لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا

طبيعته فلا يلتذ بمشاهدة ابيه الذي هو الروح الالهي ابدًا ، ومثل هذا لا يكون ابن امه وان كان له اب، ولكن لا يُنسب اليه كعيسى بن مريم عليهما السلام يُنسب الى امه وما وهبه لها الا جبريل عليه السلام لما تمثل لهـا بشرًا سويًا واعلمها ؛ ومع هذا فما نُسب الا الى البقعة الجسمية مع كونه يحيى الموتى من حيث ما هو من هنات الروح الامين[٦٢] .

فجمع بين الصورة والروح فكان نشأة تامة ظاهره بشر وباطنه ملك، فهو روح الله وكلمته[٦٣] .

فتمثل لها جبريل او الملك بشرًا سويًا وقال لها انما انا رسول ربك لاهب لك غلامًا زكيًا فوهبها عيسى عليه السلام. فكان انفعال عيسى عن الملك الممثَّل في صورة الرجل ، ولذلك خرج على صورة ابيه ذكرًا بشرًا روحًا ، فجمع بين الصورتين اللتين كان عليهما ابوه الذي هو الملك ، فانه روح من حيث عينه ، بشر من حيث تمثله في صورة البشر[٦٤] .

واما خاتمية عيسى عليه السلام فله ختام دورة الملك ، فهو آخر رسول ظهر بصورة آدم في نشئه ، فانه لم يكن عن اب بشري ولم يشبه الابناء اعني ذرية آدم في النشء فانه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد ، فانه لم ينتقل في اطوار النشأة الطبيعية بمرور الازمان المعتادة بل كان انتقاله يشبه البعث يعني احيـاء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة من جاؤوا عليها في الزمان الكثير، فهو داخل تحت عموم[٦٥] .

لم يذكر (القرآن) في غير نشأة الانسان قط تسوية ولا تعديلًا . . لان التسوية والتعديل لا يكونان معًا الا الانسان لانه سوّاه على صورة العالم وعدّله عليه ولم يكن ذلك لغيره من المخلوقين من العناصر . ثم قال له بعد التسوية

يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك . » متى، ٦ : ٢٠-٢١ .

٦٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٣٥٧ .

٦٣) ابن العربي، الفتوحات المكية، ٢ : ٣٤ .

٦٤) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٢٠٤ .

٦٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٥٦٨ .

والتعديل : كنْ . وهو قوله : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كنْ ، فشبّه الكامل وهو عيسى عليه السلام بالكامل وهو آدم عليه السلام ، خليفة بخليفة . وغير الخلفاء انما سواه ونفخ فيه من روحه وما قال فيه انه قال له : كنْ ، او في الآية الجامعة في قوله : انما قولنا لشيء اذ اردناه ان نقول له كن فيكون[٦٦] .

انه خليفة وانسان كامل[٦٧] .

واما روح عيسى عليه السلام فهو منفوخ بالجمع والكثرة ففيه قوى جميع الاسماء والارواح فانه[٦٨] قال : فنفخنا بنون الجمع ، فان جبريل عليه السلام وهبه لها بشراً سوياً فتجلى في صورة انسان كامل[٦٩] .

ولم يحل بينه وبين ادراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الاركان في خلقه فلم يكن عن اب عنصري ولكن كان روح الله وكلمته القاها الى مريم فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال مخبراً عما شاهده من الحال فحكم في مهده على مرأى من قومه الذين افتروا في حقه على امه مريم فبرأها الله بنطقه وبحنين جذع النخلة اليه، اذ اكثر الشرع في الحكم بشاهدين عدلين ولا اعدل من هذين.

فقال اني عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان ، لانه لم يكن ثَمّ ، وانما كان حق تجلى في صورة روح جبرائيلي لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير المعتاد . . .

نسبته العنصرية في خلقه فكان اقرب الى ربه . فكان احدث عهد بعبوديته لربه[٧٠] .

فاتاه الحكم بما ذكره وهو صبي رضيع في المهد فكان اتم في الوصلة بربه من يحيى ابن خالته . فان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادُّعي فيه انه اله ، ويحيى سلم عليه ربه تعالى ولم ينص على انه عرف بذلك السلام عليه او

---

٦٦) ابن العربي ، الفتوحات المكية، ٣: ٣٣١ .
٦٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣: ٣٣١ .
٦٨) اي الله تعالى .
٦٩) ابن العربي، الفتوحات المكية، ٤: ٢١٨ .
٧٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤: ١٢٧ .

لم يعرف[٧١]. واعلم ان الناس يستغربون الحكمة في الصبي الصغير دون الكبير لانهم ما عهدوا الا الحكمة الظاهرة عن التفكير والروية وليس الصبي في العادة بمحل لذلك فيقولون انه ينطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الظاهر فزاد يحيى وعيسى عليهما السلام بانهما على علم بما نطقا به علم ذوق ، لان مثل هذا في هذا الزمان والسن لا يصح ان يكون الا ذوقاً . فان الله اتاه الحكم صبياً وهو حكم النبوة التي لا تكون الا ذوقاً[٧٢] .

ادعت طائفة من اليهود والنصارى انهم ابناء الله وارادوا التبني لانهم عالمون بآبائهم وقالوا في المسيح انه ابن الله اذ لم يعرفوا له اباً ولا تكون عن اب لجهلهم بما قال الله من تمثل الملك لمريم بشراً سوياً وجعله الله روحاً ، اذ كان جبريل روحاً فما تكون عيسى الا عن اثنين . فجبريل وهب لها عيسى في النفخ ، فلم يشعروا بذلك ، كما ينفخ الروح في الصورة عند تسويتها ، فما عرفوا روح عيسى ولا صورته وان صورة عيسى مثل تجسد الروح لانه عن تمثل . فلو تفطنت الخلق عيسى لرأيت روحاً عظيماً يقصر عنه افهام العقلاء[٧٣] .

عن ماء مريم ام عن نفخ جبرين[٧٤] في صورة البشر الموجود من طين
تكون الروح في ذات مطهرة من الطبيعة تدعوها بسجين[٧٥]
لاجل ذلك قد طالت اقامته فيها فزاد على الف بتعيين[٧٦]
روح من الله لا من غيره[٧٧] فلذا احيا الموات وانشا الطير من طين
حتى يصح له من ربه نسب حتى يؤثر في العالي وفي الدون[٧٨]

(٧١) يذكر القرآن قول عيسى : «والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً» اما عن يحيى فالضمير هو الغائب : « والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » .

(٧٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ١٢٧ .

(٧٣) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٤٤٩ . (٧٤) جبرائيل الملاك .

(٧٥) الذات المطهرة « هي مريم ، من الطبيعة اي من ادناسها وارجاسها ومقتضياتها من اللذات الشهوانية . تدعوها اي الطبيعة التي تدعو مريم اي شأن هذه الطبيعة ان تدعو مريم بسجين اي بجحيم » (شرح القاشاني) .

(٧٦) « فيها اي السماوات . على الف : مبين من علم التواريخ » (القاشاني) .

(٧٧) « اي خلقه الله بذاته لا بواسطة روح من الارواح » (القاشاني) .

(٧٨) « العالي ، اي احياء الموتى من الانسان ، الدون خلق الطير المعروف من الطين » (القاشاني) .

الله طهره جسماً ونزهه روحاً وصيّره مثلًا بتكوين[٧٩]

واعم ان من خصائص الارواح انها لا تطأ شيئاً الا حيي ذلك الشيء وسرت الحياة فيه . ولهذا قبض السامري قبضة من اثر الرسول الذي هو جبريل وهو الروح ، وكان السامري عالمًا بهذا الامر ، فلما عرف انه جبرئيل عرف ان الحياة قد سرت فيما وطئ عليه فقبض قبضة من اثر الرسول عليه السلام بالضاد او بالصاد اي بملء يده او باطراف اصابعه فنبذها في العجل فخار العجل ، اذ صوت البقر انما هو خوار ، ولو اقامه صورة اخرى لنسب اليه الصوت الذي كان لتلك الصورة كالرغاء للأبل والثواج للكباش والعياء للشياه والصوت للانسان او النطق او الكلام . فذلك القدر من الحياة السارية في الاشياء يسمى لاهوتاً والناسوت هو المحل القائم به ذلك الروح فسمي الناسوت روحاً بما قام هو به .

فلما تمثل الروح الامين الذي هو جبرئيل لمريم عليها السلام بشرًا سوياً تخيلت مريم انه بشر يريد مواقعتها فاستعاذت بالله استعاذة بجمعية منها ليخلصها الله منه لما تعلم ان ذلك مما لا يجوز ، فحصل لها حضور تام مع الله وهو الروح المعنوي . فلو نفخ فيها في ذلك الوقت على هذه الحالة لخرج عيسى لا يطيقه احد لشكاسة خلقه لحال امه فلما قال لها : انما انا رسول ربك جئت لاهب لك غلاماً ذكياً ، انبسطت عن ذلك القبض وانشرح صدرها فنفخ فيها في ذلك الحين عيسى عليه السلام . فكان جبرئيل ناقلًا كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لامته وهو قوله تعالى : وكلمته القاها الى مريم وروح منه . فسرت الشهوة في جسم مريم فخلق جسم عيسى عليه السلام من ماء محقق من مريم ومن ماء متوهم من جبرئيل سرى في رطوبة ذلك النفخ لان النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء ، فيكون جسم عيسى عليه السلام من ماء متوهم وماء محقق ، وخرج على صورة البشر من اجل امه ومن اجل تمثل جبرائيل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الانساني الاعلى الحكم المعتاد . فخرج عيسى عليه السلام يحيي الموتى لانه روح الهي ، وكان الاحياء لله والنفخ لعيسى عليه السلام كما كان لجبرئيل والكلمة لله . فكان احياء

---

٧٩) « اي مماثلًا له تعالى بتكوين اي بسبب تكوين الطير » (القاشاني) .

عيسى عليه السلام للاموات احياء محققاً من حيث ما ظهر عن نفخته كما ظهر هو عن امه فكان احياؤه ايضاً متوهماً انه منه وانما كان لله ، فجمع بحقيقته التي خُلق عليها كما قلناه انه لمخلوق من ماء متوهم ومن ماء محقق لينسب اليه الاحياء بطريق التحقيق من وجه وبطريق التوهم من وجه ، فقيل فيه من طريق التحقيق: وتحيي الموتى ، وقيل فيه من طريق التوهم: فتنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله . . .

وخرج عيسى من التواضع الى ان شرع لامته ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٨٠] وان احدهم اذا لطم في خده وضع الخد الآخر لمن يلطمه[٨١] ولا يرتفع عليه ولا يطلب القصاص منه هذا له من جهة امه اذ المرأة لها السفل حكماً وحساً . وما كان فيه من قوة الاحياء والابراء فمن جهة نفخ جبرائيل عليه السلام في صورة البشر فكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بصورة البشر ، ولو لم يأت جبرئيل عليه السلام في صورة البشر واتى في صورة غيرها من صور الاكوان العنصرية من حيوان او نبات او جماد لكان عيسى عليه السلام لا يحيي الموتى الا حين يتلبس بتلك الصورة ويظهر فيها . ولو اتى جبرئيل عليه السلام بصورته النورية الخارجية عن العناصر والاركان اذ لا يخرج عن طبيعية لكان عيسى عليه السلام لا يحيي الموتى الا حين يظهر في تلك الصورة الطبيعية النورية لا العنصرية مع الصورة البشرية من جهة امه فكان يقال فيه عند احيائه الموتى: هو لا هو ، وتقع الحيرة في النظر اليه كما وقعت في العاقل عند النظر الفكري اذا رأى شخصاً سوياً من البشر يحيي الموتى وهو من الخصائص الالهيــة احياء النطق لا احياء الحيوان ، بقي الناظر حائراً اذ يرى الصورة بشراً بالأثر الالهي ، فأدى بعضهم فيه الى القول بالحلول وانه هو الله بما احيى بــه الموتى ، ولذلك نُسبوا الى الكفر وهو الستر لانهم ستروا الله الذي احيى الموتى بصورة بشرية عيسى فقال تعالى : لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، فجمعوا بين الخطا والكفر في تمام الكلام كله لا بقولهم هو الله ولا بقولهم ابن مريم ، فعدلوا بالتضمين من الله من حيث انه احيى الموتى الى الصورة الناسوتية البشرية بقولهم ابن مريم وهو ابن مريم بلا شك فتخيل السامع انهم نسبوا الالوهية وجعلوها

---

٨٠) سورة التوبة ، ٩ : ٢٨ .   ٨١) راجع الانجيل ، متى ، ٥ : ٣٩ .

عين الصورة وما فعلوا بل جعلوا الهوية الالهية ابتداء في صورة بشرية وهي ابن مريم ففصلوا بين الصورة والحكم لا انهم جعلوا الصورة عين الحكم ...

فوقع الخلاف بين اهل الملل في عيسى عليه السلام ما هو . فمن ناظر فيه من حيث صورته الانسانية البشرية فيقول هو ابن مريم ، ومن ناظر فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية فينسبه لجبرئيل ، ومن ناظر فيه من حيث ما ظهر عنه من احياء الموتى فينسبه الى الله بالروحية فيقول روح الله ، اي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه . فتارة يكون الحق فيه متوهماً اسم مفعول ، وتارة يكون الملك فيه متوهماً ، وتارة تكون البشرية الانسانية فيه متوهمة ، فيكون عند كل ناظر بحسب ما يغلب عليه فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبد الله وليس ذلك في الصورة الحسية لغيره ، بل كل شخص منسوب الى ابيه الصوري لا الى النافخ روحه في الصورة البشرية . فان الله اذا سوى الجسم الانساني كما قال : فاذا سويته ، نفخ فيه هو تعالى من روحه فنسب الروح في كونه وعينه اليه تعالى وعيسى ليس كذلك ، فانه ادرجت تسوية جسمه وصورته البشرية بالنفخ الروحي ، وغيره ، كما ذكرنا ، لم يكن مثله. فالموجودات كلها كلمات الله التي لا تنفذ ، فانها عن كنْ وكن كلمة الله ، فهل تنسب الكلمة اليه بحسب ما هو عليه فلا يُعلم ماهيتها ، او ينزل هو تعالى الى صورة من يقول كنْ فيكون قول كنْ حقيقة لتلك الصورة التي نزل اليها وظهر فيها . فبعض العارفين يذهب الى الطرف الواحد ، وبعضهم الى الطرف الآخر، وبعضهم يحار في الامر ولا يدري، وهذه مسألة لا يمكن ان تعرف الا ذوقاً كأبي يزيد حين نفخ في النملة التي قتلها فحييت فعلم عند ذلك بمن ينفخ فنفخ وكان عيسوي المشهد.

واما الاحياء المعنوي بالعلم فتلك الحياة الالهية الذاتية الدائمة العلية النورية التي قال الله فيها : او من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس . فكل من احيى نفساً ميتة بحياة علمية في مسألة خاصة متعلقة بالعلم بالله فقد احياه بها وكانت له نورًا يمشي به في الناس اي بين اشكاله في الصورة[٨٣] .

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
فإنّا اعبدٌ حقاً وإن الله مولانا

٨٣) « اي بصفات الله واسمائه وآياته وكلماته » (القاشاني) .

وإناً عينـه فاعلم اذا ما قلتَ انسانا
فلا تحجب بانسان فقد اعطاك برهانا
فكن حقاً وكن خلقاً تكن بالله رحمانا
وغذِّ خلقه منـه تكن روحاً وريحانا
فاعطيناه مـا يبدو به فينـا واعطانا
فصار الامر مقسوماً باياه وايـانا
فاحياه الذي يدري بقلبي حين احيانا
فكنا فيه اكوانا واعيانـاً وازمانا
وليس بدائم فينا ولكن ذلك احيانا[٨٣]

انما خص الحكمة النبوية بالكلمة العيسوية وان كانت جميع هذه الحكم نبوته لان نبوته فطرية غالبة على حاله وقد انبأ عن الله في بطن امه بقوله : لا تحزني وقد جعل ربك تحتك سرياً ، وفي المهد بقوله : اتاني الكتاب وجعلني نبياً ، الى وقت بعثه وهو الاربعون سنة لقوله[٨٤] عليه السلام : ما بُعث نبي الا بعد الاربعين ، وقيل انها ليست مهموزة عن النبأ بل ناقصة من نبأ ينبؤ نبوءا ، يعني ارتفع لارتفاع مقامه من ابناء البشرية ، وبقوله تعالى: بل رفعه الله اليه .

والختم الولاية عليه من خصائص الروح الذي هو نفس روحاني من صفاته الذاتية الحياة ، انه ما يمر على شيء من القوابل ولم يباشره بصورته المثالية الا حيي ذلك الشيء بقوة قبوله واظهر فيه خاصية الحياة واثر من آثارها بحسب تلك القوة ، ولكن اذا حيي ذلك الشيء الذي مر عليه الروح وباشره وسرت الحياة فيه يكون تصرفه اي تصرف الروح وتأثيره بحسب مزاجه اي مزاج ذلك الشيء واستعداده لا بحسب الروح نفسه . فان الروح امر قدسي ليس له حسن معين ولا جثة مخصوصة فاذا كان ذلك الشيء ذا مزاج معتدل قابل الحياة ظهر فيه الحس والحركة وجميع خواص الحيـاة بحسب المزاج المخصوص وان لم يكن ظهر فيه اثر من الحياة بحسب صورته[٨٥] .

٨٣) ابن العربي ، فصوص الحكم ، في شرح القاشاني ، ٢٥٦-٢٧٤ .
٨٤) اي محمد .
٨٥) الجامي ، كتاب نقد النصوص ، ٩٥ .

الفصل الرابع

معجزات عيسى في طفولته

ورد في الحديث ان عدد الذين ارسلهم الله بالهدى للناس بلغ مائة واربعة وعشرين الف رسول. وقد ذكر القرآن القليل منهم باسمائهم، ولم يقصص عن الباقين. ولكن القرآن والحديث وسائر فروع العلم الاسلامي لم تذكر نبياً او رسولاً أتى بمعجزات كالتي جاء بها المسيح عدداً ووصفاً. ومن هذه المعجزات ما ذكر القرآن ككلام عيسى في المهد، وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى. ومنها ما لم يذكر عنها شيئاً وقد أخذه المؤرخون عن الاناجيل المنحولة حيث تكاثرت اعاجيب المسيح في طفولته؛ وهي مما لا تستند صحته التاريخية الى شيء، بل هي بالاحرى من صناعة مخيلة العامة التي كان يدفع بها الفضول الى كشف النقاب عن حوالي ثلاثين سنة خفية عاشها المسيح قبل بروزه للناس.

عن هذه النصوص الموضوعة اخذ المؤرخون في الاسلام وزادوا عليها احياناً ما شاؤا من قصص واعاجيب اشترك الشعب المسيحي والاسلامي في ترديدها، وان لم يدعمها في الواقع اساس تاريخي. ولقد أثبتنا النصوص العربية واصولها مع فقرة لابن العربي يحاول فيها شرح سر هذه الخاصة التي أُعطيت لعيسى دون سواه من الرسل والانبياء، خاصة المعجزات. وفي زعم ابن العربي، صاحب النزعة الغنوصية، ان سر معجزات عيسى يعود الى معرفته بعلم الحروف، وعلى الاخص بعلم كلمة (كنْ) الالهية الخلاقة التي اوجدت كل شيء واوجدت عيسى نفسه، وعيسى هو كلمة الله، دون سواه.

المعجزات

لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر ، فلما كان ابن تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدي المؤدب ، فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالها عيسى ، فقال المؤدب قل : أبجد ...[١] .

ان عيسى لما اسلمته امه الى الكتاب ليعلمه المعلم فقال له المعلم : اكتب بسم الله ، فقال له عيسى عليه السلام : ما بسم الله ؟ قال المعلم : لا أدري ، فقال له : باء بهاء الله ، سين سناؤه ، ميم ملكه ، والله اله الالهة والرحمان رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة . ابو جاد[٢] : الالف الاء الله ، الباء بهاء الله ، جيم جمال الله ، دال الله دائم . هوز : الهاء الهاوية ، الواو ويل لاهل النار ، الزاي واد في جهنم . وحطي : الحاء الله الحكيم ، الطاء الله الطالب لكل حق حتى يؤديه ، والياء آي أهل النار وهو الوجع . كلمن : كاف الله الكافي ، لام الله العليم ، ميم الله الملك ، نون البحر . صعفص : صاد الله الصادق ، والعين الله العالم ، والفاء الله الفرد ، وصاد الله الصمد[٣] . قرشت : قاف الجبل المحيط بالدنيا الذي اخضرت منه السموات ، والراء رأي الناس لها ، والشين شيء لله ، والتاء تمت ابدًا[٤] .

---

١) كذا يبدأ نص الثعلبي وقد اهمله المؤلفون المذكورون ادناه .

٢) ابو جاد ، الاصل ابجد كما في باقي النصوص .

٣) البلوي يكتب صعفض ويشرح الضاد ؛ ومن المعروف ان هذا التركيب هو عبراني – آرامي – سرياني وليس في هذه اللغات حرف الضاد المختص بالعرب الذين ابقوا على اصل الترتيب .

٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٥١ - ٢٥٢ ، يرويه عن مسعر بن كدام الصوفي ويقول انه غريب ؛ ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٧٦ ؛ السيوطي ، كتاب اللآلى المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ١ : ٨٩ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ ؛ وهو مأخوذ عن الاناجيل الموضوعة في مختلف نصوصها ولغاتها ، راجع انجيل متى المزعوم ، ٣١ : ١–٣ ، ٣١ ، انجيل توما المزعوم ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، في

اعلم ايدك الله ان العلم العيسوي هو علم الحروف ولهذا اعطي النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة . فاذا انقطع الهواء في طريق خروجه الى فم الجسد سُمّيت مواضع انقطاعه حروفاً ، فظهرت اعيان الحروف ، فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو اول ما ظهر من الحضرة الالهية للعالم . ولم يكن للاعيان في حال عدمها شيء من النسب الا السمع ، فكانت الاعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الامر الالهي اذا ورد عليها بالوجود . فلما اراد لها الوجود قال لها : كنْ فتكونت وظهرت في اعيانها . فكان الكلام الالهي اول شيء ادركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه . فأول كلمة تركبت كلمة كنْ ، وهي مركبة من ثلاثة احرف كاف وواو ونون وكل حرف من ثلاثة ، فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة وهي اول الافراد وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كنْ فظهر بكنْ عين المعدود والعدد ...

وقد عرفنا الحق أن سبب الحياة في صور المولدات انما هو النفخ الالهي في قوله : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، وهو النفس الذي احيي الله به الايمان فاظهره ...

فأعطي عيسى علم هذا النفخ الالهي ونسبته فكان ينفخ في الصور الكائنة في القبر او في صورة الطائر الذي انشأه من الطين فيقوم حياً بالاذن الالهي الساري في تلك النفخة وفي ذلك الهواء . ولولا سريان الاذن الالهي فيها لما حصلت حياة في صورة اصلا . فمن نفَس الرحمان جاء العلم العيسوي الى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخه عليه السلام وكان انتهاؤه الى الصور المنفوخ فيها[٥] .

قال السدي : كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام : انطلق فقد أكل اهلك كذا وكذا ، فينطلق الصبي الى اهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له : من اخبرك

نصه اللاتيني (٦ : ١–٤) ، والسرياني ، بودج ، ٢١٩–٢٢١) ، « انجيل طفولية سيدنا » ، ٤٨–٤٩ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٢٠ ؛ هذه القصة قديمة ذكرها القديس ايناوس عن انجيل مرقوسي منحول ، راجع الموسوعة اليونانية ، ٧ : ٦٥٥ .

٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١٨٧ .

بهذا ؟ فيقول : عيسى . فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له : ليسوا ههنا . فقال لهم : فما في هذا البيت ؟ قالوا : خنازير ، قال : كذلك يكونون . ففُتح عنهم فاذا هم خنازير .

ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر[٦] .

فبلغ ذلك[٧] الملك فهمّ ان يقتل مريم وابنها فخاف عليهما زكريا فأمر يوسف ان يحملهما الى بلاد مصر ليكون هناك الى أن يكفيها الله شر ذلك الملك الجبار[٨] . فأركبها يوسف اتاناً ووضع ولدها في حجرها وزودها زكريا بزاد واخرجها ليلًا من بيت المقدس واخذا في المسير .

فبينما هم في الطريق واذا بأسد عظيم جالس على قارعة الطريق ففزعوا منه فقال لهم عيسى قدموني اليه فقدموه اليه فأخذه باذنه وقال له : ما الذي أقعدك هنا ؟ فقال له : يا روح الله انتظر ثورًا يقدم عليّ فآكله ، فقال عيسى : قد يكون الثور لقوم مساكين ولكن انطلق الى المكان الفلاني تجد فيه جملًا وأكله واترك الثور لاصحابه . فمضى الاسد الى ناحية الجبل[٩] .

---

٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ٣٠٧ ؛ لهذه المعجزة مصدران : اولها يستند الى ما يقول القرآن ان عيسى كان ينبىء بني اسرائيل « عما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . » وقد يكون لهذا علاقة بما يرد كثيرًا في الاناجيل الموضوعة عن معرفة المسيح الطفل بالغيب ؛ اما المصدر الثاني فحرف عن « انجيل طفولية سيدنا » ، ٤٠ : ١–٢ في نصه العربي والسرياني ، وفيه قصة الغلام يسوع وقد جاء يبحث عن الاولاد رفاقه ، فهرب هؤلاء واختبأوا في اتون ، فسأل يسوع نساء هناك عن الصبيان فقلن له انهن يجهلن مكانهم ، فسألهن : من في الاتون ، فأجبن : معز . فقال عيسى : لتخرج المعز ولتأت حول الراعي ، فخرج الصبيان في هيئة الجدي وبدأوا يدورون حول يسوع . اما النساء فانذهلن لدى المنظر وتضرعن الى يسوع ليعيد الصبيان الى ما كانوا عليه فأعادهم .

٧) اي حبل العذراء مريم .

٨) هو « هردوس » اي هيرودس .

٩) تجد ما يشبه هذا في انجيل متى المزعوم ، ١٨–١٩ ، الذي يورد خبر هرب يوسف ومريم والطفل الى مصر من وجه هيرودوس ، وكيف ان التنانين والاسود والنمور كانت

ثم ساروا حتى دخلوا قرية اخرى فرأى قوماً قد اجتمعوا حول دار فقال لهم عيسى : يا قوم انكم قلتم في انفسكم انكم تأتون هذه الدار في الليل وتأخذوا[١٠] مال صاحبها غصباً فلا تفعلوا فانه رجل مؤمن بالله ولكني ادلكم على كنز مات صاحبه منذ زمان ولم يترك وارثاً فخذوا منه ما يكفيكم فأجابوه الى ذلك وساروا معه حتى دلهم على محل وقال لهم : احفروا تجدوا فيه مالًا جزيلًا[١١] .

ثم سار عيسى وامه ودخلا قرية فيها ملك عظيم وقد اجتمع الناس على باب قصره وهم يسجدون اصنم من حجر. فسمع عيسى أن امرأة الملك قد تعسرت عليها الولادة وخرج نصف الولد وبقي نصفه فقال عيسى : يا قوم اذهبوا الى الملك واعلموه اني أضع يدي على بطنها فتضع ولدها سريعاً. فانطلقوا الى الملك وأخبروه بذلك ، فقال لهم : عليَّ به . فأدخلوا عيسى عليه فقال له : ان في بطن زوجتك غلاماً جميلًا احدى اذنيه اطول من الاخرى وعلى صدره خال اسود وعلى بطنه شامة بيضاء . فوضع عيسى يده اليمنى على بطنها وقال : اخرج سالماً ! فولدت ولدًا على الصفة التي وصفها عيسى[١٢] .

قال وهب : كان اول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة في دار دهقان من ارض مصر ، انزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين ، فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان . فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها : يا اماه أتحبين أن ادله على ماله ؟ قالت : نعم يا بني ، قال لها : قولي له يجمع المساكين ، فلما اجتمعوا

تخرج الى لقاء الهاربين فتنحني ساجدة للمسيح الطفل واذ كانت مريم تخاف على ابنها كان هو يهدىء روعها : « لا تخافي يا اماه ، فقد تجمعت حولك هذه (الاسود والنمور) لا لتؤذيك بل لتطيع ارادتك » .

١٠) هكذا في الاصل .

١١) في الاناجيل الموضوعة تجد ان المسيح التقى بلصوص عديدين ، ومنهم الاثنان ، طيطس ودوماخوس اللذان سوف يصلبان معه ، راجع « انجيل طفولية سيدنا » ، ٢٣،٢٣ .

١٢) الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٤ – ٣٠٥ .

عمد الى رجلين منهم احدهما اعمى والآخر مقعد فحمّل المقعد على عاتق الاعمى وقال له : قم به فقال الاعمى : انا اضعف عن ذلك ، فقال له عيسى : كيف قويتَ على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام ، فلما استقل قائماً هوى المقعد الى كوة الخزانة . فقال عيسى للدهقان : هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه ، فقال الاعمى : صدق والله . فردّا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال : يا مريم خذي نصفه ، فقالت : اني لم اخلق لذلك ، قال الدهقان : فأعطيه لابنك ، قالت : هو اعظم مني شأناً[١٣] .

ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين . فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب . فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمرّ عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمرّ يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة[١٤] .

---

١٣) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ – ٣٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣٠ ؛ هذه القصة المنسوبة الى المسيح هي من أصل عبراني ، تجدها في التلمود البابلي (سنهدرن ، ٩١ شمالاً) : «كان للملك جنينة وكان فيها تين جميل شهي ، فوضع عليها حارسين يحرسانها احدهما اعرج والآخر اعمى . فقال الاعرج للاعمى : اني أرى في الجنينة تيناً جميلاً فأحملني على كتفك ونذهب فنقطف ونأكل . فاعتلى الاعرج كتف الاعمى وأكلا من التين الشهي . وبعد زمان أتى صاحب الجنينة وطالب الحارسين السارقين بالتين الجميل المفقود . فقال الاعرج : ألي رجلان لامشي ؟ وقال الاعمى : ألي عينان لابصر ؟ فماذا صنع المالك بهما ؟ أجلسَ الاعرج على عنق الاعمى وعاقبهما معاً كانهما فرد واحد» .

١٤) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١ : ٣ : ٧٣ – ٧٢١ ؛ انها في الاصل المعجزة التي صنعها يسوع في قانا الجليل ، وقد نحلت وحورت : «وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس وفرغت الخمر فقالت ام يسوع له : ليس عندهم خمر فقال لها يسوع : ما لي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد . فقالت امه للخدام :

قال وهب : لما مات هيرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هيرودوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى[١٥] .

وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة[١٦] . فلما تمّ له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما امره به فاحبّه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره[١٧] وربما اجتمع عليه من

مهما يأمركم به فافعلوه . وكان هناك ست اجاجين من حجر موضوعة بحسب تطهير اليهود تسع كل واحدة منها مترين او ثلاثة فقال لهم يسوع : املأوا الاجاجين ماء فملأوها الى فوق فقال لهم : استقوا الآن وناولوا رئيس المتكأ . فناولوا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا ولم يكن يعلم من اين هو ، واما الخدام الذين استقوا الماء فكانوا يعلمون ، دعا رئيس المتكأ العروس وقال له : كل انسان انما يأتي بالخمر الجيدة اولًا فاذا سكروا فعند ذلك يأتي بالدون اما انت فابقيت الخمر الجيدة الى الآن . هذه الآية الاولى صنعها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه » ، يوحنا ٢ : ١ — ١١ .

١٥) وفي الانجيل : « فلما مات هيرودوس اذا بملاك الرب ترآءى ليوسف في الحلم بمصر قائلًا قمْ فخذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقد مات طالبو نفس الصبي. فقام واخذ الصبي وامه وجاء الى ارض اسرائيل. ولما سمع ان اركيلاوس قد ملك على اليهودية مكان هيرودوس ابيه خاف ان يذهب الى هناك وأوحي اليه في الحلم فذهب الى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتم المقول بالانبياء انه يدعى ناصريًا ، » متى ، ٢ : ١٩ — ٢٣ .

١٦) وفي الانجيل: « وكان يسوع يتقدم في الحكمة والسن والنعمة عند الله والناس » ، لوقا ، ٢ : ٥٢ .

١٧) « وكان يسوع يطوف الجليل كله يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وضعف في الشعب فذاع خبره في سورية كلها فقدموا اليه من كان به سوء من المعذبين بالامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم شياطين والمصابين في رؤوس الاهلة والمخلعين فشفاهم فتبعته جموع كثيرة » ، متى ، ٤ : ٢٣—٢٥ .

المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون الفاً ، فمن اطاق منهم ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام ، وانما كان يداويهم بالدعاء شرط الايمان[١٨] .

قال وهب : بينا عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله، فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم، فاطلع الناس عليه فأتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له : هذا قتل هذا . فسأله القاضي ، فقال عيسى : لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه. فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم : أئتوني بالغلام . فقالوا له : ما تريد به ؟ قال: أريد أن اسأله من قتله . قالوا : وكيف يكلمك وهو ميت ؟ فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى : من قتلك ؟ قال : قتلني فلان ، على الذي قتله . فقال بنو اسرائيل : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم . قالوا : فمن هذا الذي معه ؟ قال : قاضي بني اسرائيل . ثم مات الغلام من ساعته .

فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه : يا بني ألم أنهكَ عن هذا ؟ فقال : ان الله حافظنا وهو ارحم الراحمين[١٩] .

قال عطاء : سلمت مريم عيسى بعد ما اخرجته من الكتاب الى اعمال

---

١٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٠ – قابل جزئياً بالكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦—٣٠٧ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣١ .

١٩) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٩ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٣ وردت هذه القصة مراراً عديدة في الاناجيل الموضوعة مع تفاصيل اوسع وادق من النص المذكور اعلاه ، وقد تختلف هذه التفاصيل من نص لآخر ، وهكذا فان اسم الصبي القتيل هو بوذا او زينون ، او ابياس بن تامار او ارياس بن تامار ، او يوناثان بن بريا او يوناثان بن عبراي ؛ فهو حينا يسقط من شرفة بيت على الارض ويموت ، او يقذف به احد رفاقه في البئر فيغرق ، وفي كل حال يتواطأ الاولاد على اتهام يسوع ، فيُقدَّم الى القاضي ويبرر نفسه باحياء الصبي الميت وشهادته لاجل الحقيقة ، ثم يموت الصبي ، انظر « انجيل طفولية سيدنا » ٤٤ ، انجيل الطفولة في نصه الارمني ، ١٦ : ٧–١٥؛ ٢٢ ، انجيل توما المزعوم ، ٩ ، انجيل متى المزعوم ، ٢٣ .

شتى[٢٠] . فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه . فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال عيسى : انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة ايام ، وهذه ثياب مختلفات الالوان، وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يُصبَغ به فأحبّ ان تكون فارغاً منها وقت قدومي ثم خرج . فطبخ عيسى عليه السلام جبًّا واحـدًا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها : كوني باذن الله تعالى على ما اريد منك . فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال : يا عيسى ما فعلت ؟ قال : فرغت منها . قال : أين هي ؟ قال : في الجب . فقـال : كلها ؟ قال : نعم . قال : كيف تكون كلها في جب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب . قال : قم فانظر . فقام فأخرج عيسى ثوباً اصفر وثوباً اخضر وثوباً احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصبـاغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل . فقال الصباغ للناس : تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام. فآمن به هو وأصحابه ، وهم الحواريون ، والله عز وجل اعلم[٢١] .

قال السدي : لما خرج عيسى وامه يسيحان في الارض اذ تركا بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما . وكان ملك ذلك الوقت جبارًا عنيدًا فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت

---

٢٠) وفي الاناجيل الموضوعة ان مريم ارسلت ابنها تعلمه جميع الحرف ، ولكنـه لم يتخذ واحدة منها له .

٢١) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٩-٢٩٠ ، الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ١ : ٢٢٣ ، قابل بما يقول علي الهروى حين يتكلم عن كنيسة الشجرة في طبرية حيث جرت القصة ، مخطوطة المكتبة الملوكيـة في برلين ، عدد ٦١٢١ صفحة ٢٧ ، هذه القصة مشهورة ترددها الاناجيل الموضوعة على اختلاف نصوصها ومع بعض فروق تقل او تكثر حسب الكتب ، « انجيل طفولية سيدنا » ، ٣٧ ، انجيل الطفولـة الارمني ، ٢١ ، لقد اشتهرت ايضاً في بـلاد الفرس حيث الصباغون يتخذون المسيح شفيعاً ويسمون مكان عملهم « محترف عيسى » , راجع الوثائق التالية :

P. Ange de St. Joseph (Joseph Labrosse), *Gazophylacium linguae persicae*, Amsterdam, 1684, p. 439; Thilo, *Codex Apocryphus*, p. 150; Sike, *Evangelium infantiae*, p. 55.

لها مريم : ما شأن زوجك أراه حزيناً ؟ فقالت لها : لا تسأليني . فقالت : اخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي . فقالت : ان لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده . قالت : فقولي له لا يهتم بشيء. فانه قد احسن الينا واني آمر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك . ثم قالت مريم لعيسى ، فقال : ان فعلتُ ذلك يقع شر . قالت : فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا ، قال عيسى : فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني.ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدر لحماً ومرقاً وماء الخوابي خمرا لم يرَ الناس مثله قط .

فلما جاء الملك اكل فلما شرب سأل : من أين هذا الخمر ؟ قال له : من ارض كذا وكذا ، قال الملك : فان خمري قد أُتي بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له : من ارض اخرى . فلما خلط على الملك وشُبّه عليه قال : أخبرني عن الحق . قال : فانا اخبرك ، عندي غلام ما سأل الله شيئاً الا أعطاه أياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرًا .

وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان احب الخلق فقال الملك : ان رجلًا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى : لا تفعل لانه ان عاش وقع شر. فقال الملك : لا ابالي بعد ان أراه ، قال عيسى : ان أحييته تتركوني أنا وامي نذهب حيث نشاء ؟ قال : نعم . فدعا الله تعالى فعاش الغلام . فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا : أكلنا هذا حتى اذا دنا موتـه يريد ان يستخلف ابنه علينا فيأكلنا كما أكلنا أبوه ، فاقتتلوا وذهب عيسى وامه[٢٢] .

---

٢٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨–٣٨٩ . ان القسم الاول من هذه القصة يشبه معجزة قانا الجليل التي صنعها يسوع اذ حول الماء خمرًا ، انجيل يوحنا ٢:١–١١ .

الفصل الخامس

الحواريّون

« لكل رسول حواريوه » ، انه حديث يتفق وفكرة القرآن الاساسية حول الرسالة . يبعث الله الى كل امة رسولاً يهديهم من الشرك الى التوحيد ، فيلاقي الرسول من الكثيرين اعراضاً ويتبعه قليل من النـاس الى الهدى . اولئك هم الضالون ، وهؤلاء النفر القلائل هم الانصار او الحواريون . هكذا كان الامر بالذين خلوا من الرسل ، وهكذا اذاً كان الامر بعيسى .

بُعث ابن مريم الى بني اسرائيل فكذبه فريق منهم ، واتبعـه فريق قليل العدد كانوا انصاره الى الله ، كانوا حوارييه . هؤلاء من يسميهم الانجيل رسلاً وكانوا اثني عشر .

لم يذكر القرآن احداً منهم باسمه ولم يخبر عن دعوتهم ولا عن الاحداث التي جرت لهم مدة حياة المسيح ، ولا عن تشتتهم في العالم للتبشير بما اوصاهم بـه المعلم . ذلك ما حاول التحدث عنه بعض المؤرخين في الاسلام ، ولكن يظهر انهم لم يعيروا هذا الموضوع اهتماماً كافياً ، فتناقلوا قصصاً يسير فيها التاريخ والاسطورة جنباً الى جنب ويتآخى بعض ما يقول التقليد المسيحي وبعض ما يقول الكتاب الاسلامي ، فيتكون من ذلك فصل فيه كثير من الغرابة . وان اصدق النصوص هي التي اوردهـا اليعقوبي نقلاً حرفياً عن الاناجيل .

ولكن القرآن يذكر حدثين ، اولهما في سورة يس (٣٦ : ١٤ — ٢٨) ، وقد رأى فيه المفسرون الماعاً الى الحواريين ، وهو صدى بعيد لرحلة بولس الرسول الى انطاكية مقرونة الى قصة اغابوس الذي ورد

اسمه في كتاب أعمال الرسل (١١ : ٢٧ـ٣٠ ؛ ٢١ : ١٠ـ٢) . واذا باغابوس هذا يصبح حبيب النجار بعد ان تعطّلت هويته .

والحدث الثاني هو سؤال الحواريين في سورة المائدة (٥:١١٢) : « يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا من السماء مائدة ... » فكانت المائدة عيداً لاول الناس وآخرهم ، وفي ذلك اشارة الى ما قصته الاناجيل عن العشاء السري الوداعي .

اما كلمة حواري فهي في الاصل من لغة الاحباش (« حورا » عندهم معناها رسول).ومنهم من يقول انها سريانية الاصل، وهذا التلحيل ممكن ايضاً . ولا يزال المسيحيون ، ورثة لغة السريان ، يكرسون اسبوعاً كاملًا عقب عيد الفصح ، يسمونه « سبة الحواريين . »

الحواريون

اعلم ان الحواريين كانوا اصفياء عيسى بن مريم واولياءه وارضياءه وانصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلًا اسماؤهم: شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيي اخوه وفيليبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام[1] .

واختلف العلماء فيهم لِمَ سموا بذلك . قال ابن عبـــاس : كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم : ما تصنعون ؟ فقالوا : نصطاد السمك . فقال لهم : ألا تمشون معي حتى نصطـــاد الناس ؟ قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : ندعو الى الله . قالوا : ومن انت ؟ قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله . قالوا : فهل يكون أحد من الانبياء فوقك ؟ قال : نعم النبي العربي . فاتبعه اولئك وآمنوا به وانطلقوا معه[2] .

وقال السدي : كانوا ملاحين . وقـــال ابن ارطأة : كانوا قصّارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيّضونها .

---

١) في الانجيل نجد : « وهذه اسماء الاثني عشر رسولًا : الاول سمان المدعو بطرس ثم اندراوس اخوه ويعقوب ابن زبدى ويوحنا اخوه وفيلبس وبرتلماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفى وتداوس وسمان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه » ، متى ، ١٠ : ٢—٥ ، قابل بانجيل مرقس ، ٣ : ١٦—١٩ وانجيل لوقا ، ٦ : ١٣—١٦ ، واعمال الرسل ، ١ : ١٣ ؛ يتكلم الثعلبي عن « الصفار » عوضًا عن « الصفا » وقد تكون الراء الزائدة مسببة من ناقل النص ؛ ويتكلم عن « القناني » وهو القانوي نسبة الى قانا الجليل ، قرية شمعون .

٢) نجد في انجيل مرقس ، ١ : ١٦ : ٢١ : « وفيما كان ماشيًا على شاطىء بحر الجليل رأى سمان واندراوس اخاه يلقيان شباكًا في البحر لانهما كانا صيادين فقال لهما يسوع: اتبعاني فاجعلكما صيادي الناس . فللوقت تركا الشباك وتبعاه . وجاز من هناك قليلًا فرأى يعقوب بن زبدى ويوحنا اخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك فدعاهما للحال فتركا اباهما زبدى في السفينة مع الاجراء وتبعاه . » قابل بانجيلي متى ٤ : ١٨ — ٢٢ ولوقا ٥ : ١ — ١١ . في نصوص الانجيل لا ذكر « للنبي العربي » .

اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن مصعب قال: الحواريون اثنا عشر رجلًا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا: يا روح الله جعنا، فيضرب بيده الى الارض سهلًا كان او جبلًا فيخرج لكل انسان رغيفان فيأكلها، واذا عطشوا قالوا: يا روح الله عطشنا، فيضرب الارض سهلًا كان او جبلًا فيخرج الماء فيشربون. فقالوا: يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا اسقيتنا وآمنا بك واتبعناك؟ قال: افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه. قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء[٣].

قال ابن عون: صنع ملك من الملوك طعاماً فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص. فقال له الملك: من انت؟ قال: انا عيسى بن مريم. قال الملك: اني اترك ملكي واتبعك. فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون. وقيل هو الصبّاغ واصحابه وقد مضت القصة.

قال الضحاك: سموا حواريين لصفاء قلوبهم. وقال عبدالله بن المبارك: سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها واصل الحور عند العرب شدة البياض، ومنه الاحور والحور[٣].

---

٣) قد تكون صلة بين ما ذكر الثعلبي وبين اعجوبة تكثير الارغفة كما ذكرتها الاناجيل: متى ١٤: ١٣ – ٢١؛ ١٥: ٣٢–٣٨، مرقس ٦: ٣١ – ٤٤، ٨: ١ – ١٠، لوقا ٩: ١٠ – ١٧، يوحنا ٦: ١ – ١٣. وقد يكون في المفاضلة بين الحواريين ذكر بعيد لما ورد في الانجيل: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فما عساه يكون لنا؟ متى، ١٩: ٢٧، مرقس، ١٠: ٢٨، ٤١ – ٤٤، لوقا، ١٨: ٢٨، او بالاحرى لما ورد في موضع آخر من الانجيل: وقع بينهم جدال في ايهم يُعدّ الاكبر، لوقا: ٢٢: ٢٤؛ ٩: ٤٦، متى، ١٨: ١، مرقس، ٩: ٣٣.

٣) الحور العين في القرآن: انشأهن الله انشاء وجعلهن ابكارًا لاهل اليمين، «ازواج مطهرة»، «كأنهن الياقوت والمرجان»، «حور مقصورات في الخيام»، انظر سورة الواقعة، ٥٦: ٣٥–٣٨، سورة الرحمن، ٥٥: ٥٦–٥٧، سورة الدخان، ٤٤: ٥٤–٥٥، وقال رسول الله صلعم: «ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيّب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا»، الغزالي، احياء علوم الدين، ٤: ٣٨٧.

وقال الحسن : الحواريون الانصار . وقال قتاده : هم الذين تصلح لهم الخلافة . وقال النضر بن شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلعم : لكل نبي حواري وحواريّ الزُبير . فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام[٤] .

وكان ممن وجّه من الحواريين والاتباع الذين كانوا في الارض بعدهم فطرس الحواري ومعه بولس ، وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين ، الى روميه ، واندراييس ومتى الى الارض التي يأكل اهلها الناس وهي فيما نرى للاساود ، وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق ، وفيلبس الى القيروان وقرطاجنة ، وهي افريقية ، ويحنس[٥] الى افسوس قرية الفتية اصحاب الكهف[٦] ، ويعقوبس الى اورشليم وهي ايليا بيت المقدس[٧] ، وابن تلما[٨] الى العرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى البربر دون افريقية ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين الى اريوبس جُعل مكان يوذس زكرياپوطا[٩] حين احدث ما احدث[١٠] .

---

٤) الثعلبي ، قصص الانبياء ، ٣٩٠–٣٩١ .

٥) أي يوحنا .

٦) راجع سورة اهل الكهف ، ١٨ ، وفيها نبأ الفتية الذين رقدوا « مائة سنين وازدادوا تسعاً » ثم استيقظوا وكان يخفرهم كلبهم في نومهم الطويل ، وكانت اسطورة معروفة عند العرب قبل الاسلام ، واصلها مجهول قد يكون من التلمود الاسرائيلي الذي يحكي مثلها (بابلي ، تعنيت ، ٢٣ ، يمينا) ، وهناك ما يعادلها عند المسيحيين في قصة طويلة ذكرها يعقوب السروجي (مخطوطتا الفاتيكان ١١٥ و١١٧) وفيها يتكلم عن الفتية السبعة الافسسيين الذين اضطهدهم الامبراطور داسيوس (٢٤٩–٢٥١) فأووا الى كهف قرب مدينة افسس فسدّ بابه عليهم الى ان اكتشفهم راع فايقظهم في زمن الامبراطور تاودوسيوس الثاني اي بعد ١٩٦ سنة .

٧) ايليا ، اورشليم ، بيت المقدس اسماء ثلاثة للمدينة الواحدة .

٨) هو برتلماوس .

٩) هو يوداس الاسخريوطي .

١٠) ابن هشام ، السيرة ، ٩٧٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٧٣٧–٧٢٨ . يقول الطبري « دفسوس » عوض « افسوس » .

ومما يدل على ان الانبياء عليهم السلام يرون ويعتقدون بقاء النفس وصلاحها بعد مفارقة الجسد ، فعل عيسى عليه السلام بناسوته ووصيته للحواريين بمثل ذلك : وذلك ان المسيح لما بُعث في بني اسرائيل فرآهم منتحلين دين موسى متمسكين بظاهر شريعته يقرأون التوراة وكتب الانبياء غير قائمين بواجبها ولا عارفين حقائقها فلا يعرفون اسرارها بل يستعملونها على العبادة ويجرونها على التقليد ولا يعرفون الآخرة ولا يرغبون فيها ولا يفهمون امر المعاد ولا يدرون ما فيها غير الدنيا وغرورها وامانيها ولا يدرون مما يستعملون من امر الشريعة وسنَّة الدين الا طلب الدنيا ، وليس غرض الانبياء في دعوتهم الامم ووضع الشرائع والسنن واصلاح الدنيا فحسب ، بل غرضهم في ذلك كله نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى والعتق لها من اسر الطبيعة واخراجها من ظلمات الاجسام الى انوار عالم الارواح والتنبّه لها من نوم الجهالة والتيقظ لها من رقدة الغفلة وتخلصها من ألم نيران الشهوات الجسمانية المحرقة للافئدة والتبصير لها من الغرور بالذات الجرمانية المهولة وشفاءها من الامراض النفسانية ومن عذاب الحر والبرد والجوع والعطش وألم الامراض والاسقام وخوف الفقر والتلف والاحزان والاسف واحداث الزمان وغيظ الاعداء والغم على الاصدقاء وحرقة الاشفاق على الاحباء والاقرباء ومعاداة الاضداد ومكايدة الاقران وحسد الجيران ووساوس الشيطان ونوائب الحدثان حالًا بعد حال .

فلما رآهم المسيح على تلك الحالة لا فرق بينهم وبين من لا يقرّ بالمعاد ولا يعرف الدين والنبوة ولا الكتاب ولا السنّة ولا المنهاج ولا الشريعة ولا الزهد في الدنيا ولا الرغبة في الآخرة ، غمّه ذلك منهم ورقّ لهم وتحنن على ابناء جنسه وتفكر في امرهم كيف يداويهم من دائهم الذي استقر بهم وعلم انه اذا وبّخهم بالتعنيف والوعيد والزجر والتهديد لا ينفعهم ذلك لان هذه كلها موجودة في التوراة وما في ايديهم من كتب الانبياء عليهم السلام ، فرأى ان يظهر لهم بزي الطبيب المداوي وجعل يطوف في محال بني اسرائيل يلقى واحدًا يعظه ويذكّره ويضرب له الامثال وينبهه من الجهالة ويزّهده في الدنيا ويرغّبه في الآخرة ونعيمها حتى مرّ بقوم من القصّارين خارج المدينة فوقف عليهم فقال لهم : أرأيتم هذه الثياب اذا اغسلتموها ونظفتموها وبيضتموها هل تجوزون ان

يلبسها اصحابها واجسادهم ملوثة بالدم والبول والغائط ولون القاذورات ؟ قالوا: لا ومن فعل ذلك كان سفيهاً . قال : فعلتموها انتم . قالوا : كيف ؟ قال: لانكم نظفتم اجسادكم وبيضتم ثيابكم ولبستموها ونفوسكم ملوثة بالجيف مملوءة قاذورات من الجهالة والعماء والبكم وسوء الاخلاق والحسد والبغضاء والمكر والغش والحرص والبخل والقبح وسوء الظن وطلب الشهوات الرديئة وانتم في ذل العبودية اشقياء لا راحة لكم الا الموت والقبر . فقالوا : كيف نعمل ؟ هل لنا بدّ من طلب المعاش ؟ قال: فهل لكم ان ترغبوا في ملكوت السماء حيث لا موت ولا هرم ولا وجع ولا سقم ولا جوع ولا عطش ولا خوف ولا حزن ولا فقر ولا حاجة ولا تعب ولا عناء ولا غم ولا حسد بين اهلها ولا بغض ولا تفاخر ولا خيلاء بل اخوان على سُرر متقابلين فرحين مسرورين في روح وريحان ونعمة ورضوان وبهجه ونزهة يسيحون في فضاء الافلاك وسعة السماوات ويشاهدون ملكوت رب العالمين ويرون الملائكة حول عرشه صافين يسبحون بحمد ربهم بنفحات والحان لم يسمع بمثلها انس ولا جان وتكونون انتم معهم خالدون لا تهرمون ولا تموتون ولا تجوعون ولا تعطشون ولا تمرضون ولا تخافون ولا تحزنون . واكثر النصح فيهم وعمل كلامه في نفوسهم واراد الله عز وجل بهم خيراً فاسمعهم وهداهم وشرح صدورهم وفتح قلوبهم ونوّر ابصارهم فشاهدوا ما وصف المسيح عليه السلام مما يشاهده هو بعين البصيرة ونور اليقين وصدق الايمان، فرغبوا فيها وزهدوا في الدنيا وغرورها وامانيها وخرجوا مما كانوا فيه من عبودية طلب شهوات الدنيا ولبسوا المرقعات(١١) وساحوا مع المسيح حيث مرّ من البلاد(١٢) .

ان رسول الله صلعم خرج على اصحابه ذات غداة فقال لهم : اني بُعثت رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم(١٣) . قالوا : يا رسول الله وكيف كان اختلافهم ؟ قال : دعا

---

١١) « المرقعة » نسيج من صوف ، دليل الفقر والتجرد ، زعم الصوفيون ان المسيح كان اول من لبسه فلبسوه على غراره وهو الفقير الاكبر ، « امام السائحين » .

١٢) اخوان الصفاء ، رسائل ، ٤ : ٩٣ – ٩٦ .

١٣) قد يكون في هذا اشارة بعيدة الى المجادلة التي وقعت بين الرسل ، ليلة العشاء

الى مثل ما دعوتكم اليه فاما مَن قرّب به فاحب وسلم ، واما مَن بعّد به فكره . فشكا ذلك منهم عيسى الى الله عز وجل فاصبحوا من ليلتهم تلك وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بُعث اليهم ، فقال عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا[١٤] .

الاثنان والثالث

قال الله تعالى[١٥] : واضرب لهم مثل القرية اذ جاءها المرسلون ، يعني رسل عيسي عليه السلام ، اذ ارسلنا اليهم اثنين . واختلفوا في اسميها : فقال ابن اسحق : فاروض وروماض ، وقال وهب : يحيى ويونس ، وقال مقاتل : يومان ومالوس ، وقال كعب : صادق وصادوق ، فكذبوهما فعززنا بثالث ، اي فقوّينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين ، وقال مقاتل : سمعان[١٦] .

قالت العلماء باخبار الانبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس ، فسلما عليه ، فقال : من انتما ؟ قالا : رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن ، قال : أمعكما

السري ، « في اجم الاكبر » ، لوقا ٢٢ : ٢٤ ، وفي غير موضع من الانجيل مجادلة اخرى بين الرسل ، متى ١٨ : ١ — ٥ ، مرقس ٩ : ٣٣ — ٣٧ ، لوقا ٩ : ٤٦ .

١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٥٦٠ ، وهنا اشارة ايضاً الى حلول « الروح القدس على التلاميذ فطفقوا يتكلمون بلغات اخرى كما آتاهم الروح ان ينطقوا . وكان في اورشليم رجال من اليهود انقياء من كل امة تحت السماء ، فلما كان ذلك الصوت (صوت ريح شديدة) اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته » ، اعمال الرسل ، ٢ : ٤—٦ .

١٥) القرآن ، سورة يس ، ٣٦ : ١٣—٢٩ .

١٦) فاروض وروماض ، يومان ومالوس ، صادق وصادوق كما في ادناه ابطيحيس وسلاحين وحبيب النجار ، هي جميعها اسماء لا تمت الى التاريخ بصلة ، لا ذكر لها في المسيحية قبل الاسلام كما لا ذكر لها في القرآن ، ولقد اختلفها المؤرخون .

آية ؟ قالا : نعم نحن نبرئ المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله[١٧] فقال الشيخ : ان لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين ، قالا : فانطلقْ بنا الى منزلك فنطلع على حاله . فاتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرًا من المرضى[١٨] .

وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين، وقال وهب : اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم . قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما : من انتما ؟ قالا : رسولا عيسى . قال : وما آيتكما ؟ قالا : نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى . قال: وفيمَ جئتما ؟ قالا : جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر . قال الملك : أوَ اله لنا سوى الهتنا ؟ قالا : نعم . قال: من ؟ قالا : من اوجدك بعد عدمك وآلهتك . قـال : قوما حتى انظر في امركما ، فتبعهما الناس وضربوهما في السوق[١٩] .

وقال وهب : بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مـدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبّرا وذكرا الله تعالى ، فغضب الملك وأمر بهما فحبُسا وجُلد كل واحد منهما مائة جلدة. قالوا فلما كُذّب الرسولان وضُربا بعث عيسى رأسَ الحواريين شمعون الصفار عـلى اثرهما لينصرهما . فدخل شمعون البلد متنكرًا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى

---

١٧) هذه المعجزات يذكرها القرآن عن عيسى .

١٨) راجع الانجيل ؛ « وجاء يسوع الى بيت الرئيس فرأى الزمارين والجميع يضجون فقال : تنحوا ان الصبية لم تمت ولكنها نائمـة ، فضحكوا منه . فلما اخرج الجمع دخل وامسك بيدها فقامت الجارية ، فذاع هذا الخبر في تلك الارض كلها . . . وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف» متى ٩ : ٢٣-٢٦، ٣٥ .

١٩) وفي الكتاب المقدس خبر العرافة التي اخزاها بولس وطرد منها الروح : « فلما رأى مواليها انه قد هلك رجاء مكسبهم قبضوا على بولس وسيلا وجروهما الى السوق . . . وامروا ان يضربا بالعصي . » اعمال الرسل ١٦ : ١٦-٢٢ .

انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم : ايها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال : حال الغضب بيني وبين ذلك . قال : فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون : استخبرهما . فقـال شمعون : من ارسلكما الى ههنا ؟ قالا : الذي خلق كل شيء . فقال لهما شمعون: فصفاه وأوجزا. فقالا : انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال شمعون وما آيتكما ؟ قالا : ما تتمناه نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمنى باذن الله. قال: فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشقّ موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيـه فصارا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك ، فقال شمعون للملك : ان انت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعاً مثل هـذا فيكون لك الشرف ولألهك . فقال الملك : ليس لي عنك سرًّا ، اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيرًا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم ، فقال الملك للرسولين : ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء الميت ؟ قالا : الهنا يقدر على كل شيء. فقال الملك: ان ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة ايام وهو ابن الدهقان وانا اخرجته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه ، وكان ابوه غائباً . فجاؤوا بالميت وقد تغيّر وأروح فجعلا يدعوان بهما علانية وجعل شمعون يدعو سرًّا ، فقام الميت وقال لهم : اني قد مت منذ سبعة ايام مشركاً فأُدخلتُ في سبعـة اودية من النار وانا احذّركم مما انتم فيه فآمنوا بالله ، ثم قال : ان ابواب السماء فُتحت لي فرأيت شاباً حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة[٢٠] . فقال الملك: ومَن الثلاثة ؟ فقال: شمعون وهذان ، واشار الى صاحبيه فتعجب الملك . فلما علم شمعون ان قولهم

---

٢٠) في اعمال الرسل ٦ : ١٥ ؛ ٧ : ٥٥ ، شيء من هذا الوصف ورد على لسان اسطفانوس اول الشهداء : « فرأوا وجهه كوجه ملاك . . . وهو اذ كان ممتلئاً من الروح القدس تفرّس في السماء فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال : هاءنذا ارى السماوات مفتوحة وابن البشر قائماً عن يمين الله » .

قد اثّر في الملك اخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممّن آمن وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب : بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس .

وقال ابن عباس ومقاتل : اسمه حبيب بن اسرائيل النجار . قال وهب : وكان سقيماً قد أثّر فيه الجذام[٢١] وكان منزله عند اقصى باب من ابواب مدينة انطاكية[٢٢] وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه اذا امضى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر . فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار . فلما اتاه خبر الرسل اظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة الله تعالى كما اخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله :« وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم اجرًا وهم مهتدون . فقال له قومه : أوَ انت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم ؟ فقال : وما لي لا اعبد الذي لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون. اني اذا لفي ضلال مبين. فطرني واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر اني آمنت بربكم فاسمعونِ . »[٢٣] فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن احد يدفع عنه .

وقال عبدالله بن مسعود : وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره .

وقال السدي : كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول : « اللهم اهدِ قومي » حتى قطعوه وقتلوه .

وقال الحسن : خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سور انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى : « قيل ادخل الجنة »،

---

٢١) داء خبيث شبيه بالبرص .

٢٢) يحاول وهب ان يجمل وفاقًا بين الاسطورة والقرآن القائل : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى » ، سورة يس ٣٦: ٢٠ .

٢٣) سورة يس، ٣٦: ٢٢–٢٥ .

فلما افضى الى جنة الله وكرامته ، قال : « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . »[٢٤]

قالوا فلما قُتل حبيب ، غضب الله عليهم وعجّل لهم النقمة وامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم ، فذلك قوله تعالى : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين » على غيرهم من كفار الامم ؛ « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون »[٢٥] ، اي ميتون[٢٦] .

وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكيه من ارض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور . فسار اليه اثنان من تلاميذ المسيح يدعوانه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما « فعززهما الله بثالث » ، وقد تنوزع فيه ، فذهب كثير من الناس انه بطرس ، هذا اسمه بالرومية واسمه بالعربية سمعان الصفا ، وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا ، وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية[٢٧] ان الثالث المعزز به بولس ، وان الاثنين المتقدمين اللذين اودعا الحبس توما وبطرس ، فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما اظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وحيلة بولس عليه بمداخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس .

فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله وقد أخبر الله بذلك في كتابه بقوله « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث » الى قوله : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى »[٢٨]. وقُتل بولس وبطرس بمدينة رومية

---

٢٤) سورة يس ، ٣٦: ٢٦–٢٧ .

٢٥) سورة يس ٣٦: ٢٨–٢٩ .

٢٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٢٠٤ – ٢٠٦ ؛ قابل بالطبري جزئياً ، تاريخ الرسل والملوك ، ١: ٣: ١٠٧ .

٢٧) ورد في اعمال الرسل ١٢ : ٣– ٢٠ ، خبر سجن بطرس وكيف ارسل الله ملاكه فانقذه من الحبس ليلاً .

٢٨) سورة يس ٣٦: ١٤–١٩ .

وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سيما الساحر[٢٩] . ثم جُعلا بعد ذلك في اخزنة البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وخزنتهما في كنيسة هناك . قد ذكرناهما في الكتاب الاوسط عند ذكرنا لعجائب روميه واخبار تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لما من اخبارهم[٣٠] .

بولس الرسول

(عن الكلبي في تفسير الآية : « قالت النصارى المسيح ابن الله ») : ان النصارى كانوا على دين الاسلام[٣١] احدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب . وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام ، فقال يوماً لليهود : ان كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار[٣٢] . وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه واظهر الندامة ووضع على رأسه التراب، فقالت له النصارى:

---

٢٩) اسمه عليما الساحر ، وقد دعا عليه بولس بالعمى فاعماه الله ، اعمال الرسل ، ١٣ : ٨—١١ ؛ او (كما ورد في طبعة المسعودي في القاهرة ، ١٩٣٨) « سليمان » واصله سيمون وهو ساحر آخر وقد وبخه بطرس في السامرة على سحره فآمن واعتمد، راجع اعمال الرسل ، ٨ : ٩—٢٤ .

٣٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٨-١٢٩ .

٣١) في العقيدة الاسلامية ان الاسلام ، كما يقول القرآن ، هو « دين الفطرة » عليه خلق آدم وعليه يولد بنوه من بعده ولكن اختلاف الناس في الدين هو ما جعلهم يتفرقون الى عقائد متباينة .

٣٢) ليس هذا الكلام او ما يعادل تقريباً معناه من بولس بل من جملئيل معلم الناموس اذ قال لبني اسرائيل حين سجنوا رسل المسيح : « اقول لكم اعدلوا عن هؤلاء الرجال واتركوهم لانه ان كان هذا الرأي او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تستطيعون نقضه لئلا تجدوا ذاتكم محاربين لله » ، اعمال الرسل ٥ : ٣٨ — ٣٩ ؛ لقد خلط الكلبي بين عدة احداث تاريخية متذكراً البعض منها مثل اضطهاد بولس للمسيحيين،

من انت ؟ فقال: بولس عدوكم وقد نوديت من السماء ان ليس لك توبة الا ان تنصّر وقد تبت . فادخلوه الكنيسة فدخل بيتاً فيها فأقام سنة لا يخرج منه لا ليلًا ولا نهارًا حتى تعلم الانجيل ثم خرج فقال : نوديت ان الله تعالى قد قبل توبتك . فصدقوه واحبوه . ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة[٣٣] . ثم توجه الى الروم وعلّمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم: لم يكن عيسى بانس ولا جن ولكنه ابن الله. وعلّم بذلك رجلًا يقال له يعقوب ثم دعا رجلًا يقال له يعقوب ثم دعا رجلًا يقال له ملكان[٣٤] وقال له : ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى . فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدًا واحدًا وقال لكل واحد منهم : انت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني . وقال لكل واحد منهم : اني غدًا اذبح نفسي فادعُ الناس الى نحلتك[٣٥] . ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال : انا افعل ذلك لمرضاة عيسى . فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس الى نحلته فتبع كل واحد طائفة من الناس فافترقت النصارى ثلاث فرق

ثم الرؤيا على طريق دمشق ، ونداء المسيح له ، وخلوته عند التلميذ حننيا واعتماده ، راجع حقيقة ذلك في الفصل التاسع من اعمال الرسل .

٣٣) بين بولس ونسطور اكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة . اما نسطور فلم يقل بشيء من هذه الثلاثية التي ينسبها اليه الكلبي لتوافق آية في القرآن : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اعبدوني وامي الٰهين من دون الله » ، سورة المائدة ، ٥ : ١١٦ .

٣٤) استنبط الكلبي اسم ملكان لينسب اليه الفرقة الملكية كما في تابع حديثه ، ومن المعروف ان الملكية نسبة الى ملك الروم ، قيصر بيزنطية المدافع عن العقيدة الكاثوليكية الحقة . وقد نقل الدميري نصّ الكلبي الغريب دون ان يتساءل عن صحته ، كما اورد القزويني في كتابه عجائب المخلوقات (على هامش حياة الحيوان للدميري، ٢ : ١٧٣–١٧٤) قصة عجيبة يذكر فيها اربع نفر من تلامذة المسيح (مرقس ومحسن ومنبوس وبوقاس) وكيف ان الشيطان طناهم وحملهم على تأليه عيسى . ولا عجب في ان يستنبط القزويني مثل هذه القصص في كتابه المسمّى « عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات » .

٣٥) يقول بولس في رسالته الى الفيلبيين ، ٢ : ١٧ : « لو ارقت سكيباً على ذبيحة ايمانكم لكنت افرح » وفي رسالته الثانية الى تلميذه الحبيب تيموتاوس ، ٤ : ٦ : « اما انا فقد أُريقَ السكيب علي وقد اقترب وقت انحلالي » .

نسطورية ويعقوبية وملكية فاختلفوا واقتتلوا فقال الله تعالى: «وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بافواههم » (الآية)[٣٦] . قال اهل المعاني : لم يذكر الله تعالى قولًا مقروناً بالافواه والالسن الا كان ذلك زورًا[٣٧] .

مارقس

ثم ملك بعده[٣٨] قلوديوس[٣٩] اربع عشرة سنة وذلك برومية . وهو اول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح وقيل ان في ايامه قُتل برومية بطرس واسمه بالسريانية شمعون والعرب تسميه سمعان ، هو وبولس صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيما[٤٠] الساحر برومية . وهما ممن اتى انطاكيه واخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس . ثم كان بعد ذلك لهما نبأ عظيم وذلك بعد ظهور النصرانية برومية فجُعلا في اخزنة من البلور فهما على ذلك بمدينة روميه في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب . واكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم يذهب الى انهما قتلا برومية في ملك النحاس من ملوك الروم .

وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار ماري الى مادنا من العراق فمات بمدينة دير قنّى والصافية على شاطيء دجلة بين بغداد وواسط ، وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتّاب ، فقبره هناك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعظمه اهل دين النصرانية .

ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعياً الى شريعة المسيح

---

٣٦) سورة التوبة ، ٩ : ٣٠ .

٣٧) الدميري ، حياة الحيوان ، ٢ : ٢١٥ .

٣٨) اي بعد اغسطس .

٣٩) قلوديوس او كلوديوس الاول ، وكانت وفاته سنة ٥٤ بعد المسيح ، قبل بطرس وبولس ، وهو لم يخلف اغسطس بل خلفه طيباريوس .

٤٠) راجع ما ذكرناه اعلاه ، حاشية ٢٩ .

فمات هناك[٤١] . وسار آخر الى آخر خراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور تعظمه النصارى . ومنهم من رأى انه مات ببلاد دقوقا وخانيجار وكرخ حدان في تخوم العراق وموضعه مشهور .

ومات مارقش بالاسكندرية في ارض مصر وقبره هناك وهو احد التلاميذ الاربعة الذين الفوا الانجيل .

كان لمارقش مع اهل مصر خبر طريف في مقتله وقد اتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له . واتينا على قصته مع اهل مصر ووصيته لهم حين اراد المسير الى ارض المغرب : انه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد اليكم بعدي اناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون . ومضى فلما غاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث اراد فرجع اليهم ، فلما همّوا بقتله قال لهم : ويحكم انا مارقش . قالوا : لا قد اخبرنا ابونا مارقش وعهد الينا بقتل من يتشبه به . قال : فاني مارقش . قالوا : لا سبيل الى تركك ولا بد من قتلك فقتلوه . وقد كان قبل ذلك سُئل في بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله، وطلبوا منه المعجزات، وقال له بعضهم : ان كنت صادقاً فيما اتيتنا به فأعرجْ الى هذه السماء ونحن نراك . فنزع عنه زربانقته واتزر بئزر الصوف على ان يصعد الى السماء ، فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا : ان مضيت فمن لنا بعد اذا كنت الاب ، وكان امره بعد ذلك على ما قدمنا .

وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذاً واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين[٤٢] . فاما الذين نقلوا الانجيل وهم لوقا ومارقش ويوحنا ومتّاً منهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتّاً ، وقد يُعدّ متّاً ايضاً في غير الاثني عشر ، ولا ادري ما معناهم في ذلك . والاثنان اللذان من الاثني عشر يحيي بن زبدى ومارقش

---

٤١) يقول التقليد المسيحي ان توما سار الى الهند فأسس هناك كنيسة ثبتت الى يومنا هذا .

٤٢) وفي الانجيل : « دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وسماهم رسلاً » ، لوقا ٦ : ١٣ .

صاحب الاسكندرية والثالث الذي ورد الى انطاكيه وقـد تقدمه بطرس وتومـا ، وهو بولس ، وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى : فعززنا بثالث .

وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر ، لان مارقش اباح لهم ذلك[٤٣] .

ثم ملك الروم تيزون[٤٤] واستقام ملكه ورغب في عبادة التماثيل والاصنام ويقال انه قتل في ملكه بطرس وبولس بروميه على حسب ما قدمنا ، ونما دين النصرانية في الروم وكثرت فيهم الدعاة اليه ، فقتل هذا الملك منهم خلائق[٤٥] .

اصحاب الاناجيل

ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبـة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس وآمنوا بـه واكثرهم الحواريون من اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلاً الى الافاق داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني خشمناي اصهـاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيرودس ملكهم ملك القياصرة اوغسطس يغريه به فاذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من امره .

وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة. ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ اربع بالعبرانية . ونقله يوحنا بن زبدى

---

٤٣) من يدري على ما يستند المسعودي في كلامه هذا عن رهبان مصر ، والى اي مصدر تاريخي يرجع قصة مارقس التي قضت طرافتها على كل ما للتاريخ .

٤٤) هو نيرون الغاشم الذي قطع رأس بولس وصلب بطرس منكساً كما ورد في التقليد الشعبي المسيحي .

٤٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ : ٢٩٩–٣٠٤ .

منهم الى اللسان اللاتيني . وكتب لوقـا منهم انجيله باللاتيني الى بعض اكابر الروم. وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومه. وكتب بطرس انجيله باللاتيني ونسبه الى مرقاص تلميذه[٤٦]. واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفاً[٤٧] بل مشوبة بكلام عيسى عليـه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جداً .

واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد بروميه ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار ، وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب المقابيين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوءات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتـاب يشوع بن شارخ[٤٨] وزير سليمان. ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربع وكتب القتاليقون سبع رسائل[٤٩] وثامنها الابريكسيس[٥٠]

---

٤٦) في هذا النص عدة اخطاء تاريخية ، منها ان النص الانجيلي الاصيل لم يكتب ابداً باللاتيني بل ترجم فيما بعد الى هذه اللغة ؛ بل كتب الانجيليون الروايات باليونانية ؛ ولكن هنالك تقليداً يقول ان متى كتب اولاً انجيله بالآرامية لا بالعبرانية ، وهـذا النص ترجمه مجهول الى اليونانية فضاع الاول وبقي الثاني لدينا . لم يكتب بطرس انجيلاً بل هو تلميذه (مرقس وليس مرقاس ، وزبدى وليس زبدي) اخـذ عنه تعليمه وكتب سيرة المسيح باليونانية .

٤٧) يعتقد النصارى ان كل ما ورد في الانجيل موحى من الله ، ولكن ليس عـلى ما يعتقده المسلمون في قرآنهم ، فالله اذ يوحي لانسان كلامه وتعاليمه لا يبطل قوى الانسان العقلية بل يرفعها ويسمو بها بكرامة خاصة لتصبح قادرة عـلى قبول كلام الله الذي يبلغ حينذاك الى الناس وهو كلام الانسان ايضاً .

٤٨) والاصح ابن سيراخ . وفي اعلاه « كتاب اوشير » والاصح كتاب استير .

٤٩) واحدة من القديس يعقوب ، والثانية من القديس يهوذا ، الثالثـة والرابعة من القديس بطرس ، والثلاث الاخيرة من القديس يوحنا .

٥٠) هو ما نسـميه اليوم كتاب « اعمال الرسل » .

في قصص الرسل وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمنطس[٥١] وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس[٥٢] وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي . واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها واستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسيمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفائه الى ما بعد من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع . وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومه يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة فيمن قتل من البطارق والاساقفة وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعياً سبع سنين ...[٥٣] .

ما قال الانجيليون الاربعة

وكانت حنة امرأة عمران قد نذرت ان وهب الله لها ولدًا ان تجعله لله . فلما ولدت مريم دفعتها الى زكريا بن برخيا بن شو بن نحرائيل بن سهلون بن ارسو بن شويل بن لعود[٥٤] بن موسى بن عمران وكان كاهن المذبح فلم يزل كذلك حتى اذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله اليها الملك ليهب لها ولدًا زكياً فكان من خبرها ما قد نصّه الله عز وجل حتى اشتملت على الحمل. فلما كملت ايامها طرقها المخاض على ما قال الله عز وجل ووصف من حالها وحاله وكلامه من تحتها وكلامه في المهد . وكان مولده بقرية يقال لها بيت لحم من قرى فلسطين وكان ذلك يوم الثلثاء لاربع وعشرين يوماً خلت من كانون

---

٥١) لم تعتبر الكنيسة يومًا رسالة اقليمندس موحاة من الروح القدس بالرغم من الاكرام الذي احيطت به في الاجيال الاولى .

٥٢) والاصح « ابوكاليبسيس » وهي كلمة يونانية معناها « رؤيا » .

٥٣) ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، المقدمة ، ٢٣٢—٢٣٣ .

٥٤) هكذا في النص .

الاول ... واما اصحاب الانجيل فلا يقولون انه تكلم في المهد ويقولون ان مريم كان مسماة برجل يقال له يوسف من ولد داود وانها حملت فلما قرب وضع حملها سار بها الى بيت لحم فلما ولدت ردها الى ناصرة من جبال الجليل . فلما كان في اليوم الثامن ختنه على سنّة موسى بن عمران . وقد وصف الحواريون اخبار المسيح وذكروا حاله فاثبتنا مقالة واحد منهم وما وصفوه به . وكان الحواريون اثني عشر من اسباط يعقوب وهم شمعون بن كنعان من سبط (... ويعقوب) بن زبدي (...)[**] ويحيي ابن جابر بن فامي من سبط زبلون وفيلنوس من سبط هرام بن يعقوب ويهوذا من سبط يهوذا بن يعقوب ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ومنسى من سبط روبيل بن يعقوب . وكان دون هؤلاء سبعون رجلاً وكان الاربعة الذين كتبوا الانجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا اثنان من هؤلاء الاثني عشر واثنان من غيرهم .

انجيل متى

فاما متى فانه قال في الانجيل في نسب المسيح: يسوع بن داود بن ابراهيم الى اسفل حتى انتهى الى يوسف بن يعقوب بن ماثن بعد اثنين واربعين أباً . ثم قال وكان يوسف بعل مريم وان المسيح ولد في بيت لحم من قرى فلسطين وملك فلسطين يومئذ هيرودس . وان قوماً من المجوس ساروا الى بيت لحم وعلى رؤوسهم نجم يهتدون به حتى رأوه فسجدوا له . وان هيرودس ملك فلسطين اراد ان يقتل المسيح وان يوسف اخرجه واخرج امه الى ارض مصر. فلما مات هيرودس ردّه فانزله ناصرة جبل الجليل . وانه لما كمل المسيح وبلغ تسعا وعشرين سنة صار الى يحيي بن زكريا ليصطبغه فقال له يحيي بن زكريا: انا احوج اليك منك الي. فقال له المسيح: اترك هذا القول فان هكذا ينبغي ان يتم البرّ فتركه يحيي. وان يسوع خرج بتأييد روح الله الى البرية فصام اربعين يوماً فاقترب اليه الشيطان فقال: ان كنت الآن ابن الله فمُرْ هذه الحجارة تصير خبزاً. فقال يسوع : انه ليس بالخبز وحده يحيى البشر ولكن بكلمة الله .

**) النص الاصلي مضطرب .

فحمله فصيّره على جناح الهيكل ثم قال له الشيطان : فالق نفسك الى الارض فانك ان كنت ابن الله تكنفته ملائكة. فقال المسيح : انه مكتوب لا تجرب الله بك ، ثم قال للشيطان : اذهبْ فان لله اسجد واياه أعبد ، فتركه الشيطان وذهب . ثم ان ملائكة الله عز وجل اقتربت منه فجعلوا يخدمونه .

انجيل لوقا

فأما لوقا فانه يقول في اول الانجيل: من اجل ان كثيرًا من الناس احبوا ان يكتبوا القصص والامور التي عرفناها رأيته يحق علي ان اكتب شيئاً علمته بحقه . انه كان في ايام هيرودس الملك كاهن يسمّى زكريا من خدام آل ابيا وامرأته من بنات هارون تسمّى اليسبع وكانا جميعاً بارين قدام الله عاملين بوصاياه غير مقصرين في طاعته. ولم يكن لهما ولد وكانت اليسبع عاقرًا وزكرياء عاقرًا قد كبرت سنهما . فبينما زكريا يكهّن الدخنة فدخل الهيكل وجماعة خارج الهيكل فتراءى لزكريا ملك الرب قائمًا عن يمين المذبح فارتعد زكريا حين ابصره وحلّت عليه الخشية فقال له الملَك : لا ترهبن يا زكريا فان الله قد سمع صلواتك واجاب دعاءك فيهب لك ابناً تسميه يحيى[56] ويكون لك فيه الخير والفرح ويكون عظيماً عند الله ولا يشرب خمرًا ولا سكرًا ويمتلي من روح القدس اذ هو في بطن امه ويقبل الى الله بكثير من آل اسرائيل ويحل عليه الروح الذي حل على إليًا[57] النبي ليقبل بقلوب الاباء على ابنائهم ويكونوا لله شعبًا كاملًا . فقال زكريا للملَك : كيف لي ان اعلم هذا وانا شيخ وامرأتي كبيرة السن ؟ فقال له الملَك : اني انا جبريل القائم بين يدي الله عز وجل ارسلني لابشرك بهذا فمن الآن تكن صامتاً لا تتكلم حتى اليوم الذي يكون فيه هذا لانك لم تصدق ولم تؤمن بقولي الذي يتم في حينه . وكان الشعب قياماً ينتظرون زكريا ويتعجبون من لبثه في الهيكل . فلما ان خرج لم يقدر ان

---

٥٦) في النص الاصلي ، الانجيل ، يوحنا لا يحيى .

٥٧) اي ايليا ، وهو النبي الياس الذي ورد ذكره في القرآن ايضاً .

يكلمهم فعرفوا وايقنوا انه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومىء اليهم ايماء ولا يتكلم . فلما تمت ايام خدمته انصرف الى بيته .

وحملت اليسبع امرأته واقامت تخفي نفسها اشهرًا خمسة وتقول: هذا الذي صنع الي الرب في ايام نظره الي ليمحو عني عاري في البشر. ولما كان في الشهر السادس من حمل امرأة زكريا ارسل الله جبريل الملَك الى جبل الجليل الى مدينة تدعى ناصرة الى فتاة عذراء، مملّكة برجل يسمّى يوسف من آل داود اسمها مريم، فدخل اليها الملَك وقال لها : السلام عليك ايتها المملوءة من النعمة، ايتها المباركة في النساء . فلما رأته فزعت من كلامه وجعلت تفكر وتقول: ما هذا السلام . وقال لها الملَك : لا تزهي يا مريم قد لاقيتِ ووافيتِ عند الله نعمةً، بحق، انك تقبلين حبلى وتلدين ابناً وسميه ايسوع[٥٨] ويكون عظيماً وابن الاعلى يُدعى ويعطيه الرب الهه كرسي داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الدهر ولا يكون لملكه فناء ولا انقطاع . فقالت مريم للملَك : كيف يكون هذا ولم يمسني رجل ؟ قال لها الملَك : روح القدس يحل عليك وهذا الذي يولد منك قدوس وابن الله يدعى، وهذه اليسبع نسيبتك فهي ايضاً حبلى بابن على كبرها وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقرًا لانه لا يعجز الله شيء . فقالت مريم : اني أمة الله فليكن لي كما قلت . ودخلت مريم الى بيت زكريا وطلت علـى اليسبع، فلما سمعت اليسبع كلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من روح القدس وقالت لمريم : مباركة انتِ في النساء، بحق، انه لما وقع صوت سلامك في مسامعي بفرح عظيم ارتكض الجنين في بطني .

وولدت اليسبع امرأة زكريا ابناً وختنوه يوم الثامن وسموه يوحنـا، ومن ساعته انفتح فوه وتكلم وبارك الله تعالى، وامتلأ زكريا من روح القدس وقال:

---

٥٨) والاصح « يسوع » كما يقول النصارى عامة بالعربية ؛ اما « أيسوع » فهي لفظة مأخوذة عن النصارى النساطرة الذين يقولون « إيشوع » بالسريانية بينما اليعاقبة يقولون « يشوع » بالسريانية ايضاً . واصل الاسم عبراني « يشُووَع » الذي معناه « الله الخلاص »، وذلك « لانه هو يخلّص شعبه من خطاياهم »، كما قال الملاك في بشارته لمريم، راجع انجيل متى ١ : ٢١ .

تبارك الرب اله اسرائيل الذي أبلى شعبه واطلقهم بالخلاص واقام لنا قرن الخلاص من آل داود كالذي تكلم على ألسنة انبيائه الطاهرين .

ولما كملت لمريم ايامها صعد بها يوسف الى جبل الجليل فولدت ابنها البكر فلفته في الخرق واضجعته في الاري من اجل انـه لم يكن لهما مكان حيث كانا نازلين . . . فأتاهم ملَك الرب ومجد الله اشرق عليهم فخافوه خوفاً شديداً وقال لهم ملَك الرب : لا تخافوا ولا تحزنوا بجتو. اني ابشركم بفرح عظيم يعم العالم . ثم نسب المسيح من يوسف الى آدم .

وانه لما تمت له ثمانية ايام اتوا بـه ليختنوه كسنة موسى وسموه ايسوع وختنوه واتوا به الى الهيكل واتوا بذبيحة زوج يمام وفرخي حمام ليقرب عنه. وكان هناك رجل يقال له شمعان من الانبياء ، فلما دنوا من المذبح ليقربوا عنه احتمله شمعان وقال : قد ابصرت عيناي حنانك يا رب فمن الآن فتوفني .

وكان اهله يصعدونه في كل سنة الى اورشليم في عيد الفسح[٥٩] وكان يخدم العظماء ويعجبون به لما يرون من حكمته .

وفي ذلك الزمان كان الملك هيرودس قد اخذ يوحنا فسجنه وذلك انـه كان يأتي امرأة اخيه فيلفوس فنهاه يوحنا ان يأتي ذلك وكان يريـد ان يقتله ويتقي لانهم كانوا يعظمون يوحنا . فقالت له امرأة اخيه : اقتل يوحنا. فوجه الى السجن فقطع رأس يوحنا ووضعه على طبق واقترب تلاميذه واخذوا جثته فقبروها وجاءوا المسيح فاخبروه فخرج الى ارض قفر وجعل يأمر اصحابه لا تخبروا احداً .

انجيل مرقس

فاما مرقس فانه قـال في اول انجيله : ايسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في اشعيا النبي : اني مرسل ملاكي قدام وجهك لاصلح سبيلك . وان يحيى بن زكريا كان يعمد المعمودية للتوبة وكان لباسه وبر الابـل وكان يشد

٥٩) والاصح ، « الفصح » وهي منقولة عن العبرانية ومعناها العبور تذكاراً لخروج العبرانيين من مصر عابرين البحر الاحمر الى ارض المعاد .

حقوته بغرفة من جلود وان المسيح جاءه من ناصرة الجليل يعمده في الاردن فلما عمده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة وصوت من السماء ينادي من السماء : انت ابني خليلي الذي بك سررت . وانصرف الى جبل الجليل فاذا قوم يصطادون السمك فيهم شمعون واندراوس فقال لهما : الحقاني اجعلكما تصطادون البشر ، فمضيا معه فدخل قرية فأبرى مرضاها وبرصها وفتح اعين عميان بها فاجتمع اليه قوم وجعل يكلمهم بامثال ووحي ويقول : بحق اقول لكم لا تذهب القبيلة[٦٠] حتى يذهب السماء والارض وكلامي لا يذهب . ثم ان تلامذته اقتربوا اليه فجعل يكلمهم بامثال ووحي وبغير امثال . وكان اول ما تكلم به من الانجيل على ما في انجيل متى: طوبى للمساكين القانعة قلوبهم بما عند ربهم بحق ان لهم ملكوت السماء ، طوبى للجياع العطاش في طاعة الله ، طوبى للصادقين في قولهم التاركين للكذب الذين هم ملح الارض ونور العالم ، لا تقتلوا ولا تسخطوا احدًا وارضوا من سخط عليكم وصالحوا خصمكم ولا تزنوا ولا تنظروا الى غير نسائكم فان كانت عينكم اليمنى تدعوكم الى الخيانة فاقلعوها حتى تنجوا بابدانكم ولا تطالقوا نساءكم من غير زنية ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولا بسمائه ولا بارضه ولا تقاوموا الشر ولكن من لطمك على عارضك الايمن فاقبل اليه بعارضك الايسر ومن اراد ان ينزع قميصك فأعطهِ ايضاً رداءك ومن سخرك ميلًا فانطلق معه ميلين ومن سألك فاعطه ومن استقرضك فاقرضه ولا تحرمه . قد سمعتم انه قد قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاني اقول لكم احبوا اعداءكم وصِلوا من قطعكم وافعلوا الخير الى من بغضكم . ان كنتم تحبون الذين يحبونكم فاي اجر لكم . لا تظهروا صدقاتكم بين ايدي البشر لا تعلم شمائلكم بما عملت ايمانكم . لا تراءون الناس بصلاتكم واذا صليتم فادخلوا بيوتكم واغلقوا ابوابكم ولا يسمعكم احد واذا صليتم فقولوا : ابانا الذي في السموات يقدس اسمك وتأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء وعلى الارض. خبزنا

---

٦٠) والاصل في انجيل مرقس ١٣ : ٣٠ – ٣١ : « الحق اقول لكم انه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول » .

كفافنا أعطنا اليوم واترك لنا الذي علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنـــا ولا تدخلنا في تجربة يا رب ولكن نجنا من الشرير. ولا تظهروا صيامكم للبشر اذا صمتم لله ربكم ولا تغيروا وجوهكم ليراكم الناس فان ربكم يعلم بحالكم ولا تدخروا الذخائر حيث السوس والارضة الآكلة يفسدون وحيث اللصوص يحفرون ولكن تكون ذخائركم عند ربكم الذي في السماء حيث لا سوس يعدو ولا لص يسرق ولا تهتموا بمعاشكم ولا تأكلون ولا تشربون ولا ما تلبسون. وانظروا الى طـير السماء لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في البيوت فان الله يرزقهن وانتم اكرم على الله من الطير . لا تهتموا لاولادكم فانهم مثلكم كما خُلقتم خُلقوا وكما رُزقتم رُزقوا . ولا تقل لاخيك أخرج القذى من عينك وفي عينك انت جذع . لا تنظروا في عيوب الناس وتدعوا عيوبكم . لا تعطوا القدس اللؤلؤ للخنازير فتدوسه بارجلهـا . سلوا ربكم يعطِكم وابتغوا اليه فانكم تجدونه رحيماً بكم واقرعوا بابه يفتح لكم اما الباب فانه معرض والطريق بيّن وهو يبلغ الناس التلف ومـا اصغر الباب واضيق الطريق التي تبلغ الناس النجاة. تحفظوا من اهل الكذب الذين يشبهون الذئاب الضارية . كما لا تستطيعون وتقطفون العنبة من الشوك ولا التين من الحنظل هكذا لا تجدون شجرة سوء تخرج نباتاً صالحاً ولا شجرة صالحة تخرج ثمرة سوء . كل من يسمع كلامي ثم يفهمه فانه يشبه رجلاً حكيماً بنى بيته في مكان صلب شديد فجاء المطر ودرت الانهار وارتفعت الرياح (...) فسقط البيت .

انجيل يوحنا

واما يوحنا السليح فانه يقول في اول انجيله في نسبة المسيح : قبل كل، كانت الكلمة وتلك الكلمة عند الله والله كان هو الكلمة . هذه كانت قبل كل شيء كان بها ، كانت الحياة والحياة هي نور البشر وذلك الضيـاء في الظلام (والظلام) لم يدركه (كان انسان) كان ارسله الله اسمه يوحنا الى للشهادة ليشهد على النور ليهتدي الناس ويؤمنوا على يـده ولم يكن هو النور فان نور الحق لم يزل يضيء ويبين في (العالم) كان في يده والعالم لم يعرفه .

الى خاصته اتى وخاصته لم تقبله فاما الذين قبلوه وآمنوا به فاعطاهم الله سلطاناً ليكونوا يدعون ابناء الله اولئك الذين يؤمنون باسمه الذي لا من الدم ولا من هوى اللحم ولا من شهوة المرء وُلد ولكن من الله وُلد . والكلمة صارت لحماً وحلّتْ فينا ورأينا مجدها مجدًا كالوحيد الذي من الاب المملوء من النعمة والقسط . ويوحنا شهد عليه ونادى وقال هذا قلتُ انه يأتي من بعدي وقد كان قبلي من اجل انه اقدم مني. ومن تمامه كلنا نلنا نعمةً فاضلةً بدل النعمة الاولى لان التوراة على يد موسى أُنزلتْ فأما الحق والنعمة فبايسوع المسيح (. . .) الكلمة التي لم تزل في حضن ابيها[٦١] .

كتاب اعمال الرسل

ولما رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريون الى اورشليم في جبل طور الزيتون وصاروا الى عليّة كان فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلموس ومتّاوس ويعقوب (. . .) . فقام سمعان على الحجر فقال : يا معشر الاخوة قد كان ينبغي ان يتم الكتاب الذي سبق فيه روح القدس. وارادوا ان يجعلوا رجلًا يتمّ به الاثنا عشر فقدموا متى وبرسبا ، وقالوا : اللهم اظهر لنا من تختاره . فوقع على متى فاصابتهم ريح شديدة امتلأت الغرفة التي كانوا فيها ورأوا مثل لسان النار فتكلموا بألسن شتى ثم قالوا لبطرس:ماذا تصنع؟ فقال لهم بطرس : قوموا واعمدوا كل انسان منكم باسم المسيح وتنحوا عن هذه القبيلة المعوجة. واقام بطرس ويوحنا كلما دخلا الكنيسة ذكرا أمر المسيح ووصفا فعله ودعوا الناس الى عبادتهِ فانكروا[٦٢] ذلك عليهم اليهود واخذوهم فحبسوهم ثم اطلقوهم وقالوا : نختار سبعة رجال يقدسون الله ويذكرون حكمته ومسيحه ، فاختاروا اصطفانس وفيلبس وابرحورس ونيقانور وطيمون وبرمنا ونيقولاوس الانطاكي[٦٣] واقاموهم فصلوا عليهم وقدسوهم فجعلوا يصفون امر

٦١) اليعقوبي ، ١ : ٨٣–٨٥ .

٦٢) هكذا في الاصل .

٦٣) وفي الكتاب المقدس ، اعمال الرسل ٦ : ٥ : « فاختاروا استفانس رجلًا ممتلئًا من الايمان والروح القدس وفيلبس وبردكورس ونيقانورس وطيمون وبرمناس ونيقولاوس دخيلا انطاكيا » .

المسيح ويدعون النـــاس الى دينهم . وكان بولس اشد الناس عليهم واعظمهم ايذاء لهم وكان يقتل من يقدر عليه منهم ويطلبهم في كل موضع فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها فسمع صوتاً يناديه : يا بولس كم تضطهدني ، ففزع حتى لم يبصر . ثم جاءه حنانيا فقدس عليه حتى انصرف وبرأت عينــه فصار يقوم في الكنائس فيذكر المسيح ويقدسه . فارادت اليهود قتله فهرب منهم وصار مع التلامذة يدعو الناس ويتكلم بمثل ما يتكلمون بــه ويظهر الزهد في الدنيا والتقليل منها حتى قدموه[٦٤] الحواريون جميعاً على انفسهم وصيروه رأسهم وكان يقوم فيتكلم ويذكر امر بني اسرائيل والانبياء ويذكر حـــال المسيح ويقول : ميلوا بنا الى الامم كما قال الله للمسيح : اني وضعتك نوراً للامم فتصير اخلاصاً[٦٥] الى اقطار الارض . فتكلم كل رجل منهم برأيــه وقالوا : ينبغي ان يحتفظ بناموس وان يرسل الى كل بلد من يدعو الى هذا الدين وينهاهم عن الذبائح للاوثان وعن الزنا وعن أكل الدم. وخرج بولس ومعه رجلان الى انطاكيه ليقيموا دين المعمودية ثم رجع بولس وأُخذ فحُمل الى ملك رومية فقام فتكلم وذكر حال المسيح فتحالف قوم عــلى قتله لافساده دينهم وذكره المسيح وتقديسه عليه[٦٦] .

٦٤) هكذا في النص ؛ لقد كان بطرس هو المقدم دائماً حسب ارادة المسيح .

٦٥) وفي المرجع الاصلي ، اي كتاب اعمال الرسل ١٣ : ٤٦ : « اني جعلتك نوراً للامم لتكون للخلاص الى اقصى الارض » .

٦٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ١ : ٨٨–٨٩ ؛ لقد اختصر اليعقوبي في هذا النص كتاب اعمال الرسل ، وهو في عقيدة المسيحيين كتاب اوحاه الروح القدس وفيه ذكر لنشأة الكنيسة في العقود الاولى .

الفصل السادس

مواعظ المسيح

كان عيسى استاذ الصوفيين وشيخهم الاكبر ، على طريقته ساروا وبهديه اهتدوا. فلقد اعترف له الغزالي بشطحات لم يعط لاحد غيره ان يبوح بها ، وقال ابن العربي « انه تاب على يده » ، وقضى الحلاج على « دين الصليب » غافراً مثل المسيح للصالبين .

وذلك لان عيسى حقق في زعم الصوفيين ما كانوا هم يصبون الى تحقيقه في حياتهم من زهد بالحياة الدنيا وتقرب الى الله .

وهذه هي المواعظ التي نسبوها اليه ، وكأنها انجيل المسيح في الاسلام ؛ ولقد جمع معظمها ابو حامد الغزالي في كتابه الرائع « احياء علوم الدين » . وكلها تكاد تدور حول قطبين مهمين اولهما الفقر وثانيهما ادراك الله والفناء فيه ، وهذه هي المعرفة او الحكمة التي عنها يتكلمون .

ولا بد من الاشارة الى ان المرجع الاول لمقالات الصوفية في المسيح وللعظات التي اوردوها على لسانه هو كلام القرآن الذي يدعو عيسى وحده من بين الانبياء « روح الله وكلمته » . واذ تأملوا بحقيقة عيسى كما صورها لهم الكتاب وجدوا فيه مثالا اسمى للزهد بالفاني والتوق الى الكمال .

وان بين هذه المواعظ العيسوية وبين ما ذكرت الاناجيل صلات وثيقة تبين دون جهد للعارفين بالاصول المسيحية . ولكن غالباً ما يبعد النص الانجيلي فيتغير معناه وينتحل مبناه . ولقد جهدنا وسعنا في اظهار هذه القربى بين التراثين المسيحي والاسلامي.

الله يكلم عيسى

(عن عوسجة العقيلي) : اوحى الله تبارك وتعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام :

يا عيسى بن مريم أنزلني من نفسك كهمك ، واجعلني ذخرًا في معادك ! تقرب الي بالنوافل أدنِك ، وتوكل علي أكفِك ! ولا تولَ غيري فاخذلك واصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن كمسرتي فيك فان مسرتي فيك ان أُطاع فلا أعصى ! وكن مني قريباً وأحيِ لي ذكرًا بلسانك ولتكن مودتي في صدرك ! تيقظ من ساعات الغفلة وأحكمْ لي لطف الفطنة ، وكن لي راغباً وراهباً ، وأمتْ قلبك بالخشية لي ، وراعِ الليل لتُجزى مسرتي ، واظمأ لي في نهارك ليوم الريّ عندي ! امشِ في الخير جهدك ، ولتُعرفْ بالخير حيث ما توجهت ! واحكمْ لي في عبادي بنصيحتي ، وقمْ في الخلائق بعدلي ، فقد انزلت عليك شفاء من وساوس الصدور ومن مرض الشيطان وجلاء الابصار ومن عشا الكلال ! ولا تكُ كأنك فلس معبور وانت حي تتنفس !

يا عيسى بن مريم حقاً اقول لك ما آمنت بي خليقة الا خشعت لي ، ولا خشعت الا رجت ثوابي، واشهدك انها آمنة من عقابي ما لم تبدّل او تغيّر سنّتي !

يا عيسى بن مريم ابن البكر البتول ابكِ على نفسك ايام الحياة بكاء مودع الاهل ، وخلّى الدنيا وترك اللذات لاهلها من بعده ، وارتفعت رغبته فيما عند الهه ! وكن يقظان اذا نامت عيون الابرار حذرًا لما هو آت من امر العباد وزلازل الاهوال حيث لا ينفع اهل ولا ولد ولا مال ! واكحل عيونك بملول الحزن اذا ضحك البطالون ، وابك بكاء من قد علم انه مودع للملّم النازل الذي هو اقرب من حبل الوريد معه ! وكن في ذلك صابرًا محتسباً فطوبى لك ان نالك ما وعدت الصابرين (فرح من الدنيا بالله يوماً يوماً ، وذق مذاقه !) ما قد هرب منك اين طعمه ، وما لم يأتك كيف لذته ؟ حقاً ما اقول لك ما انت الا ساعتك ويومك ، فرحْ من الدنيا بالبُلغة ، وليكفِك منها الجسر الجشيب[1] .

---

١) اي المرعى الغليظ .

قد رأيت الامَ تصير ا مكتوب عليك ما اخذت وكيف رتعت ، فاعملْ على حساب فانك مسؤول ا لو رأت عيناك ما اعددت لاوليائي الصالحين لذاب قلبك وزهقت نفسك اشتياقاً اليه[٢] .

قال الله سبحانه لعيسى : ان الدنيا لا تصلح الا بالقمح والشعير فلا يصلح فسادهما ، فانهما اعز خلقي علي .

يا عيسى اعلم ان للزرع حرمة لا تشبهها حرمة احد من الخلق واني اغضب على ما افسده كغضبي على من قال : اني ثالث ثلاثة[٣] ، أو كغضبي على من قال : اني فقير ، او كغضبي على من زعم اني ولدت ولداً حتى يكفر ما صنع ويتوب مما جناه فاغفر له وانا غفار للذنوب[٤] .

اوحى الله الى عبده المسيح ان قلْ لبني اسرائيل اني لا استجيب لاحد منهم دعوة ولاحد منهم قبلة مظلمة ...

يا عيسى قل لبني اسرائيل ان لا يمدوا ايديهم بالرغبة الي حتى يبرأوا من انجاس الذنوب[٥] .

ان الله عز وجل قال : يا عيسى اني باعث من بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون احتبسوا وصبروا ولا حلم ولا علم . قال : يا رب كيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي[٦] .

---

٢) ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاوليا، ٦ : ٢٠١-٣٢-٣٠٢ قابل جزئياً بابي طالب المكي، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٩ .

٣) الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة هم النصارى حسب القرآن ، والذين قالوا ان الله ولد ولداً هم المشركون من اهل مكة .

٤) عن مخطوطة عربية في مكتبة الاكاديمية التاريخية الملوكية، في مدريد، تحت عنوان Goyangos تحت عدد ٤٨ : ١ صفحة ١٨٢ ، قد يكون في هذا صدى لما ورد في الانجيل عن الزارع الذي « جاء عدوه بينما الناس نائمون فزرع زؤاناً في حقله ومضى » متى ١٣ : ٢٥ .

٥) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٩١ ، حديث عن علي .

٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١ : ٢٢٧ ؛ ٥ : ٣٢ - ٣٣ .

تفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيِ ربك[٧] .

اوحى الله الى عيسى عليه السلام : يا عيسى عظْ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيِ مني[٨] .

قيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليــه السلام : اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك[٩] .

اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : تزعم أنك لا تسألني شيئاً فاذا قلت : ما شاء الله ، فقد سألتني كل شيء[١٠] .

يروى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام : لو انك عبدتني بعبادة اهل السماوات وحبٌ في الله ليس ، وبغض في الله ليس ، ما اغنى عنك ذلك شيئاً[١١] .

اوحى الله الى عيسى عليه السلام : اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد

---

٧) الغزالي ، ايها الولد ، ٣٤ ؛ وهو نسخ لكلام المسيح في الانجيل : « ايها الطبيب اشف نفسك » لوقا ٤ : ٢٣ .

٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٣٨٢ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٧ ؛ ٤ : ٢٩٩ ؛ الرسالة الوعظية ، ١٥٤ — ١٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٨ ؛ ١٠ : ١٤٨ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ١١٧ .

٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٥٥ .

١٠) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٢٠١ ؛ قابل بالانجيل : « اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله تزدادونه » ، متى ٦ : ٣٣ .

١١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١١٠ ؛ الزبيدي اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ١٧٧ . قابل بنشيد المحبة على لسان القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل قورنثيه ، الفصل الثالث عشر ، الايات ١ — ٣ : « لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن في المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن . ولو كانت لي النبوءة وكنت اعلم جميع الامرار والعلم كله ، ولو كان لي الايمان كله حتى انقل الجبال ولم تكن في المحبة فلست بشيء . ولو بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق ولم تكن في المحبة فلا انتفع شيئاً » .

فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي[١٢] .

اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: لا يفقد نبي حرمته الا في بلده[١٣] .

دعاء عيسى

دعاء عيسى صلعم كان يقول :

اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو . واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهناً بعملي فلا فقير افقر مني .

اللهم لا تشمتْ بي عدوي ولا تسوْ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلّط عليّ من لا يرحمني ، يا حيّ يا قيّوم[١٤] .

ذُكر عن عيسى عليه السلام انه قال : يا رب كيف اشكرك وشكري اياك نعمة منك علي يجب علي الشكر عليها ؟ فقال : اذا علمت هذا فقد شكرتني[١٥] .

(عن ابراهيم بن عبدالله) وان شئت ثنيت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم كان يقول :

ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق

---

١٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٥٨ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٧٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٨١ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ١٧٣ ؛ قابل بالانجيل : «من كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه ابي وانا احبه واظهر له ذاتي . . . واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا . » يوحنا ١٤ : ٢١ ، ٢٣ .

١٣) عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، ١ : ١٤ ؛ وهو مأخوذ عن الانجيل: «لا يكرم نبي في بلده» يوحنا ٤ : ٤٤ .

١٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٢٢ ؛ ٢ : ١١٣ ؛ ٤ : ٩٥ ؛ الزبيدي ؛ اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ٦٩ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ١ : ١٤ .

١٥) ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٣٧٠ ؛ وقد جاء الكلام عينه على لسان موسى وداود ، عند الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٦٢ ، والزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٥٥ .

الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتتْ الارض . أبيت وليس عندي شيء وأصبح وليس عندي شيء وما على الارض اغنى مني[١٦].

ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى :

اللهم انت اله من في السماء واله من في الارض ، لا اله فيهما غيرك. وانت جبار من في السموات ومن في الارض لا جبار فيهما غيرك . وانت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك . وانت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك . قدرتك في الارض كقدرتك في السماء ، وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء . اسألك باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير[١٧] .

مواعظ عيسى

قال عيسى صلعم : من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات[١٨] .

قال عيسى عليه السلام : ما اكثر الشجر وليس كلها بثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيّب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع[١٩] .

قال عيسى عليه السلام : مثَل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر

---

١٦) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٣١٤ ؛ الغزالي احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٧٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٠١ الذي ينسب مثل هذا الكلام الى الامام علي نقلاً عن كتاب نهج البلاغة ؛ ويورده ايضاً الحسن البصري عن المسيح ، ابو نعيم الاصبهاني ، حيلة الاولياء ، ٢ : ١٣٧ .

١٧) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٠ .

١٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ١٠٦ حيث : « من تعلم وعمل لله كتب في ملكوت السموات عظيماً . » قابل بالانجيل : « اما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات . » متى ٥ : ١٩ .

١٩) الغزالي، احياء علوم الدين، ١ : ٢٤؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٢٩ ؛ قابل بالانجيل : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين الخ . . . » متى ٧ : ١٦ — ٢٠ .

لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع . ومثّل علماء السوء مثل قناة الحشّ ظاهرها جصّ وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى[٢٠] .

قال عيسى عليه السلام: كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه ? وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به[٢١] .

قال عيسى عليه السلام : مثّل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد[٢٢] .

في التوراة والانجيل مكتوب : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم[٢٣] .

كلام عيسى بن مريم عليه السلام : تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل . ويلكم علماء السوء الاجر تأخذون والعمل تضيّعون يوشك رب العمل ان يطلب عمله . كيف يكون من اهل العلم من سيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره اشهى اليه — او قال: احب اليه — مما ينفعه . وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر عنه لا ليعمل به . والعلم فوق رؤوسكم والعمل

---

٢٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٥ ؛ ٣ : ٢٧٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ١٥٣ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٨ ؛ قابل بانجيل متى ، ١٢ : ٣٣ ؛ ٢٣ : ١٣ ، ٢٧ .

٢١) الغزالي، احياء علوم الدين، ١ : ٤٦؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ١ : ٣٦٣ ؛ وفي الانجيل : « مها قالوا (الكتبة والفريسيون) لكم فاحفظوه واعملوا به واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون » متى ٢٣ : ٣ .

٢٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٧٤ .

٢٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين، ١ : ٣٧٥ حيث نص آخر : « يا ابن ادم لِمَ تطلب علم ما لم تعلم وانت لما تعمل فيما تعلم » .

تحت اقدامكم فلا احرار كرام ولا عبيد اتقياء[٢٤] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون يقربون الاغنياء ويبعدون الفقراء ويتبسطون للكبراء وينقبضون عن الحقراء اولئك اخوان الشياطين واعداء الرحمان[٢٥] .

بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم . يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته . بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم . جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم . بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فأي الناس اخسر منكم لو تعلمون .

ويلكم حتامَ تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم . مهلًا مهلًا ! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يُوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ، كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة .

يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان

---

٢٤) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٣ ؛ قابل جزئيًا بابن العربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ٢ : ٢٠٣ ؛ والغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٦ ؛ قابل بنص الانجيل ، متى ٢٣ : ٣ ؛ لوقا ٩ : ٦٢ ؛ ١٧ : ٣٢ .

٢٥) ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ١ : ١٥٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ١٥ .

عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم[٢٦] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين : ويلكم يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم اصولكم واهواؤكم عقولكم . قولكم شفاء يبرىء الداء وفعلكم داء لا يقبل الدواء . ألستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ولكنكم كالسَمُرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها .

ويلكم يا عبيد الدنيا جعلتم العمل تحت اقدامكم من شاء اخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يمكن تناولها . فلا انتم عبيد نصحاء ولا احرار كرام .

ويلكم يا اجراء السوء ، الاجر تأخذون والعمل تفسدون ! سوف تلقون ما تحذرون اذا نظر رب العمل في عمله الذي افسدتم واجره الذي اخذتم[٢٧] .

قد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له : مَن أشدّ الناس فتنةً ؟ فقال: زلة عالم اذا زل بزلته عالم[٢٨] .

روي عن عيسى بن مريم عليهما السلام: ماذا يغني عن الاعمى حمل السراج ويستضيء به غيره ؟ وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره؟ وماذ يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة وما تعملون بها[٢٩] ؟

---

٢٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٨٢ ؛ قابل بالكتاب عينه ، ١ : ٤٤ ؛ ٣ : ٢٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٥١ ؛ ٨ : ٢١٣ ، ٣١٨ ؛ والغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٧ ؛ فاتحة العلوم ، ١٨ ؛ قابل بالانجيل : متى ٧ : ١٥ ؛ ١٥ : ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ؛ ٢٣ : ٣ ، ٤ ، ١٤ ، ٢٤ – ٢٨ .

٢٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ .

٢٨) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ١ : ٥٨ ؛ وفي الانجيل : « الويل للعالم من الشكوك ، فلا بد من الشكوك ، ولكن الويل للانسان الذي تقع الشكوك عن يده . » متى ، ١٨ : ٧ ؛ مرقس ، ٩ : ٤٢ ؛ لوقا ، ١٧ : ١–٢ .

٢٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٥٦ ؛ وفي الانجيل : « لا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال بل على المنارة لينير على كل من في البيت » ، متى ، ٥ : ١٥ ؛ مرقس ٤ : ٢١ ؛ لوقا ٨ : ١٦ ؛ ١١ : ٣٣ .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : بحق أقول لكم ان قائل الحكمة وسامعها شريكان وأولاهما بها من حققها بعمله[٣٠] .

قال عيسى بن مريم عليهما السلام : يا معاشر الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا انتم مشيتم فوصلتم اليها ولا انتم تركتم احدًا يجوّزكم اليها فالويل لمن اغترّ بكم[٣١] !

روي عن عيسى عليه السلام : العلماء ثلاثة ، عالم بالله وبامر الله ، وعالم بالله ليس عالم بامر الله ، وعالم بامر الله وليس عالم بالله[٣٢] .

روي عن وهب بن منبّه ان عيسى بن مريم عليه السلام قال : ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الاعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ، كذلك لا يغني عن العالم كثرة علمه اذا لم يعمل به . ما اكثر اثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل وما اكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم ! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف منكسين رؤوسهم للارض يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب ! قولهم مخالف فعلهم . من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين ، كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب الا زورًا لان البعير اذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع الى وطنه واهله ، وان العلم اذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلى منه وعطّله ، وإنِ الزرع الا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل .

ويلكم يا عبيد الدنيا ان لكل شيء علامة يُعرف بها ويشهد له او عليه. وان للدين ثلاث علامات يُعرف بهن : الايمان والعلم والعمل[٣٣] .

قال عيسى عليه السلام : لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا

---

٣٠) ابن عبد البر القرطبي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ، ١٠٠ .

٣١) ابن العربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ٢ : ٢٣ .

٣٢) كتاب الترمذي ، مكتبة الاسكوريال ، عدد ١٨٦٠ صفحة ٥٤ ، ذكره اسين بلاثيوس ، عدد ٢٢٥ في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٦٠١ .

٣٣) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٢٩ ، قابل بالانجيل ، « هل يجتنى من الشوك عنب ومن العوسج تين ؟ » متى ٧ : ١٦ .

تمنعوها اهلها فتظلموهم . كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء . من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم . ان للحكمة حقاً وان لها اهلاً فاعطِ كل ذي حق حقه[٣٤] .

قال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير[٣٥] .

قال المسيح عليه السلام : ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا ، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر. ألا ترون أن من شمخ برأسه الى السقف شجّه ، ومن طأطأ أظلّه وأكنّه[٣٦] .

روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل: اين ينبت الزرع ؟ قالوا: في التراب ، فقال : بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب[٣٧] .

يروى ان عيسى عليه السلام قال للحواريين : لست اعلمكم لتعجبوا انما اعلمكم لتعملوا ، ليست الحكمة القول بها انما الحكمة العمل بها[٣٨] .

---

٣٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٥٣ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٣ ؛ ابو طالب المكي ، ٢ : ٣٢ ؛ قابل بالانجيل : « اعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله . » ، متى ٢٢ : ٢١ .

٣٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٤٣ ؛ الغزالي ، فاتحة العلوم ، ٦٢ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ٣٠٢ ؛ قابل بالانجيل: « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع فتمزقكم . » متى ، ٧ : ٦ .

٣٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٦٢ ؛ قابل بانجيل مثل الزارع الذي القى حبه على ارض حجرة ، وعلى الطريق ، وفي ارض طيبة ترابية ، متى ١٣ : ٣ — ٢٣ ؛ مرقس ٤ : ١٣ — ٢٠ ؛ لوقا ٨ : ٥ — ٨ ؛ وكلامه الآخر: « من ارتفع انضع ومن انضع ارتفع » .

٣٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٥٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٧٧ ؛ قابل بالانجيل مثل الزارع : « اما الذي زرع في الارض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم فيعطي ثمرة . » ، متى ١٣ : ٢٣ ؛ لوقا : ٨ : ١٥

٣٨) ابن عبد البر القرطبي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ، ١٠٠ ، قابل بالانجيل :

روي عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال : كل كلام ليس بذكر الله فهو لغو ، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة ، وكل نظر ليس بعبرة فهو لهو. فطوبى لمن كان كلامه ذكر الله وسكوته تفكرا ونظره عبرة[٣٩] .

قال المسيح عليه السلام : الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حرّاثون[٤٠] .

روي عن عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما انــه قال : يا معشر العلماء زغتم عن الطريق واحببتم الدنيا. فكما ان الملوك تركوا الحكمة عندكم فاتركوا ملكهم عليهم[٤١] .

قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع ، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا. وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تُركب وتُمتهن تصعب ويتغير خلقها ، كذلك القلوب اذا لم تُرقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ . وبحق أقول لكم ان الزقّ ما لم ينخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء للعسل ، كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسّيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة[٤٢] .

قال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيـــا والآخرة في قلب مؤمن

« اما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات . . . ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الـــذي في السماوات » متى ٥ : ١٩ ؛ ٧ : ٢١ .

٣٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٨ ؛ قابل جزئيًا بالغزالي ، احيــاء علوم الدين ، ٤ : ٣٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٣ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٨؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ١ : ٢٩٧ .

٤٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١ : ٢٩٤ ؛ وفي الانجيل: « الحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزوان هو بنو الشرير ، والعدو الذي زرعه هو ابليس والحصاد هو منتهى الدهر ، والحصادون هم الملائكة . » متى ١٣ : ٣٨–٣٩ .

٤١) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٩٠ ؛ قابل بالانجيل : « اوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » متى ٢٢ : ٢١ .

٤٢) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣ : ١٤٩؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين ،٨ : ١١١ .

كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد[٤٣] .

قال المسيح عليه السلام:لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم[٤٤] .

قال المسيح صلعم : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . قالوا : يا نبي الله انا نريد ان نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعاً نبني فيه ، فقال : تعالوا . فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال : ابنوا ههنا . فقالوا:نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعونا فيها ، فقال : كذلك الدنيا مدرجة للموتى وانتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها[٤٥] .

قيل لعيسى عليه السلام: ألا تبني بيتاً ؟ قال: ابني على طريق السبيل[٤٦] .

قال عيسى عليه السلام : مثَل الدنيا في الآخرة كمثل رجل له ضرّتان ان ارضى احديهما أسخط الاخرى[٤٧] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : يا بني اسرائيل اعلموا أن مثَل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم ، كلما اقبلتم الى المشرق بعدتم

---

٤٣) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣ : ١٤٠ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨ : ٨٦؛وفي الانجيل : « لا يمكنكم ان تعبدوا ربين الله والمال » ، متى ٦ : ٢٤ ؛ ١٩ : ٢١ – ٢٦ ؛ لوقا ١٦ : ١٣ .

٤٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٤٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٨ .

٤٥) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٨ – ١٧٩ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٨ ، الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٢ ، وفي الانجيل : « وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به يشبه رجلًا جاهلًا بنى بيته على الرمل » ، متى ٧ : ٢٦ ، لوقا ٦ : ٤٧ – ٤٩ .

٤٦) عن سفيان الثوري، الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٩ : ٣٣٢، ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٣ .

٤٧) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٥٧ شمالًا ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٥١ ، وفي الانجيل : « لا يمكنكم ان تعبدوا ربين الله تعالى والمال » ، متى ٦ : ٢٤ .

من المغرب ، وكلما اقبلتم من المغرب ازددتم من المشرق بعدًا . اوصاهم بهذا المثل ان يقربوا من الآخرة بالاعمال الصالحة[٤٨] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض اصحابه يوصيه : صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية ان يثقل عليه ، وعليك بكثرة ذكر الموت فان الموت يأتي الى المؤمن بخير لا شر بعده ، والى الشرير بشر لا خير بعده[٤٩] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام في بعض مواعظه لبني اسرائيل : يا ايها العلماء وايها الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا انتم تسيرون فيها فتدخلون الجنة ولا تتركون احدًا يجوزكم اليها ، وان الجاهل اعدل من العالم وليس لواحد منهما عذر[٥٠] .

قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله[٥١] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاث : شغل لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وامل لا يبلغ منتهاه[٥٢] .

قال الحواريون : يا عيسى من هم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى عليه السلام : الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، والذين نظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى

---

٤٨) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ٤٦٤ ؛ قابل بالانجيل ، « من يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها لحياة الابد » ، يوحنا ١٢ : ٢٥ ؛ والمزمور ١٠٣ : ١٢ : « بمقدار بعد المشرق عن المغرب أبعدَ عنا معاصينا » .

٤٩) ابن العربي ، الفتوحات المكيـة ، ٤ : ٥٦٥ ؛ وفي المزمور ٣٣ : ٢٢ : « موت الخطاة بالسيئات » .

٥٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ٥٦٧ .

٥١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ رسالة الى ملكشاه ، ٧٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١١ .

٥٢) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٢ .

عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالًا وذكرهم اياها فواتاً وفرحهم بما اصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نيلها رفضوه ، وما غارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، وخلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها ، وخربت بيوتهم فليسوا يعمرونها وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها بعد موتها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا الى اهلها صرعى قد حلت بهم المثلات وأحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله عز وجل ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به . لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب وبهم عُلم الكتاب وبه عملوا ، وليس يرون نائلًا مع ما نالوا ولا اماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون[٥٣] .

قال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيدًا . اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة .

وقال عليه افضل الصلاة والسلام : يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عُصي الله فيها ، وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تُدرك الا بتركها . ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعةٍ اورثت اهلها حزناً طويلًا .

وقال ايضاً : بطحتُ لكم الدنيا على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة .

وقال ايضاً : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى

---

٥٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١ : ١٠ ؛ قابل جزئيًا بابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ قابل بمواعظ المسيح المديدة في الانجيل عن متاركة العالم وبطلانه وعن قهر الذات .

يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه[٥٤] .

قال المسيح عليه السلام : يا طالب الدنيا ليبرّ بها ، تركك لها أبرّ .

وقال : أقلّ ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله ، وذكر الله اكبر وافضل[٥٥] .

قيل لعيسى عليه السلام : علّمنا علماً واحداً يحبنا الله عليه . قال : ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى .

قال عيسى عليه السلام : اوحى الله الى الدنيا : من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه[٥٦] .

قال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر ، والله تعالى يرزقها يوماً بيوم ، فان قلتم نحن أكبر بطوناً ، فانظروا الى الانعام كيف قيّض الله تعالى لها هذا الخلق الرزق[٥٧] .

---

٥٤) الغزالي ، احيـاء علوم الدين ، ٣: ١٣٩ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨: ٨٢ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٦ ؛ ويزيد ابو نعيم الاصبهاني بعد « لا تعمروها » نقلاً عن وهيب بن الورد : « وان هـذا الباطل خفيف وبيء ، وترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة » ؛ وفي الانجيل : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون ، لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون . . لا يقدر احد ان يعبد ربين لانه إما ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد ويرذل الاخر، لا تقدروا ان تعبدوا الله والمال » ، متى ٦: ١٩ ، ٢٠–٢٤ ، « هذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلاة » ، متى ١٧ : ٢٠ ، « انكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فاني قد غلبت العالم » ، يوحنـا ١٦ : ٣٣ ، « الكبرياء اول الخطاء » ، سفر يشوع بن سيراخ ١٠: ١٥ .

٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣: ١٤٢ ، ٢٢٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٩٠ ، ٣٢١ .

٥٦) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٣ ؛ قابل بانجيل لوقا ١٢: ٢٩ – ٣١ .

٥٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ١٩٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٤٧٧ ، ابو طالب المكي ، قوت القلوب ٣: ٦ .

قال عيسى عليه السلام : اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم . انظروا الى هذا الطير يغدو ويروح لا يحرث ولا يحصد الله تعالى يرزقها ، فان قلتم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا الى هذه الاباقر من الوحش والحُمُر تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها ، اتقوا فضول الله فان فضول الدنيا عند الله رجز[٥٨] .

كان عيسى عليه السلام يقول للدنيا : اليك يا خنزيرة[٥٩] .

قال الحواريون : ياروح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما امرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي انت . فقال : اخبروني كيف حبكم للدنيا . قالوا : انّا لنحبها. فقال: ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدَر .

وفي خبر آخر انه رفع حجراً فقال : ايهما احب اليكم هذا او الدينار والدرهم ؟ قالوا : الدينار ، قال : فانهما عندي سواء[٦٠] .

روي عن طريق عبد الواحد بن زيد قد قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا بني آدم لِدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم[٦١] .

قيل لعيسى عليه السلام : لِمَ لا تشتري حمارًا فتركبه ؟ فقال : انا اعزّ على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار[٦٢] .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : انا الذي كفأت الدنيا على

---

٥٨) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٤٧٧ ؛ وفي الانجيل : « انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر وابوكم السماوي يقوتها » ، متى ٦:٢٦ .

٥٩) ابو طالب المكي، قوت القلوب ٢:١٦١، يشبه هذا قول المسيح للشيطان الذي جرّبه في شخص بطرس : « اليك عني يا شيطان » ، مرقس ٨:٣٣ .

٦٠) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢:١٩٠ ؛ قابل بسفر الحكمة ، ٧:٩ .

٦١) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨:٨٥ ؛ ١٠:٢٢٣ ؛ وهذا بيت معروف لابي العتاهية : « لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب » .

٦٢) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٤:٢٣٦؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٩:٦١٤؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ٢:٢٥١ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل: « ان طعامي هو ان اعمل مشيئة من ارسلني » ، يوحنا ٤:٣١-٣٤ .

وجهها فليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب[٦٣] .

قال عليه السلام للحواريين : اتخذوا المساجد بيوتاً والبيوت منازل وكلوا بقل البرية واشربوا الماء القراح وانجوا من الدنيا سالمين[٦٤] .

ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر ، فقال لاصحابه : ايهما احلى في قلوبكم؟ قالوا : الذهب . قال : فانهما عندي سواء[٦٥] .

قال المسيح عليه السلام : معاشر الحواريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا . بحق أقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل[٦٦] .

روينا عن عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة خلقت يُعبر اليها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها[٦٧] .

روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ورآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجتِ ؟ قالت : لا احصيهم . قال : فكلهم مات عنك ام كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت . فقال عيسى عليه السلام : بؤساً لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر[٦٨] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه في غير حِله . فقيل : إن أُخذ من حله ؟ فقال : يضعه في غير حقه . فقيل : إن

---

٦٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٩٤ .

٦٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ .

٦٥) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ .

٦٦) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٤ : ١٣٢ ، ١٦٤؛ مكاشفة القلوب ، ٦٨ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٤٩ ، ٣٥١ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٦٣ .

٦٧) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٨ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين، ٣ : ١٦٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١٠ .

٦٨) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٣ : ١٤٨؛ رسالة الى ملكشاه، ٧٣ ؛ التبر المسبوك ، ٢٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ٨ : ١٠٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٠٩ .

وضعه في حقه ؟ فقال : يشغله اصلاحه عن الله تعالى[٦٩] .

قال عيسى عليه السلام : من عمل بغير مشورة باطلًا يتعنّى[٧٠] .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل : وما هو ؟ قال : المعروف[٧١] .

قد قال العدل عيسى عليه السلام : قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء[٧٢] .

ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر فقال لاصحابه : ايهما احلى في قلوبكم ؟ قالوا : الذهب . فقال : فانهما عندي سواء[٧٣] .

ورد في الانجيل : اذا تصدّقتَ فتصدقْ بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يري الخفيات يجزيك علانيــة واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك[٧٤] .

قال عيسى المسيح صلعم : اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم . واذا اعطى بيمينه فليُخفِ عن شماله. واذا صلى فليُرخِ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق[٧٥] .

---

٦٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٦٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٥٦ .

٧٠) عن يزيد بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥: ٢٣٧ .

٧١) الغزالي ، احياء علوم الدين ٣ : ١٦٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٧٦ ؛ قابل بكلام المسيح في انجيل متى ٦: ١٩ وما بعدها .

٧٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢ : ٨١٢ ؛ قابل بكلام المسيح في انجيل متى ٦ : ١٩ - ٢١ .

٧٣) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٢٨٩ .

٧٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ٢٤٢ ؛ ١: ١٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٦٣٤ ؛ ٤: ١١٢ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل تجد النص نفسه الا بعض الكلمات ، متى ٦: ٣-٤ ، ٦ ، ١٧-١٨ .

٧٥) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٣: ٢٠٣ ، ٢٠٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٢٦٣ ، ٢٦٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦: ٣-٤ .

قال مالك بن دينار : بلغني ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه : أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها لعل قلوبكم ان تعرف الله عز وجل[٧٦] .

قال عيسى عليه السلام : تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم . قالوا : يا روح الله فمن نجالس ؟ قال : جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله[٧٧] .

في اخبار عيسى عليه السلام : اذا رأيت الفتى مشغوفاً بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه[٧٨] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام في ما حدثنا ابن الحمل الكاتب النصراني لتلامذته : علامتكم التي تعرفون بها انكم مني أن يودّ بعضكم بعضاً .

وقال عيسى ايضاً ليشوع تلميذه : اما الرب فينبغي ان تحبه بكل قلبك ثم تحب قريبك كما تحب نفسك . قيل له : بيّن لنا يا روح الله ما بين هاتين المحبتين حتى نستعدّ لها بتبصرة وبيان — قال : ان الصديق تحبه لنفسك والنفس تحبها لربك ، فاذا صنت صديقك فلنفسك تصون ، واذا جدت بنفسك فلربك تجود[٧٩] .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون اذ رأيتم اخاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا : نستره ونغطيه . قال : بل تكشفون

---

٧٦) ابو نعيم الاصبهاني ، ٢ : ٣٧٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٨٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ١ : ١٤٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٦—٨ .

٧٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١١٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ١٧٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٥٨ ؛ قابل بالانجيل ، يوحنا ١٥ : ١٨ الخ . . .

٧٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٢١ ؛ الزبيدي ، ٩ : ٥٧٥ ؛ الذي يبدل « الفتى مشغولاً » « بالغني مستغرقاً » ويزيد : « والمحب لله يحب النصب لله تعالى » .

٧٩) ابو حيان التوحيدي ، رسالة في الصداقة والصديق ، ٦٤ ؛ قابل بما ورد في الانجيل في مواضع مختلفة ، يوحنا ١٣ : ٣٥ ؛ متى ٢٢ : ٣٥—٤٠ ؛ مرقس ١٢ : ٢٨—٣٤ .

عورته . قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟ فقال : احدكم يسمع بالكلمة في اخيه فيزيد عليها ويشيّعها باعظم منها[٨٠] .

قيل لعيسى عليه السلام : من أدّبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شيناً فاجتنبته[٨١] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره[٨٢] .

قال عيسى عليه السلام: اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة[٨٣] .

قيل لعيسى عليه السلام : دلّنا على عمل ندخل به الجنة . قال : لا تنطقوا ابدًا . قالوا : لا نستطيع ذلك ، فقال : فلا تنطقوا الا بخير[٨٤] .

قال عيسى عليه السلام:العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس[٨٥] .

قال عيسى عليه السلام : من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال

---

٨٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ٢١٤ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٢٧ ؛ قابل بما ورد في الكتاب المقدس ، سفر التكوين ٩ : ٢٠–٢٣ .

٨١) الغزالي ، احيـاء علوم الدين ، ٣ : ٤٨ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٥٠ .

٨٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٤٨ ؛ مكاشفـة القلوب ، ١٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٥١ .

٨٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ؛ ٣ : ٧٤ ؛ منهاج العابدين ، ٢٤ ؛ الزبيدي ، ٧ : ٤٣٣ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٢٨ .

٨٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٠ ؛ الزبيدي ، ٧ : ٤٥٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٢ : ٣٦–٣٧ ؛ ١٩ : ١٦ .

٨٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨١ ؛ الزبيدي ؛ اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٥٥ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٢ .

سقطت مروءته ، ومن كثر همّه سقم جسمه ، ومن ساء خلقه عذّب نفسه[٨٦].

قيل مكتوب في الانجيل : من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان[٨٧].

قال عيسى عليه السلام : من الذي يبني على موج البحر دارًا ؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا[٨٨] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارًا[٨٩] .

قال المسيح علية السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيـــا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعـــالى يوم القيامة[٩٠] .

قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب[٩١] .

قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري ، البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية[٩٢] .

---

٨٦) الغزالي ، احيام علوم الدين ، ٣ : ٨٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٧١ .

٨٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٤٥ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ، ٦ : ٢٨ .

٨٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ مكاشفـــة القلوب ، ٦٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٨ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ٢٦ ؛ لوقا ٦ : ٤٧–٤٩ : « وكل من يسمع كلامي ولا يعمل به يشبه رجلًا جاهلًا بنى بيته على الرمل . . . »

٨٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٠٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٤٢ .

٩٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٧ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٣٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٥٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٨ : ٤ ؛ ١٩ : ٢٨ ؛ ٢٣ : ١٢ ؛ ٥ : ٨ ؛ لوقا ١٤ : ١٠ .

٩١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨١ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ٧ : ٢٥ .

٩٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ١٥ .

قال عيسى عليه السلام : انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون[٩٣] .

رأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل ان السنّ بالسنّ والانف بالانف ، وانا أقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحوّلْ اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فأعطهِ ازارك ومن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين[٩٤] .

روي عن المسيح عليه الصلاة والسلام انه قال : يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر[٩٥] .

قال عيسى عليه السلام : لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه . والصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب ، لان في امراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان ، وفي امراض القلوب ضعفها عن اعمال الآخرة والايقان[٩٦] .

سئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال : الرضا عن الله تعالى والحب له[٩٧] .

---

٩٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٤٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٦ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢:٨٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٣٢ حيث تجد : « لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون » .

٩٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٥٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ،٩:٢٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥:٣٨-٤١ .

٩٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:١٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٣١ .

٩٦) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣:٣٥ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٢٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٥٢٧ .

٩٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٢٥٨ ؛ الزبيدي ، ٩ : ٦٨٢ ؛ قابل برسالة القديس بولس الاولى الى القرنثيين ، ١٣:١٣ .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم[٩٨] .

قال الحواريون لعيسى عليه السلام : يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل ؟ فقال : الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد . قالوا : فمن الناصح لله عز وجل ؟ قال : الذي يبدأ بحق الله تعالى قبل حق الناس ، واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بامر الله تعالى قبل امر الدنيا[٩٩] .

قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق فان يكن غد من آجالكم فستأتي فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم[١٠٠] .

قال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في اعمال الناس كأنكم ارباب وانظروا في اعمالكم كأنكم عبيد ، فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية[١٠١] .

قال عليه السلام للحواريين : عجباً لكم تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بعمل[١٠٢] .

---

٩٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٢٢–٢٣ .

٩٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ٣٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٧٣ ؛ منهاج العابدين ، ٦١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٥٦ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٥–٦ ، ١٦–١٨ ، ٢٢–٢٣ ؛ لوقا ١١ : ٣٤–٤٦ .

١٠٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٣٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٥١ ؛ قابل بالانجيل : « لا تهتموا بشأن الغد : فالغد يهتم بشأنه . يكفي كل يوم شره . » متى ٦ : ٢٤ .

١٠١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ ؛ قابل بالانجيل : « لا تدينوا لئلا تدانوا . . . ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » ، متى ٧ : ١ ، ٣ ؛ ١٢ : ٧ ؛ لوقا ٦ : ٣٧ .

١٠٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ، ٣١٥ ؛ وفي الانجيل ، شيء يشبه هذا ، متى ١١ : ١٢ ؛ لوقا ١٦ : ٨ .

ومما انزل الله على المسيح في الانجيل شوّقناكم فلم تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا ! يا صاحب الخمسين ما قدّمتَ وما أخّرتَ ، يا صاحب الستين قد دنا حصادك ، ويا صاحب السبعين هلم الى الحساب[١٠٣] !

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه : يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في اربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه . فاما المنزلة الاولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، فوفّاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن . فاذا اخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره عليه اكراهاً ويوجر ايجارًا حتى ينبت عليه لحمه ودمه . فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من ابويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤديه وهذا يكسوه . فاذا وقع في المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلًا خشي ان لا يرزق فيثب على الناس فيخون اماناتهم ويسرق امتعتهم ويغصبهم اموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه[١٠٤] .

قد روينا عن المسيح صلعم انه قال : من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه[١٠٥] .

كان عيسى عليه السلام يقول : حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب ، يعني اعجابه وكبره ، وملء البطن جمام النفس ، يعني قوتها واجتماعها[١٠٦] .

قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا ملح الارض لا تفسدوا ، فان الاشياء اذا فسدت انما تداوى بالملح وان الملح اذا فسد لم يُداوَ بشيء .

---

١٠٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٨ ؛ قابل بالانجيل : « زمرنا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا » متى ١١ : ١٧ ؛ لوقا ٧ : ٣٢ .

١٠٤) الجاحظ ، كتاب المحاسن والاضداد ، ١٦٧ .

١٠٥) ابن القوطيه ، تاريخ الاندلس ، ٤٠ ؛ ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٣٩ ، عدد ١٠٧ .

١٠٦) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٩ ؛ قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨١ .

يا معشر الحواريين لا تأخذوا ممن تعلّمون اجرًا الا كما اعطيتموني، واعلموا ان فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عجب والتصبح من غير سهر[١٠٧] .

ويقال مكتوب في الانجيل : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ، وارضَ بنصرتي لك فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك[١٠٨] .

قال (عيسى لبني اسرائيل) : لا تكافوا ظالماً بظلم فيبطل فضلكم عند ربكم[١٠٩] .

ذُكر عن عيسى بن مريم عليه السلام بهذا اللفظ : أربع لا تصير الا في مؤمن: الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وذكر الله تعالى ، وقلة الشر[١١٠] .

وفي الانجيل مكتوب : من يزرع السوء يحصد الندامة[١١١] .

وعن قتادة انه قال : ذكر لنا ان في الانجيل مكتوباً : يا ابن آدم كما ترحم فكذلك تُرحم وكيف ترجو ان يرحمك الله وانت لا ترحم عباده[١١٢] .

قال مالك بن انس رضي الله تعالى عنه : بلغني أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون[١١٣] .

حدثنا محمد بن الفضل عن سالم بن ابي الجعد رضي الله عنه قال : قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه : لا تخبئوا طعاماً لغد فان غدًا يأتي ومعه رزقه وانظروا الى الذر ومن يرزقه ، فان قلتم بطون الذر صغار فانظروا

---

١٠٧) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٠ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٧٣ ؛ قابل بالانجيل، متى ٥ : ١٣ ؛ ٦ : ١-٢ ؛ ١٠ : ٨ ؛ مرقس ٩ : ٤٩ ؛ لوقا ١٤ : ٣٤-٣٥ .

١٠٨) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٣ .

١٠٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٥ ؛ قابل بالانجيل : « أما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشرير » ، متى ٥ : ٣٩ .

١١٠) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٧ ؛ قابل بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٤ .

١١١) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٥ ؛ قابل بمواضع عديدة من الكتاب المقدس ، سفر ايوب ٤ : ٨ ؛ سفر الامثال ٦ : ١٤ ؛ ١١ : ١٨ ؛ سفر يشوع بن سيراخ ٧ : ٣ .

١١٢) السمرقندي، تنبيه الغافلين ، ١٣٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ١٨ : ٣٥ ؛ مرقس ١١ : ٢٥ .

١١٣) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ،١٣٩؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء، ٦ : ٥٨ .

الى الطائر ، فان قلتم للطائر اجنحة فانظروا الى الوحوش مـا ابدنها واسمنها[١١٤] .

سأل رجل عيسى عليه السلام : اي الناس افضل ؟ فأخذ قبضتين من تراب وقال : أي هاتين افضل ؟ الناس خلقوا من تراب فاكرمهم اتقاهم[١١٥] .

روي عن ابراهيم بن ادهم ان عيسى عليه السلام قال : كرامة المؤمن على الله ان يقول للجبل تحرَّكْ فتحرك[١١٦] .

روي عن معروف الكرخي ان عيسى عليه السلام قال : اذكر القطن اذا وضع على عينيك[١١٧] .

كان سفيان الثوري يقول : قال رجل لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : أوصني . قال : انظر خبزك من أين هو[١١٨] .

ورد عن عيسى صلوات الله عليه : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين[١١٩] .

قول عيسى بن مريم : يا بني اسرائيل بحق اقول لكم لا يلج ملكوت السموات والارض من لم يلد مرتين . انا والله ممن وُلد مرتين ، الايلاد الاول ايلاد الطبيعة والايلاد الثاني ايلاد الروح في سماء المعارف[١٢٠] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لذرية المؤمن طوبى لهم كيف يُحفظون من بعده[١٢١] .

---

١١٤) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٦٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ٦ .

١١٥) عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٥١ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٨ : ١–٥ ؛ مرقس ٩ : ٣٢–٤٠ ؛ لوقا ٩ : ٤٦–٥٠ .

١١٦) تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ : ٤٢٨ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٧ : ١٩ .

١١٧) تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ : ٥٧٦ .

١١٨) عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ١ : ٤١ .

١١٩) السهروردي ، عوارف المعارف ، ١ : ١٨٥ ؛ قابـل بالانجيل قول المسيح لنيقوديموس : « الحق الحق اقول لك ان لم يولد احد ثانية فلا يقدر ان يعاين ملكوت الله » ، يوحنا ٣ : ٣ .

١٢٠) عبد الوهاب الشعراني ، لواقح الانوار القدسية ، ٢ : ٢٦ ؛ قابـل بالانجيل ، يوحنا ٣ : ٣ .

١٢١) عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، ٢ : ١٩٥ ؛ وعن مجاهد عند ابي نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣ : ٢٨٥ : « طوبى للمؤمن ثم طوبى له كيف يخلفه الله تعالى فيمن ترك بخير » .

قال للحواريين حين اوصاهم وصية وفرغ منها : فاذا فعلتم ما امرتكم به كنتم غداً معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وانتم هناك ملتذون بجميع اللذات من غير اكل ولا شرب[١٢٢] .

قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ، كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسده العجب[١٢٣] .

قال المسيح عليه السلام : ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه . عادة النوكي المجيء في غير وقت والجلوس فوق القدر . اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة[١٢٤] .

قال عيسى عليه السلام : احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشراً[١٢٥] .

روي عن عيسى عليه السلام انه قال : ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب المشاء من غير ارب ، وذكر فرق بين المداعبة والمزاح[١٢٦] .

من كتاب التراجم عن عيسى عليه السلام قال : عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم[١٢٧] .

قال عيسى : ان استطعتم ان تكونوا بلهاء في الله مثل الحمام فافعلوا . قال وكان يقال ليس شيء ابله من الحمام انك تأخذ فرخيه من تحته فتذبحها ثم يعود الى مكانه فيفرخ فيه[١٢٨] .

قال عيسى : كلموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلاً. قالوا: كيف نكلم

---

١٢٢) اخوان الصفا ، رسائل ، ٤:٩٥ ؛ قابل بالانجيل : متى ١٠:١-١١ ، ١٧-٢٠ ؛ ٢٣:٢٥-٢٨ ؛ مرقس ٧ : ١-٢٣ ؛ لوقا ١١:٣٩ ؛ ٢ قورنثيين ، ٧:١ .

١٢٣) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٦٣ .

١٢٤) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٠٤ ؛ قابل بالانجيل « طوبى للمتواضعين . . . » ، متى ٥ : ٤ . . .

١٢٥) ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٤٦٤ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ٦:٢٨ ، ٤٥ ؛ متى ١٢ : ٢٤-٣٥ .

١٢٦) السهروردي ، عوارف المعارف ، ٣:٤٨ .

١٢٧) ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ٢:٣ .

١٢٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، عن يزيد بن ميسره ، ٥ : ٢٣٩ ؛ قابل بالانجيل : « كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » ، متى ١٠:١٦ .

الله كثيرًا ؟ قال : اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه[١٢٩] .

وهذا معنى قول المسيح بن مريم، وكان في يده اليمنى ماء وفي يده اليسرى خبز : هذا ابي وهذا امي ، فجعل الماء اباً وجعل الطعام اماً ، لان الماء من الارض يقوم مقام النطفة من المرأة هذه تنبت هذا وهذه تحبل عن هذا[١٣٠] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : استحيوا من الله عز وجل في سريرتكم كما تستحيون منه في علانيتكم[١٣١] .

في الانجيل : انا رأس الحياة وطرق الحق من عرفني ثم مات فما مات موتاً انما حيي حياة[١٣٢] .

قيل لعيسى عليه السلام : لو اتخذت بيتاً يكنك . قال : يكفينا خلقان من كان قبلنا[١٣٣] .

قال عيسى عليه السلام لرجل من اصحابه وكان غنياً : تصدق بمالك ، فكره ذلك ، فقال عيسى عليه السلام : ما يدخل الغني الجنة[١٣٤] .

وقال ... : ويلكم غرماء السوء تبدأون بالهدية قبل قضاء الدين .

---

١٢٩) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، عن رباح عن عمرو القيسي ، ٦ : ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل : « اما انت اذا صليت فادخل مخدعك واغلق بابك وصلِّ الى ابيك في الخفية وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك » ، متى ٦ : ٦ .

١٣٠) ابن سيده المرسي ، كتاب المخصص ، ١٣ : ١٧٢ ، ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٦٨ ، عدد ١٥٩ .

١٣١) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٣٧ يمينا ؛ ذكره اسين بلاثيوس في المرجع نفسه ، عدد ١٦١ ؛ قابل بانجيل متى ٦ : ٦ .

١٣٢) ابن جهضم الهمداني ، كتاب بهجة الاسرار ، مخطوطة دمشق ، عدد ٥٤ ، دون تصحيح ؛ وهو مأخوذ عن كلام المسيح في الانجيل : « انا الطريق والحق والحياة » ، يوحنا ١٤ : ٦ ؛ « من يؤمن بي وان مات فسيحيا » ، يوحنا ١١ : ٢٥-٢٦ .

١٣٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٦ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٨ : ٢٠ .

١٣٤) عن خيثمه بن عبد الرحمن ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ١١٩ ؛ وهي قصة الشاب الغني الذي قال له المسيح : « اذهب فبع كل مالك واعطه للمساكين ... فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لانه كان ذا مال كثير . » ، راجع الانجيل ، متى ١٩ : ١٦-٢٢ ؛ مرقس ١٠ : ١٧-٢٢ ؛ لوقا ١٨ : ١٨-٢٣ .

بالنوافل تتطوعون وما أمرتم لا تؤدّون ، ان رب الدين لا يقبل الهدية حتى يقضى دينه[١٣٥] .

قال ابو سعيد الزاهد : عيرت اليهود عيسى مريم صلعم بالفقر ، فقال : من الغنى اتيتم[١٣٦] .

كان المسيح عليه السلام يقول : ان احببتم ان تكونوا اصفياء الله ونور بني آدم فاعفوا عن من ظلمكم وعودوا من لا يعودكم واقرضوا من لا يجزيكم وأحسنوا الى من لا يحسن اليكم[١٣٧] .

مكتوب في الانجيل : الحجر في البنيان من غير حلّ عربون خرابه[١٣٨] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ان اعظم الذنوب ان يقول الرجل : الله يعلم اني صادق والله يعلم انه كاذب[١٣٩] .

قال عيسى عليه السلام : كونوا اوعية الكتاب وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم[١٤٠] .

يا معشر بني اسرائيل ان موسى عليه السلام نهاكم عن الزنا ونعم ما نهاكم عنه ، فاني انهاكم ان تحدثوا به انفسكم ، فان مثل من حدث به نفسه ولم يعمل به مثل بيت من خزف يوقد فيه فان لم يحترق اسودّ من دخانه . ويا معشر بني اسرائيل ان موسى عليه السلام نهاكم ان تحلفوا بالله كاذبين ونعم ما نهاكم عنه ، واني انهاكم ان تحلفوا بالله كاذبين او صادقين[١٤١] .

١٣٥) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٤١ .

١٣٦) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٥٥ .

١٣٧) عن يزيد بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٣٨–٢٣٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٤٢–٤٦ ، لوقا ٦ : ٢٧–٢٩ .

١٣٨) عن ثور بن زيد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٩٥ ؛ اما كلام الانجيل فهو : « الحجر الذي رذله البنّاؤون صار رأساً للزاوية » ، متى ٢١ : ٤٢ ؛ اعمال الرسل ٢ : ٣٣ ؛ مزمور ١١٨ : ٢٢–٢٣ .

١٣٩) عن سعيد بن عبد العزيز ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ١٢٥ .

١٤٠) عن سفيان الثوري ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٤ ؛ وفي الانجيل : « يكفي كل يوم شره » ، متى ٦ : ٣٣ .

١٤١) عن وهيب بن الورد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٥ — ١٤٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل ، متى ٥ : ٢٧–٣٦ .

قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فدعوا لهم الدنيا[١٤٢] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام: لن تنالوا ما عند الله حتى تلبسوا الصوف على لذة ، وتأكلوا الشعير على لذة ، وتفترشوا الارض على لذة[١٤٣] .

قال عيسى عليه السلام : ان الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه عند الهوى واستكماله عند الشهوات[١٤٤] .

ان عيسى عليه السلام قال للحواريين : بحق اقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة . قالوا : يا رسول الله فسّر لنا هذا الامر ، فانا قد كنا نرى انا نريد احداهما . قال : لو اردتم الدنيا أطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فاعطاكم ، ولو اردتم الآخرة اطعتم رب الآخرة الذي يملكها فاعطاكموها ، ولكن لا هذه تريدون ولا تلك[١٤٥] .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : بحق اقول لكم ان اشدكم جزعاً على المصيبة اشدكم حباً للدنيا[١٤٦] .

قال رجل لعيسى عليه السلام : احملني معك في سياحتك . فقال : أخرج مالك والحقني . فقال : لا استطيع . فقال عيسى عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ، اوقال : بشدة[١٤٧] .

---

١٤٢) عن خلف بن حوشب ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٩٢ .

١٤٣) عن ضرار بن مرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٩٢ .

١٤٤) عن يونس بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٥٢ .

١٤٥) عن حيلان بن فروه ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ .

١٤٦) عن وهب بن منبه ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٦٧ .

١٤٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٧ ، ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨١؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٧٧ ؛ قابل في الانجيل قصة الشاب الغني الذي جاء يسأل يسوع عن الصلاح لدخول الحياة الابدية: « قال له يسوع ، ان كنت تريد ان تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لانه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه : الحق اقول لكم: انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السماوات» متى ١٩ : ١٦-٢٤ ؛ مرقس ١٠ : ٢٣ ؛ لوقا ١٨ : ٢٤ ؛ وتجد شبهاً يكاد يكون حرفياً بين الآية الاخيرة من الانجيل وبين واحدة في القرآن : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، سورة الاعراف ، ٧ : ٤٠ .

قال المسيح صلوات الله عليه وسلامه : اني لاحب المسكنة وابغض المال للغنى ، وان في المال داء كثيرًا قيل: يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال؟ قال : يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى[١٤٨] .

كان احب الاسماء الى عيسى عليه السلام أن يدعى به أن يقال له : يا مسكين . وكان يقول : من شر الغنى ان العبد يعصى ليستغني ولا يعصى ليفتقر . اني لاحب المسكنة وابغض المال للغنى ، وانّ في المال داء كثيرًا . قيل : يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال ؟ قال : يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى[١٤٩] .

يروى عن نبيّنا وعن المسيح عليهما السلام : أربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشيء[١٥٠] .

كان المسيح صلعم يقول : يا بني اسرائيل : عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير ، واياكم وخبز البرّ فانكم لن تقوموا بشكره[١٥١] .

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا[١٥٢] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام:ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها . وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله ، وويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدًا بذنبه[١٥٣] .

---

١٤٨) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٨٩ .

١٤٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٨٩ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٧٧ .

١٥٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٤ ؛ ابو طالب المكي ، ٢ : ١٩٤ .

١٥١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٥١ .

١٥٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٦٠ ؛ وفي الانجيل : « من وجد نفسه يهلكها ومن اهلك نفسه يجدها » ، متى ١٠ : ٣٩ ؛ « ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ، متى ١٦ : ٢٦ .

١٥٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ،

قال عيسى عليه السلام : ما عجزت عن احياء الموتى ولكن عجزت عن معالجة الاحمق[١٥٤] .

قال عيسى عليه السلام : ان من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد أن الله يعلم لما لا يعلم[١٥٥] .

قال عيسى بن مريم: انما زلة الاقدام ثلاثة اشياء ، قلة الشكر على مواهب الله تعالى ، وخوف غير الله ، وامل المخلوقين[١٥٦] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : الدنيا ثلاثة ايام : امس مضى ما بيدك منه شيء ، وغد لا تدري أتدركه ام لا ، ويوم انت فيه فاغتنمه[١٥٧] .

قال عيسى عليه السلام : الامور ثلاثة : امر استبان رشده فاتّبعه ، وامر استبان غيّه فاجتنبه ، وامر أشكل عليك فكِلْه الى عالمه[١٥٨] .

قال الحواريون لعيسى بن مريم : يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك؟ فقال : نعم من كان منطقه ذكرًا وصمته فكرًا ونظره عبرة فانه مثلي[١٥٩] .

روي عن عيسى عليه السلام انه قال : البر في ثلاثة ، في النطق والنظر والصمت ، فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها[١٦٠] .

٨٧:٨ ؛ وفي الانجيل : « الويل لكم ايها الاغنياء فانكم قد نلتم عزاءكم. الويل لكم ايها المشبعون فانكم ستجوعون ، الويل لكم ايها الضاحكون الآن فانكم ستنوحون وتبكون . » لوقا ٦ : ٢٤–٢٥ .

١٥٤) الغزالي ، ايها الولد ، ٣٥ ؛ قابل ببعض فقرات في الكتاب المقدس ، سفر الامثال ٢٣ : ٩ ؛ ٢٦ : ٤ ؛ سفر يشوع بن سيراخ ، ٨ : ٨ ؛ ٢٢ : ٧ .

١٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٩٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٣١ .

١٥٦) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٦٧ شمالًا ذكرها اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٦٨ ، عدد ١٦٣ .

١٥٧) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٢٨ .

١٥٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٨٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٠ .

١٥٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٣ .

١٦٠) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٨ ؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ١ : ٢٩٧ .

وكان عيسى عليه السلام اذا ذُكر الموت عنده يقطر جلده دما[١٦١] .

روى ابن عساكر عن الشعبي قال : كان عيسى اذا ذكر عنده الساعة صاح ، ويقول : لا ينبغي لابن مريم ان يُذكر عنده الساعة فيسكت[١٦٢] .

قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن عليَّ هذه السكرة ، يعني الموت ، فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت[١٦٣] .

قال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح[١٦٤] .

روي عن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انه قال : ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا[١٦٥] .

اني رأيت في الجيل عيسى عليه السلام : من ساعة ان يوضع الميت على الجنازة الى ان يوضع على شفير القبر يسأل الله تعالى بعظمته منه اربعين سؤالا . الاول يقول الله تعالى : يا عبدي طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظري ساعة ، وكل يوم انظر في قلبك يا عبدي ما تصنع بغيري وانت محفوف بخيري

---

١٦١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٢٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣١ ؛ لا شك في ان اصل هذا الحديث هو في ما يروي الانجيل عن نزاع المسيح في بستان الزيتون ، ليلة صلبه ، حيث تحدّر دمه من عروقه ، لوقا ٢٢ : ٤٤ .

١٦٢) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣١ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٣١٣ .

١٦٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٣٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٥٩ ؛ قابل بالانجيل كلام المسيح وقت نزاعه : « ان نفسي حزينة حتى الموت اسهروا معي » ، متى ٢٦ : ٣٧ — ٤٣ .

١٦٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٨٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٥٢٠ .

١٦٥) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٢٣٠ ؛ قابل بالانجيل : « ما أضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه » ، متى ٧ : ١٤ .

اما انت الاصم فلا تسمع[١٦٦] .

قال الحواريون للمسيح عليه السلام : انظر الى هذا المسجد ما احسنه ، فقال : امتي ، امتي ، بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائماً على حجر الا أهلكه بذنوب اهله ، ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً ، وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك[١٦٧] .

قال عيسى عليه السلام : ان لي حبيبين اثنين ، فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني : الفقر والجهاد[١٦٨] .

ومن طريق سالم بن أبي الجعد قال : قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن يبكي من خطيئته وخزن لسانه ووسعه بيته[١٦٩] .

قال عيسى عليه السلام : ذكر خلود الخالدين يقطع قلوب الخايفين[١٧٠] .

كان عيسى بن مريم عليه السلام اذا سمع موعظة صاح صياح الثكلى[١٧١] .

---

١٦٦) الغزالي ، ايها الولد ، ١٠ قابل بالانجيل : « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه اما قلبه فبعيد عني » متى ، ١٥ : ٨ .

١٦٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٨٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٤٨٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل : « ثم خرج يسوع من الهيكل ومضى ، فتقدم تلاميذه ليروه بناء الهيكل فاجاب وقال لهم : انظروا هذا كله . الحق اقول لكم انه لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض » ، متى ٢٤ : ١ - ٢ ؛ مرقس ١٣ : ١ - ٢ ؛ لوقا ٢١ : ٥ - ٦ .

١٦٨) الغزالي ، مختصر احياء علوم الدين ، ٢٤٦ ؛ وفي الانجيل قول المسيح : « لا يستطيع احد ان يعبد ربين ، فاما ان يبغض الواحد ويحبّ الآخر ، واما ان يلازم الواحد ويرذل الاخر » ، متى ٦ : ٢٤ ؛ لوقا ١٦ : ١٣ .

١٦٩) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٥٦ ؛ قابل بالكتاب المقدس ، سفر يشوع بن سيراخ ٢٠ : ١١ .

١٧٠) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٩٥ ؛ قابل بالكتاب المقدس ، سفر يشوع بن سيراخ ٧ : ٤٠ ؛ ٢٨ : ٦ ؛ يوئيل ٢ : ١٣ .

١٧١) عن زبيد الايامي ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٣٣ .

وفي الانجيل عن عيسى عليه السلام : اني اطلب الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد . وفيه ايضاً على لسانه : فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي ، اي بالنبوة ، يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته . واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به .

وفيه ايضاً : اقول لكم الآن حقاً ، انطلاقي عنكم خير لكم ، فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط ، وان انطلقت ارسلت به اليكم ، فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفكم على الخطيئة والبر ، بروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه[١٧٢] .

---

١٧٢) دحلان ، السيرة النبوية ، على هامش الحلبي ، انسان العيون ، ٣ : ٣٣٩ ؛ وهذا النص يكاد ، لولا بعض التشويش ، يكون نقلاً حرفياً عن الانجيل ، يوحنا ١٤ : ١٦-١٧ ؛ ١٥ : ٢٦ ؛ ١٦ : ٧-١٥ ؛ لاحظ كيف ان النص الاسلامي يبدل كلمة « ابي » على لسان المسيح في الانجيل بكلمة « ربي » ، وهكذا ايضاً كلمة « ابيكم » بكلمة « ربكم » . في الاعتقاد المسيحي ان الفارقليط هو الروح القدس ، الاقنوم الالهي الذي حلّ على الحواريين في علية صهيون ، بعد صعود المسيح الى السماء ، وهو ثابت الى الابد مع خلفاء الحواريين ، الاحبار ، ليعصم الكنيسة جمعاء من الضلال - والفارقليط كلمة يونانية لها معان مختلفة مثل المرشد ، المؤيّد ، المعزّي ، المحامي ، وكلها صفات الروح القدس الذي وعد به المسيح قبيل صعوده وتمّ الوعد بحلوله . ولقد حاول البعض ابدال كلمة فارقليط παράκλητος بكلمة περίκλυτος وترجمة هذه الاخيرة بمعنى « احمد » لكي تناسب آية القرآن ، سورة الصف ، ٦١ : ٦ : « واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد . » ومن المؤسف حقاً ان يتقبّل بعض المسلمين هذه الخدعة التي لا تصحّ إلّا على من يجهل اللغة اليونانية . ويكفيهم ان يرجعوا الى مخطوطات الانجيل القديمة ، ومنها محفوظ يرقى الى ما قبل الاسلام باجيال ، ليتثبتوا من هذه الخدعة التي ارتكبت على حساب الانجيل والمسيحية والتي تسيء الى القرآن والاسلام اكثر مما تفيدها .

الفصل السابع

إمام السائحين

قال كثير من المفسرين ان اسم المسيح مشتق من فعل «ساح» او «مسح» (الارض او المرضى) وذلك لان المسيح كان في زعمهم سياحاً يجوب الاماكن القفراء . وقد يرافقه في جولانه ابن خالته يحي فيتغايران في الزهد ونكران الذات ونجوى الله . وقد يلحق به الحواريون، اصحابه وتلاميذه، يسألونه ويسمعون له ويتعلمون منه امثولات الجهاد الاكبر. وقد يأتيه ابليس مجرّباً فيردعه عيسى كل حين ويتابع السبيل الذي اختطه، سبيل الفقر والحرمان. وقد بلغ به التجرد الى ان رمى بحجر كان توسده لئلا يلام على شيء من التنعم بخيور الحياة الدنيا . وكان خبز الشعير مأكله والشعر الخشن لباسه ؛ صلاؤه مشارق الشمس والقمر سراجه ، ورجلاه دابته ؛ يصفّ رجليه حيثما ادركه الليل فينام وليس عنده شيء ويصبح وليس عنده شيء ، ويقول ان ليس على الارض اغنى منه .

وفي كل الحالات لا يتناسى عيسى تلك القدرة التي اعطاه اياها الله ؛ الا وهي صنع المعجزات وخاصة احياء الموتى . فاذا به يدور من قبر الى قبر منادياً صاحبه ، فينهض هذا مخبراً عن هول ساعة الحساب وعن عذاب النار . ثم يرجعه عيسى الى ما كان عليه . وان اظرف حكاية له هي احياؤه سام بن نوح وافكهها قصة اسحق الاسرائيلي .

تلتقي هذه النصوص ببعض ما جاء في الاناجيل الموحاة وخاصة في الاناجيل المنحولة . ولكن كثيراً ما تنسب الى المسيح احداثاً وردت في حياة النساك من الاجيال الاولى للمسيحية .

ان المسيح لما كملت له ثلاثون سنة دخل الى الهيكل يوم السبت وقام ليقرأ كعادته وأعطي سفر اشعيا النبي ففتح السفر فوجد فيه مكتوباً : روح الرب علي من اجل ذلك اصطفاني ومسحني لابشر المساكين وأرسلني لاشفي المنكسرة قلوبهم ولابشر المسبّيين بالخلاص والعميان بالبصر وأن اجبر المنكسر وابشر المسبي بالعفو والمغفرة وأن ابشر بالسنّة المتقبلة للرب[1] . وطوى السفر ودفعه الى الخادم وتنحى فجلس فعجب الناس لفعله وقالوا : أليس هذا ابن يوسف[2] .

قال كعب الاحبار : كان عيسى بن مريم رجلاً احمر مائلاً الى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط . وكان عيسى يمشي حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حلية ولا متاعاً ولا ثياباً ولا رزقاً الّا قوت يومه. وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح ، وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله ، وكان يخبر قومه بما يأكلون وما يدخرون لغد ، وكان يمشي على وجه الماء في البحر ، وكان أشعث الرأس ، صغير الوجه ، زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، حريصاً على عبادة الله ، وكان سياحاً في الارض حتى طلبته اليهود وارادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله اعلم[3] .

ان كنت تريد صوم ابن العذراء البتول يعني عيسى بن مريم عليها السلام فانه كان يصوم الدهر كله ويأكل الشعير ويلبس الشعر الخشن . وكان حيثما أدركه الليل صفّ قدميه يصلي حتى يرى علامة الفجر قد طلعت . وكان لا يقوم مقاماً الا صلى ركعتين فيه .

وان كنت تريد صوم امه فانها كانت تصوم يومين وتفطر يومين[4] .

روي ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمِتهم

---

١) نبوءة اشعيا ، ٦١ : ١–٢ ؛ ٦٢ : ٧ .

٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ١ : ٨٢ ؛ لقد اورد اليعقوبي هذا النص الحرفي عن انجيل لوقا ، ولكنه اوجزه ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ٤ : ١٦–٢٢ ؛ متى ١٣ : ٥٥ .

٣) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ .

٤) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٢٥ .

فقراء وحقّرهم في اعين الناس . فاستُجيب دعاؤها[٥] .

كان عيسى صلوات الله عليه وسلامه لا يصحبه الا مشط وكوز ، فرأى انساناً يمشط لحيته باصابعه فرمى بالمشط ، ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز[٦] .

قال عبيد بن عمير : كان المسيح بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يذخر لغد ، أينما ادركه المساء نام[٧] .

كان عيسى عليه السلام يأكل الشعير ويمشي على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطبح بالسراج ولا يلبس القطن ولم يمسّ النساء ولم يمسّ الطيب ولم يمزج شرابه بشيء قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الارض وجلده شيئاً قط الا لباسه ولم يهتم لغداء قط ولا اشتهى شيئاً من شهوات الدنيا[٨] .

عيسى وابليس

(عن عروة بن رويم) ان عيسى عليه السلام دعا ربه فقال : يا رب أرني موضع الشيطان من ابن آدم ، فجلي له ذلك ، فاذا له رأس كرأس الحيه واضع رأسه على ثمرة القلب ، فان ذُكر الله خنّس ، وان تُرك الذكر منّاه وحدّثه[٩] .

---

٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ٥٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ٥٠٩ ؛ ابو طالب المكي ، ٤ : ٢٠١ ؛ وفي الانجيل ان مريم ويوسف اضاعا يسوع وهو ابن اثنتي عشرة سنة « وكانا يطلبانه عند الاقارب والمعارف . . . وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل بين العلماء يسمعهم ويسألهم » ، لوقا ٢ : ٤٤–٤٧ .

٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٦٣ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٥٠ ؛ قابل بانجيل مرقس ٦ : ٨ .

٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٢٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٤ ؛ ٨ : ٢٠ .

٨) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٥ .

٩) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ١٢٣ ؛ قابل بنص الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الفصل الثالث ، حيث اتخذ الشيطان شكل الحية واغوى حواء باكل الثمرة المحرمة .

قال عيسى عليه السلام لما قال له ابليس حين تصور له على انه لا يعرفه فقال له: يا روح الله قل لا اله الا الله، رجاء منه ان يقول ذلك لقوله فيكون قد أطاعه بوجه ما، وذلك هو الايمان . فقال له عيسى عليه السلام : اقولها لا لقولك لا اله الا الله . فجمع بين القول ومخالفة الشيطان لا امتثالًا لامر الشيطان[١٠] .

روي عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرًا فكأنه لما ارتفع رأسه عن الارض استراح بذلك، فعارضه ابليس فقال : يا ابن مريم ألست تزعم انك قد زهدت في الدنيا ؟ قال : نعم . قال : فهذا الذي وطأته تحت رأسك من اي شيء هو ؟ قال : فرمى عيسى عليه السلام بالحجر وقال : هذا لك مع ما تركت[١١] .

(عن وهب) ان ابليس قال لعيسى علية السلام حين رآه على جبل القدس : زعمت انك تحيي الموتى . قال : كنت كذلك قال : فادعُ الله ان يجعل هذا الجبل خبزًا . فقال له عيسى عليه السلام : أوَ كل الناس يعيشون من الخبز ؟ فقال له ابليس : فان كنت كما تقول، فثب من هذا المكان فان الملائكة ستلقاك . قال : ان ربي أمرني أن لا اجرّب نفسي فلا أدري هل يسلمني ام لا[١٢] .

---

١٠) ابن العربي، الفتوحات المكية، ٣ : ٤١ ؛ قابل جزئياً بالغزالي، احياء علوم الدين، ٣ : ٢٣ ؛ مكاشفة القلوب، ١٩٣ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٧ : ٢٧١ ؛ قابل بالانجيل : « فدنا اليه (يسوع) المجرب (الشيطان) . . . وقال له : اعطيك هذه الممالك كلها ان خررت ساجدًا لي، حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان فانه قد كتب : للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد »، متى ٤ : ٣، ٩، ١٠، لوقا ٤ : ٦—٨ .

١١) ابو طالب المكي، قوت القلوب، ٢ : ١٩٢ ؛ الغزالي، احياء علوم الدين، ٤ : ٩، ١٦٣ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨ : ٥١٩ ؛ ٩ : ٣٤٧ ؛ قابل بنص الانجيل : « فدنا اليه المجرب قائلًا : ان كنت ابن الله فر ان تصير هذه الحجارة خبزًا »، متى ٤ : ٣ ؛ لوقا ٤ : ٣ ؛ « ان للثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكارا واما ابن البشر فليس له موضع يسند اليه راسه »، متى ٨ : ٢٠ .

١٢) ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، ٤ : ٥٢ ؛ وفي الانجيل « فقال له ابليس : ان

(عن طاوس بن كيسان) لقي عيسى بن مريم ابليس فقال : أما علمت انه لا يصيبك الا ما قُدِّر لك قال : نعم ؛ قال ابليس : فأوفِ بذروة هذا الجبل فتردَّ منه فانظر أتعيش ام لا . قال طاوس في حديثه : قال عيسى : أما علمت ان الله تعالى قال : لا يختبرني عبدي فاني افعل ما شئت[١٣] .

وفي الخبر الاسرائيلي ان عيسى عليه السلام ظهر له ابليس فرأى عليه معاليق من الوان الاصباغ من كل شيء. فقال له : ما هذه المعاليق ؟ قال : هذه شهوات بني آدم . فقال : فهل لي فيها شيء ؟ قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر . قال : هل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : لله عليّ أن لا املأ بطني من طعام ابداً . قال : ولله عليّ أن لا انصح مسلماً ابداً[١٤] .

حكي عن عيسى عليه السلام خرج يوماً فلقي ابليس وبيده عسل وفي الاخرى رماد ، فقال : ما تفعل يا عدو الله بهذا العسل والرماد ؟ قال : أما العسل فاجعله على شفاه المغتابين حتى يبلغوا منه ، وأما الرماد فاضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس[١٥] .

كنت ابن الله فمر هذا الحجر ان يصير خبزًا . فاجابه يسوع : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله . فاصعده ابليس الى جبل عال واراه جميع ممالك المسكونة في لمحة من الزمان وقال له ابليس : اعطيك جميع سلطان هذه الممالك مع مجدها لانها قد دفعت الي فانا اعطيها لمن اشاء فان سجدت امامي يكون لك ذلك جميعه ، فأجاب يسوع وقال له : قد كتب : للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد . واتى به الى اورشليم واقامه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فالق بنفسك من ههنا الى اسفل لانه مكتوب انه يوصي ملائكته بك لتحفظك وانها على ايديها تحملك لئلا تصدم بحجر رجلك فأجاب يسوع وقال له : قد قيل : لا تجرب الرب الهك . » ، لوقا ٤ : ٣-١٢ ؛ متى ٤:٣-١١ ؛ مرقس ١:١٣ .

١٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤:١٢ ١٣ ؛ ابن الجوزي ، كتاب الاذكياء ، ١٢ حيث يختلف جواب عيسى : « فقال له : يا ملعون ان لله عز وجل ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه عز وجل » ؛ قابل بنص الانجيل كما ورد اعلاه .

١٤) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧:٤٤٥ ؛ تذكر حياة الاباء « قصة تشبه هذه نسبت الى الابا مكاريوس ، راجع حياة الآباء (Rosweyde, *Vitae Patrum*) ، ٥١٠ ، ٦٣٧ ، ٦٦٥ .

١٥) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٢ .

ان عيسى عليه السلام لقي ابليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال فسأله عن الاحمال فقال : تجارة أطلب لها مشترين . قال : وما هي التجارة ؟ قال : احدها الجور . قال : ومن يشتريه ؟ قال السلاطين ، والثاني الكبر . قال : ومن يشتريه ؟ قال : الدهاقين ، والثالث الحسد . قال : ومن يشتريه ؟ قال : العلماء ، والرابع الخيانة . قال : ومن يشتريها ؟ قال عمال التجار ، والخامس الكيد . قال : ومن يشتريه ؟ قال : النساء.[١٦] .

فجاءه ابليس في هيئة يبهر الناس حسنها وجمالها فلما رآه الناس فرغوا له ومالوا نحوه فجعل يخبرهم بالاعاجيب فكان في قوله ان شأن هذا الرجل العجيب تكلم في المهد وأحيا الموتى وانبأ عن الغيب وشفى المريض فهذا الله. قال أحد صاحبيه: جهلت ايها الشيخ وبئسما قلت لا ينبغي لله ان يتجلى للعباد ولا يسكن الارحام ولا تسعه اجواف النساء. ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بئسما قلتما كلاكما قد اخطأ وجهل فليس ينبغي لله ان يتخذ ولدا ولكنه اله معه .

ثم غابوا حين فرغوا من قولهم فكان ذلك آخر العهد منهم[١٧] .

عيسى ويحيى

وروي ان يحيي بن زكريا عليهما السلام لقي عيسى بن مريم عليهما السلام فتبسم عيسى في وجهه ، فقال يحيى : ما لي أراك لاهياً كأنك آمن ؟ فقال عيسى : ما لي أراك عابساً كأنك آيس ؟ فقالا : لا نبرح حتى ينزل علينا وحي . فأوحى الله تعالى اليهما : احبّكما اليّ احسنكما خُلقاً[١٨] .

---

١٦) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٤٧ .

١٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣١-٧٣٢ .

١٨) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى، ٢ : ٢٣٦؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء، ٥ : ١٨١ ؛ الترمذي ، نوادر الاصول ، ٢٩٥ ؛ الجامي ، نقد النصوص ، ١١٤ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ : ٣٢٧ ؛ تتناقض هذه النصوص ، فتارة هو عيسى الباكي ويحيى الباسم ، وطوراً عكس ذلك ؛ وقد ذكر ابن عباس حديثين في شرف يحيى على سائر الانبياء وفي عصمته : « قال (النبي) : لا ينبغي لاحد ان يكون خيراً من يحيى بن زكريا ، فذكر

(عن أبي هريرة) بينما عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا عليهما السلام سائران اذ رأيا شاة وحشياً ماخضاً فقال عيسى ليحيي : قل تلك الكلمات : حنة ولدت يحيي ومريم ولدت عيسى ، الارض تدعوك يا ولد اخرج يا ولد .

قال حماد بن زيد : فما يكون في الحي امرأة ماخض فيقال هـذا عندها فلا تبرح حتى تضع باذن الله تعالى .

ويحيي اول من آمن بعيسى وصدقه وكانا ابني خالة ، وكان يحيي اكبر من عيسى بستة اشهر ثم قُتل يحيي قبل رفع عيسى عليه السلام[١٩] .

(عن سفيان الثوري) كان عيسى ويحيي عليهما السلام يأتيان القرية فيسأل عيسى عن شرار اهلها ويسأل يحيي عن خيار أهلها . فقال له يحيي : لِمَ تنزل على شرار الناس ؟ قال : انما انا طبيب اداوي المرضى[٢٠] .

أمر عيسى بن مريم برجل ثم قال : لا يرجمه رجل به مثل الذي به . قال فرفضوا الحجارة الا يحيي بن زكريا ، فقال : ما بك ؟ قال : ما بي . فقال له عيسى : أوصني . قال : اجتنب الغضب . قال : لا أستطيع انما أنا بشر ، قال : لا تقتنِ مالاً ، قال : امّا هذا فعسى[٢١] .

قال يحيي لعيسى عليهما السلام : اي شيء اشد ؟ قال : غضب الله . قال : فما يقرب من غضب الله ؟ قال : ان تغضب . قال : فما يبدي الغضب ومـا ينبته ؟ قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية[٢٢] .

انه لم يعمل سيئة قط ولا همّ بها . . . ما من احد الا ويلقى وجه الله قد همّ بمعصية او عملها الا يحيى . » الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ٥٢٤ .

١٩) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢ : ٤٦ .

٢٠) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٤ .

٢١) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٣٥٩ ، قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١١٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٦ ؛ وفي الانجيل قال المسيح عن المرأة الزانية : « من منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرجمها بحجر » ، يوحنا ٨ : ٧ ؛ وقال عن الغضب : « ان كل من غضب على اخيه يستوجب الدينونة ومن قال لاخيه راقا يستوجب حكم المحفل ومن قال يا احمق يستوجب نار جهنم » ، متى ٥ : ٢٢ .

٢٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١١٩ ؛ قابل بالزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٨ « قال : وما يباعد من غضب الله ؟ قال : ان لا تغضب » .

قال عيسى ليحيي عليهما السلام : اذا ذكرك رجل بشيء وقــال فيك صحيحاً فاشكر الله جل جلاله ، وان كان كذباً فازدد في الشكر فانه يزيد في ديوان اعمالك وانت مستريح[٢٣] .

(عن خيثمة بن عبد الرحمن) كان عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا عليهما السلام ابني خالة وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف وكان يحيي عليه السلام يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا امــة ولا ما يأويان اليه اينما جنّهما الليل أويا . فلما ارادا ان يتفرقا قال له يحيي : اوصني . قال : لا تغضب . قال : لا استطيع الا ان اغضب . قال : فلا تقتنِ مالًا . قال : اما هذه فعسى[٢٤] .

وجاء في الاخبار ان يحيي وعيسى كانا يمشيان في السوق فصدمتهما امرأة فقال يحيى : والله ما شعرت بذلك . فقال عيسى : سبحان الله بدنك معي وقلبك أين ؟ قال : يا ابن الخالة لو اطمأن قلبي الى غير ربي طرفة عين لظننت اني ما عرفت الله[٢٥] .

حكي ان يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اصطحبا في سفر . فلما كان بعض الاوقات نام يحيى عليه السلام في سجدة سجدها عيسى عليه السلام. فأراد عيسى عليه السلام ان يوقظه فأوحى الله تعالى الى عيسى عليــه الصلاة والسلام : يا عيسى ان روح يحيى عندي في حضرة قدسي وجسده بين يدي في ارضي ولقد باهيتُ به كرام ملائكتي[٢٦] .

---

٢٣) الغزالي ، رسالة الى ملكشاه ، ٦٩ ؛ كتاب التبر المسبوك ، ٢١ .

٢٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ١١٧ .

٢٥) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٢٣ ؛ الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ٥٢٤ ؛ قابــل الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٨٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٠١ .

٢٦) اليافعي ، كتاب روض الرياحين ، ٢٣٦ ، قابل بكلام المسيح لرسله الثلاثة ليلة تراءه في بستان الزيتون ، وكانوا قد اغفوا : « ألم تستطيعوا ان تسهروا ساعة واحــدة معي . » متى ٢٦ : ٤٠ .

امام السائحين

روي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل . فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة ، واذا شيخ قد اظله فقال له عيسى : بارك الله فيك يا وليّ الله ادعُ الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني . فقال الشيخ : اللهم ان كنت تعلم ان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر[٢٧] .

قال مالك بن دينار : مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما انتن ريح هذا الكلب ! فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشد بياض اسنانه[٢٨] ! .

مر عيسى عليه السلام بشاب يسقي بستاناً فقال الشاب لعيسى : سل ربك ان يرزقني من محبته مثقال ذرة . فقال عيسى : لا تطيق مقدار ذرة . فقال: نصف ذرة . فقال عيسى عليه السلام : يا رب ارزقه نصف ذرة من محبتك . فمضى عيسى عليه السلام .

فلما كان بعد مدة طويلة مرّ بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا : جنّ وذهب الى الجبال . فدعا الله عيسى عليه السلام ان يريه اياه فرآه بين الجبال فوجده قائماً على صخرة شاخصاً طرفه الى السماء . فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه فقال : انا عيسى . فأوحى الله تعالى الى عيسى : كيف يسمع كلام الادميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتي فوعزتي وجلالي لو

---

٢٧) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٣ : ٦١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين، ٧ : ٣٩٣؛ قابل بالانجيل ، متى ٤ : ٢-٤ .

٢٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٠٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٢٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٣٨٣ ؛ ويزيد ابو طالب المكي شارحاً : « اراد (عيسى) ان ينهاهم بذلك عن الغيبة ويعلمهم ترك عيب الاشياء كيف هو ويرى بعين نفسه ان الصنعة من صانعها فهو يقلبها ويصرفها على معاني نظره » ، قوت القلوب ، ٣ : ٦١ .

قطعته بالمنشار لما علم بذلك[٢٩] .

حكي ان عيسى عليه السلام اجتاز في بعض ايامه على جبل فرأى صومعة فدنا منها فوجد فيها متعبداً قد انحنى ظهره ونحل جسمه وبلغ بـه الاجتهاد اقصى غاياته فسلم عليه عيسى وعجب مما رأى من شواهده . فقال له عيسى : منذ كم انت في هذا الموضع ؟ فقال : منذ سبعين سنة اسأله حاجة واحدة فما قضاها لي بعد فعساك يا روح الله تكون شفعي فيها فلعلها تُقضى. قال عيسى: فما حاجتك ؟ قال : سألته ان يذيقني مقدار ذرة من خالص محبته . فقال له عيسى : انا ادعو لك الله في ذلك . فدعا له في تلك الليلة فأوحى الله تعـالى اليه : قد قبلتُ شفاعتك وأجبتُ مسألتك . فعاده عيسى عليه السلام بعد ايام الى الموضع لينظر ما كان من حال العابد فرأى الصومعة قـد وقعت والارض التي تحتها قد ظهر فيها شق عظيم.فنزل عيسى عليه السلام في ذلك الشق وانتهى فيه فراسخ فرأى العابد في مغارة تحت ذلك الجبل واقفاً شاخصاً بصره فاتحاً فاه فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه جواباً فعجب عيسى من حاله ، فهتف به هاتف : يا عيسى انه قد سألنا مثل ذرة من خالص محبتنا وعلمنا انه لا يقدر على ذلك فوهبنا له جزءا من سبعين جزءا من ذرة وهو فيها حاير هكذا فكيف لو وهبنا له اكثر من ذلك[٣٠] .

رأيت في بعض الكتب ان عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ على شخص يعمل البرادع وهو يقول في سجوده : يا رب لو علمت اين حمارك الذي تركبه لعملت له برذعة ورصعتها بالجواهر . فحركه المسيح وقال : ويحك أوَ لله تعالى حمار ؟ فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام : دع الرجل فانه مجّدني بقدر وسعه[٣١] .

يروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين

---

٢٩) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٢٠ .

٣٠) ابن العريف ، محاسن المجالس ، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٦٦١٤ ، صفحة ١٠ .

٣١) عبد الوهاب الشعراني ، لطائف المنن والاخلاق ، ١ : ٣٩ .

بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه . فقال له عيسى : يا هذا أي شيء من البلاء اراه مصروفاً عنك ؟ فقال: يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته . فقال له : صدقت هات يدك ، فناوله يــده فاذا هو أحسن الناس وجهاً وافضل هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه[٣٢] .

قيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض ، فقال عيسى : اللهم انزع منه الامل . فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة ، فقال عيسى : اللهم اردد اليه الامل ، فقام فجعل يعمل . فسأله عيسى عن ذلك فقال : بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي : الى متى تعمل وانت شيخ كبير ، فألقيت المسحاة واضطجعت ، ثم قالت لي نفسي : والله لا بد لك من عيش ما بقيت ، فقمت الى مسحاتي[٣٣] .

روي ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يومــاً فجعل يطلب شيئاً يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: الهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى . فأوحى الله تعالى اليه : مأواك في مستقر رحمتي ، لازوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتهــا بيدي ، ولاطعمنّ الناس في عرسك اربعة آلاف عام ، يوم منها كعمر الدنيا ، ولآمرنّ منادياً ينادي : اين الزهّاد في الدنيا ، زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم[٣٤] .

---

٣٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٥٠ ؛ الزبيدي ، اتحــاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٥٨ .

٣٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٢٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣٩ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٦ .

٣٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠ : ١٣٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ٨ : ٨٧ قابل بالانجيل : « للثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكار واما ابن البشر فليس له موضع يسند اليه رأسه . »

بينما عيسى عليه السلام يمشي في يوم صائف وقد مسّه الحر والشمس والعطش فجلس في ظل خيمة فخرج اليه صاحب الخيمة فقال : يا عبد الله قم من ظلنا فقام عيسى وجلس في الشمس وقال : ليس انت الذي اقمتني انما اقامني الذي لم يرد أن أصيب من الدنيا شيئاً[٣٥] .

روي ان المسيح صلعم مرّ في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال : يا نائم قم فاذكر الله تعالى . فقال : ما تريد مني ، اني قد تركت الدنيا لاهلها . فقال له : فنمْ اذًا يا حبيبي[٣٦] .

مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقوم يبكون ، فقال : ما بالهم يبكون؟ فقالوا : على ذنوبهم ، قال : اتركوها يغفر لكم[٣٧] .

بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام مرّ باربعمائة الف امرأة متغيرات الالوان وعليهن مدارج الشعر والصوف .فقال عيسى عليه السلام: ما الذي غيّر الوانكن معشر النسوة ؟ قان : ذكر النار غيّر الواننا يا ابن مريم ، ان من دخل النار لا يذوق بردًا ولا شراباً[٣٨] .

عن عيسى عليه السلام : المحب لله يحب النصب . وروي عنه انه مرّ على طائفة من العبّاد قد احترقوا في العبادة كأنهم الشنان البالية ، فقال: ما انتم ؟ فقالوا : نحن عباد . قال : لاي شيء تعبدتم ؟ قالوا : خوفنا الله من النار

متى ٨ : ٢٠ ؛ « وكل من ترك بيتًا او اخوة او اخوات او ابًا او امًا او امرأة او بنين او حقولًا لاجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الابدية » ، متى ١٩ : ٢٩ ؛ لوقا ٢٢ : ٢٩ — ٣٠ .

٣٥) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٤٧ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٨ : ٢٠ .

٣٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٧٥ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٩٠ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠ : ١٤٥ .

٣٧) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٦٧ ؛ ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ١ : ٢٩٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٣ : ٢ ؛ ٤ : ١٧ ؛ لوقا ٣ : ٣ ، ٨ ؛ ١٣ : ٣ ؛ ٢٤ — ٤٧ .

٣٨) ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ٢ : ١٩٠ .

فخفنا منها . فقال: حقّ على الله ان يؤمّنكم ما خفتم. ثم جاوزهم فمرّ بآخرين أشد عبادة منهم فقال : لاي شيء تعبدتم ؟ قالوا : شوّقنا الله الى الجنان وما اعدّ فيها لاوليائه فنحن نرجو ذلك . فقال : حقّ على الله ان يعطيكم مـا رجوتم . ثم جاوزهم فمرّ بآخرين يتعبدون فقال : ما انتم ؟ قالوا : نحن المحبون لله لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً الى جنته ولكن حباً له وتعظيماً لجلاله . فقال : انتم اولياء الله حقاً معكم أُمرتُ ان اقيم . فأقام بين اظهرهم . وفي لفظ آخر انه قال للاولين : مخلوقاً خفتم ومخلوقاً احببتم ، وقال لهؤلاء : انتم المقرَّبون[٣٩] .

يروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قـد نحلت ابدانهم وتغيّرت الوانهم فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا : الخوف من النار. فقال: حقّ على الله ان يؤمّن الخائف. ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولًا وتغيّرًا فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا: الشوق الى الجنة. فقال : حقّ على الله ان يعطيكم ما ترجون. ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولًا وتغيّرًا كأن على وجوههم المرائي من النور ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : نحب الله عز وجل . فقال : انتم المقربون ، انتم المقربون ، انتم المقربون[٤٠] .

ذكر عن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انه خرج ذات يوم الى اصحابه وعليه مدرعة من صوف وكساء من صوف وثياب من صوف ، مجزوز الرأس والشاربـين باكياً ، متغير اللون من الجوع ، يابس الشفتين من الظمأ ، طويل شعر الصدر والذراعين ، فقال : السلام عليكم انا الذي انزلت الدنيا منزلتها باذن الله ولا عجب ولا فخر ؛ يا بني اسرائيل تهاونوا بالدنيا تهن عليكم ، واهينوا الدنيا تكرم لكم الآخرة ، ولا تهينوا الآخرة فتكرم عليكم الدنيا

---

٣٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ٨٢ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٣٨ .

٤٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢١٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٥٤٩ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠ : ٧-٨ .

فان الدنيا ليست باهل كرامة ، هي تدعو كل يوم الى الفتنة والخسارة . ثم قال : ان كنتم جلسائي واصحابي فوطنوا نفسكم على العداوة والبغضاء للدنيا فان لم تفعلوا فلستم باصحابي ولا باخواني! يا بني اسرائيل اتخذوا المساجد بيوتاً والقبور دوراً ! كونوا كأمثال الاضياف : ألا ترون الى طيور السماء لا يزرعون ولا يحصدون والله في السماء يرزقهم (كذا ..) ! يا بني اسرائيل كلوا من خبز الشعير ومن بقول الارض واعلموا انكم لم تؤدوا شكر ذلك فكيف ما فوق ذلك[41] .

عن ابي بكر بن عبدالله المزني ان الحواريين طلبوا عيسى عليه السلام فقيل لهم : توجه الى البحر ، فجاؤه وهو يمشي على الماء يرفعه الموج ويضعه . فقال افضلهم : ألا اجيئك يا رسول الله ؟ فادخل رجله الماء ورفع الآخر فقال : أدركني فقد غرقت . فقال : يا قصير الايمان ، أو قال : هات يدك يا قصير الايمان ، لو ان لابن آدم مثقال حبة من خردل من اليقين مشى على الماء[42] .

بينما عيسى عليه السلام جالس مع الحواريين اذ جاء طائر منظوم الجناحين باللؤلؤ والياقوت كأحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين ايديهم . فقال عيسى عليه السلام : دعوه لا تنفّروه فان هذا بُعث لكم آية . فخلع مسلاخه

---

٤١ السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٦١ ؛ قابل جزئياً بالانجيل ، متى ٢٦:٩ .

٤٢) الترمذي ، نوادر الاصول، ٧٦–٧٧ ؛ قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين، ٣:١٦١ ؛ مكاشفة القلوب ، ٩١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨:١٤٦ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢:١٩٠ ؛ ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، ص ٣٨ يميناً ؛ وهي قصة مأخوذة مع بعض التحريف عن الانجيل حيث ان المسيح جاء الحواريين ماشياً على البحر ، وكانوا في السفينة والريح عاصفة ؛ فلما رأوه خافوا اذ ظنوا انه خيال ؛ فطمأنهم ؛ فأجابه بطرس قائلاً : يا رب ان كنت انت هو فمرني ان آتي اليك على المياه ؛ ولما نزل خاف ان يغرق فنادى : يا رب خلصني ؛ » وللوقت مد يسوع يده واخذه وقال له : يا قليل الايمان لماذا شككت . « ؛ متى ١٤:٢٢-٣٣ ؛ مرقس ٦:٤٥–٥٢ ؛ يوحنا ٦:١٦–٢١ ؛ وفي موضع آخر قال : »لو كان فيكم ايمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل واسقط في البحر فيكون ذلك لكم « ؛ متى ١٧:٢٠ ؛ ٢١:٢١ ؛ مرقس ١٦:١٧ .

فخرج اقرع احمر كأقبح ما يكون فأتى بركة فتلوث في حمأتها فخرج أسود قبيحاً ؛ فاستقبل جرية الماء فاغتسل ثم عاد الى مسلاخه فلبسه فعاد اليه حسنه وجماله . فقال عيسى عليه السلام : ان هذا بُعث لكم آية ، ان مثل هـذا كمثل المؤمن اذا تلوث في الذنوب والخطايا نُزع منه حسنه وجماله واذا تاب الى الله عاد اليه حسنه وجماله[٤٣] .

ان عيسى بن مريم كان واقفاً على قبر ومعه الحواريون او نفر من اصحابه قال وصاحب القبر يدلى فيه ؛ قال : فذكروا من ظلمة القبر ووحشته وضيقه ؛ قال فقال عيسى : قد كنتم فيما هو أضيق منه في ارحام امهاتكم فاذا احب الله ان يوسع وسع[٤٤] .

ان عيسى بن مريم عليهما السلام مر بشيخة فقال : معاشر الشيوخ اما علمتم ان الزرع اذا ابيض وييس واشتد فقد دنا حصاده ؟ قالوا : بلى . قال: فاستعدوا فقد دنا حصادكم . ثم مر بشبان فقال : معاشر الشباب أمـا تعلمون ان رب الزرع ربما حصده قصيلاً ؟ قالوا : بلى . قال : فاستعدوا فانكم لا تدرون متى تحصدون[٤٥] .

رأوه يخرج من بيت مومسة فقيل : يا روح الله ما تصنع عند هذه ؟ قال : انما يأتي الطبيب المرضى[٤٦] .

وفي بعض الحديث ان عيسى بن مريم لقي رجلاً فقال له : ما تصنع ؟ قال : اتعبد . قال : فمن يعود عليك ؟ قال : اخي . قال : هو اعبد منك[٤٧] .

---

٤٣) عن شهر بن حوشب ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٦٠ .

٤٤) عن وهب ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٥٢ .

٤٥) عن نوف البكالي ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ؛ ٦ : ٥٥ – ٥٦ ؛ ولقد تكلم المسيح في الانجيل عن الحصاد قائلاً : « ان الحصاد كثير والفعلة قليلون ، فاطلبوا من رب الحصاد ان يخرج فعلة لحصاده » ؛ متى ٩ : ٣٧–٣٨ ؛ لوقا ١٠ : ٢ ؛ يوحنا ٤ : ٣٥–٣٨ .

٤٦) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٤٠ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٩ : ١٠–١٣ ؛ مرقس ٢ : ١٦–١٧ .

٤٧) ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ١ : ١٨٩ .

روي عن محمد بن ابي موسى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه مرّ برجل مبتلى فرقّ له فقال : اللهم اني اسالك ان تعافيه . فأوحى الله تعالى اليه : كيف اعافيه مما به اعافيه[٤٨] .

روي ان عيسى عليه السلام مرّ برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة ، فقال : يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع . فأوحى الله تعالى اليه : يا عيسى أما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها[٤٩] .

ان عيسى بن مريم عليه السلام أشرف من جبل البُضَيع يعني جبل الكسوة على الغوطة ، فلما رآها قال عيسى للغوطة : ان يعجز الغني ان يجمع بها كنزًا فلن يعجز المسكين ان يشبع فيها خبزًا[٥٠] .

ان عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ بحاو يطارد حية فقالت له الحية : يا روح الله قل له لئن لم يلتفت عني لاضربنّه ضربة اقطعه قطعاً . فمر عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا الحية في سلة الحاوي فقال لها عيسى عليه الصلاة والسلام : ألست القائلة كذا وكذا فكيف صرت معه ؟ فقالت : يا روح الله انه قد حلف لي والآن غدر بي فسمّ غدره اضرّ عليه من سمّي[٥١] .

مرّ المسيح عليه السلام بخلق بني اسرائيل فشتموه فكلما قالوا شرًا قال المسيح (صلعم) خيرًا . فقال له شمعون الصفا : اكلما قالوا شرًا قلت لهم خيرًا ؟ قال المسيح : كل امرئ يعطي مما عنده[٥٢] .

---

٤٨) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، ص ٢٧٣ يمينًا .

٤٩) الغزالي ، مختصر احياء علوم الدين ، ٢٤٦ .

٥٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ : ٦٥٨ .

٥١) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٧٨ .

٥٢) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٢ : ١٧٧ ؛ ٣ : ١٤٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٢٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٤ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٢ : ٣٤–٣٥ ؛ لوقا ٦ : ٢٨–٤٥ .

دخل عيسى بن مريم مسجد بيت المقدس وهم يتبايعون فيه فجعل ثوبه مخراقاً وسعى عليه ضرباً[٥٣] .

روى البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلعم قال : رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له : أتسرق ؟ قال : كلا ، قال ، والذي لا اله الا هو. فقال عيسى عليه السلام : آمنت بالله وكذّبتُ عيني[٥٤] .

روي ان عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال : مرَّ بسلام . فقيل : يا روح الله أتقول هذا لخنزير ؟ فقال : اكره ان اعوّد لساني الشر[٥٥] .

(عن ابي هريرة) ان عيسى بن مريم عليه السلام ندب قومه بخبز ولحم وشراب ثم ارسل اليهم فدعاهم فأقبلوا يمسحون ايديهم بملاء الكتان باغين فقالوا : لا نأكل من هذا اللحم لان كبشه رضع من كلبة ولا نأكل من هذا الخبز لان سنبله نبتت في مزبلة ولا نشرب من هـذا الشراب لان حبله نبتت في مقبرة[٥٦] .

ويروى ان عيسى مرّ بدير فيه عميان فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هم قوم طلبوا القضاء فطمسوا اعينهم بايديهم . فقال لهم : ما دعاكم الى هذا ؟ قالوا : خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بانفسنا مـا ترى ، فقال : انتم العلماء والحكماء

---

٥٣) عن مالك بن دينار، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٣٨٣؛ وفي الانجيل: « صعد يسوع الى اورشليم فوجد في الهيكل باعة البقر والخراف والصيارفة على موائدهم فصنع سوطاً من حبال واخرج جميعهم من الهيكل . . . » ، يوحنا ٢ : ١٣ – ١٥ ؛ متى ٢١ : ١٢ ؛ مرقس ١١ : ١٥–١٧ ؛ لوقا ١٩ : ٤٥–٤٦ .

٥٤) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٤٨ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرهل) ، ٣ : ٣٦٩ ؛ مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٢٤ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٢٦ : ٦٩–٧٥ .

٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٧٦ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٩٦ ؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٢ : ١٧٧ ؛ ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١ : ٢٥٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٢٢ ؛ مرقس ، ٥ : ١١ – ١٤ .

٥٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٤٦ .

والاحبار والافاضل امسحوا اعينكم بايديكم وقولوا باسم الله . ففعلوا ذلك فاذا هم جميعاً قيام ينظرون[٥٧] .

وكانت قصة مريم المجدلانية انها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان[٥٨] وكانت امرأة صالحة تستحاض فلا تطهر . فخطبها اشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا انها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعاً وانما ارادت اخفاء علتها عنهم . فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى اقبلت اليه رجاء الشفاء . فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره . فقال عيسى : لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد اعطاه الله ما رجاه وطهّره بطهارتي . فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت[٥٩] . فلما امر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة ايام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً . . .[٦٠] .

بلغنا ان عيسى مرّ هو ورجل من بني اسرائيل من حواريه بلص في قلعة له ، فلما رآهما اللص القى الله في قلبه التوبة . قال فقال لنفسه : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام روح الله وكلمته وهذا فلان حواريه ومن انت يا شقي

٥٧) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٢ .

٥٨) والاصح مجدلا ، وهي كلمة ارامية معناها البرج او القصر ، وقد يكون اسم المجدلية مأخوذ عن نسبتها الى قصرها . وهي غير المرأة التي شفاها المسيح من نزف الدم كما في القصة المذكورة هنا .

٥٩) وفي الانجيل : « وبينما هو منطلق كان الجموع يزاحمونه ، وان امرأة بها نزف دم منذ اثني عشرة سنة وكانت قد انفقت معيشتها كلها على الاطباء ولم يستطع احد ان يشفيها دنت من خلفه ومست طرف ثوبه وللوقت وقف نزف دمها فقال يسوع : من لمسني . واذ انكر جميعهم قال له بطرس والذين معه : يا معلم ايكون الجموع يضايقونك ويزحمونك وتقول من لمسني ؟ فقال يسوع : انه قد لمسني واحد لاني شعرت بان قوة قد خرجت مني ، فلما رأت المرأة انها لم تختفَ جاءت مرتعدة وخرّت له واخبرت امام كل الشعب لاية علة لمسته وكيف برئت للوقت . فقال لها : يا ابنة ايمانك ابراك فاذهبي بسلام » ، لوقا ٨ : ٤٢–٤٧ ؛ متى ٩ : ٢٠–٢٢ ؛ مرقس ٥ : ٢٤–٣٤ .

٦٠) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٢ .

لص بني اسرائيل قطعت الطريق واخذت الاموال وسفكت الدماء . ثم هبط اليها تائباً نادماً على ما كان منه . فلما لحقها قال لنفسه : تريد ان تمشي معها ؟ لست لذلك باهل ، امشي خلفها كما يمشي الخاطئ المذنب مثلك. قال فالتفت اليه الحواري فعرفه فقال في نفسه : انظر هذا الخبيث الشقي ومشيه وراءنا . قال فاطّلع الله على ما في قلوبها من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواري اياه وتفضيله نفسه عليه . قال فأوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم عليه السلام ان مرْ الحواري ولص بني اسرائيل ان يأتنفا العمل جميعاً ، اما اللص فقد غفرت له ما مضى لندامته وتوبته واما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التائب[٦١] .

كان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام رجل يسمّى ملعوناً من بخله . فجاءه رجل ذات يوم يريد الغزو فقال: يا ملعون اعطني شيئاً من السلاح استعين به في غزوي وتنجو به من النار ، فاعرض عنه ولم يعطه شيئاً فرجع الرجل . فندم الملعون فناداه فأعطاه سيفه فرجع الرجل واستقبله عيسى عليه السلام مع عابد قد عبد الله سبعين سنة ، فقال له عيسى : من اين جئتم بهذا السيف ؟ فقال : اعطانيه الملعون ، ففرح عيسى بصدقته . فكان الملعون قاعداً على بابه فلما مرّ به عيسى عليه السلام مع العابد قال الملعون في نفسه : اقوم وانظر الى وجه عيسى والى وجه العابد . فلما قام ونظر اليها قال العابد: انا افر واعدو من هذا الملعون قبل ان يحرقني بناره. فأوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام ان قل لعبدي هذا المذنب قد غفرت له بصدقته بالسيف وبحبه اياك وقل للعابد انه رفيقك في الجنة . فقال العابد : والله ما اريد الجنة معه ولا اريد رفيقاً مثله . فأوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام ان قل لعبدي : انك لم ترضَ بقضائي وحقّرت عبدي فاني قد جعلتك ملعوناً من اهل النار وبدلت منازلك في الجنة مع الذي له في النار واعطيت منازلك في الجنة لعبدي ومنازله في

---

٦١) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٧ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١١٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ١٨٧ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٣٠ ؛ وهي قصة تشبه ما اورده الانجيل عن الفريسي والعشار ، لوقا ١٨ : ١٠–١٤ .

النار لك[٦٢] .

روي عن جرير عن ليث قال : صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال : اكون معك واصحبك. فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث . فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال الرجل : من اخذ الرغيف ؟ فقال : لا ادري . قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها . قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف : قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل : اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف ؟ فقال : لا ادري . ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له : اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف ؟ فقال : لا ادري . فانتهيا الى مفازة فجلسا . فأخذ عيسى عليه السلام يجمع تراباً وكثيباً ثم قال : كنْ ذهباً باذن الله تعالى فصار ذهباً فقسمه ثلاثة اثلاث ثم قال : ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف . فقال : انا الذي اخذت الرغيف . فقال : كله لك . وفارقه عيسى عليه السلام .

فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فاراد ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال : هو بيننا اثلاثاً فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاماً نأكله . قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث : لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سمّاً فاقتلهما وآخذ المال وحدي . قال ففعل . وقال ذانك الرجلان : لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا . قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا . فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلاثة عنده قتلى . فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه : هذه الدنيا فاحذروها[٦٣] .

---

٦٢) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١١٤ ، قابل ايضاً بقصة الفريسي والعشار في الانجيل ، لوقا ١٨ : ٩-١٤ ، وبقصة زكّا العشّار ، لوقا ١٩ : ١-١٠ .

٦٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٨٨ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٣٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٢٨٨ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢١١ ؛ ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٧ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٩٢-٢٩٣ .

روينا في اخبار عيسى عليه السلام انه مرّ في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في الارض فوقف عليه ثم قال: هذا القاتول فاحذروه. ثم عبر واصحابه فتخلف ثلاثة لاجل الذهب فاقام اثنان ودفعا الى واحد شيئاً منه يشتري لهم من الطيبات من اقرب الامصار اليهم ، فوسوس اليهما العدو : ترضيان ان يكون هذا المال بينكم اثلاثاً ؟ اقتلوا هذا فيكون المال بينكم نصفين . فاجمعا على قتله اذا رجع اليهما . قال وجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه : أرضيت نفسك ان تأخذ ثلث المال ؟ اقتلهما فيكون المال كله لك. قال فاشترى سمّاً فجعله في الطعام فلما جاءهما به ووثبا عليه فقتلاه ثم قعدا يأكلان الطعام فلما فرغا ماتا . فرجع عيسى عليه السلام من سياحته فنظر اليهم حول الذهب صرعى والذهب بحاله فعجب اصحابه وقالوا : ما شأن هؤلاء ؟ فأخبرهم بهذه القصة[٦٤] .

روي ان عيسى عليه صلوات الله وسلامه خرج يستسقي . فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام : من اصاب منكم ذنباً فليرجع . فرجعوا كلهم ولم يبقَ معه في المفازة الا واحد . فقال له عيسى عليه السلام : اما لك من ذنب ؟ فقال : والله ما علمت من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه، فلما جاوزتني ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها . فقال له عيسى عليه السلام : فادعُ الله حتى أؤمن على دعائك . قال : فتجللت السماء سحاباً ثم صبّت فسقوا[٦٥] .

روي ان عيسى بن مريم عليه السلام خرج ليستسقي بالناس ، فأوحى الله تعالى اليه : لا تستسقِ ومعك خطأون فاخبرهم عيسى بذلك ونادى فيهم : ألا

---

٦٤) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٢٢٨ ؛ الغزالي ، التبر المسبوك ، ٣٣ ؛ رسالة الى ملكشاه ، ٧٦ .

٦٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢١٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ٤٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل : « ان كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه ، فان شككتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك فانه خير لك ان يهلك أحد اعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم » ، متى ٥ : ٢٨-٢٩ ؛ قابل بالقصة التالية .

من كان معنا من اهل الذنوب والخطايا فليعتزل . قال فاعتزل الناس كلهم الا رجل مصاب بعينه اليمنى. فقال له عيسى عليه السلام: لِمَ لا تعتزل مع الناس ؟ فقال : يا روح الله اني لم اعصَ الله طرفة عين ولقد التفت فنظرت بعيني هذه الى قدم امرأة من غير قصد فقلعتها ولو كنت نظرت بالعين الاخرى لقلعتها . فبكى عيسى عليه السلام حتى ابتلّت لحيته من دموعه ثم قال له : فادعُ الله لنا . قال : معاذَ الله ان ادعو وانت روح الله وكلمته . فرفع عيسى عليه السلام يديه وقال: اللهم انك قد خلقتنا وتكفلت بارزاقنا فأرسل السماء علينا مدرارًا . فما استتمّ عيسى عليه السلام دعاءه حتى نزل الغيث وعمّ العباد والبلاد[٦٦] .

حدثنا عبدالله بن حيان البخاري عن ابي الفرج الازدي ان عيسى بن مريم عليهما السلام مرّ بقرية وفي تلك القرية قصّار . فقال اهل القرية : يا عيسى ان هذا القصار يخرق علينا ثيابنا ويحبسها فادعُ الله ان لا يردّه برزمته. فقال عيسى عليه السلام : اللهم لا تردّه برزمته . قال : فذهب القصار لقصر الثياب ومعه ثلاثة ارغفة فجاءه عابد يتعبد في تلك الجبال وسلم على القصار وقال : هل عندك خبز تطعمني او تريني حتى انظر اليه واشم ريحه فاني لم آكل الخبز منذ كذا وكذا ، فاطعمه رغيفاً فقال:يا قصار ، غفر الله لك ذنبك وطهّر قلبك . فاعطاه الثاني ، فقال : يا قصار غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر[٦٧]

---

٦٦) الشيخ الحريفيش ، كتاب الروض الفائق ، ١٨٣ ؛ هناك قصة غريبة تشبه هذه وردت في كتاب تعبد مسيحي اسمه المرج الروحي ، ليوحنا موسخوس الراهب المولود في دمشق حوالي منتصف الجيل السادس ؛ وفيه قصة العابدة التي وله بها احد الفتيان فكان يترصدها على مدخل دارها الى ان حرمت ذاتها الخروج منه ؛ ثم ارسلت خادمتها تدعوه اليها فاجلسته وهي تغزل ، وسألته لما يتتبعها فأخبرها عن هواه ، واذ سألته ما سبب هذا الهوى الجامح قال: عيناكِ ، ففقأت أذاك عينيها بمغزلها امامه وانتزعتها ، واذ رأى الفتى ذلك عظم عليه التأثر والحزن ، فترهب فكان قدوة الرهبان ، المرج الروحي ، ١٠٢–١٠٣ ؛ راجع الموسوعة اليونانية ، ٣٧: ٢٨٥١–٣١١٦ .

٦٧) القرآن ، سورة الفتح ، والكلام موجه الى محمد : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ، ٤٨: ٢ .

قال : فأطعمه الثالث فقال : يا قصار بنى الله لك قصراً في الجنة .

فرجع القصار من العشيّ سالماً . فقال اهل القرية : يا عيسى هذا القصار قد رجع . فقال : ادعوه ، فلما اتاه قال : يا قصار اخبرني بما عملت اليوم . فقال : اتاني سيّار من سيار تلك الجبال فاستطعمني فاطعمته ثلاثة ارغفة فبكل رغيف اطعمته دعا لي بدعوات. فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : هات رزمتك حتى انظر اليها ، فأعطاه ففتحها فاذا فيها حية سوداء ملجمة بلجام من حديد ، فقال عيسى عليه السلام : يا اسود ! قال : لبيك يا نبي الله . قال : ألست قد بُعثتَ الى هذا ؟ قال : نعم ولكن جاءه سيار من تلك الجبال فاستطعمته فبكل رغيف اطعمه دعا له بدعوة ومَلَك قائم يقول : آمين ، فبعث الله تعالى الي ملَكا من الملائكة فألجمني بلجام من حديد . فقال عيسى عليه السلام : يا قصار ، استأنف العمل فقد غفر الله لك ببركة صدقتك عليه[٦٨] .

روى ان نفرًا مروا على عيسى بن مريم فقال : يموت أحد هؤلاء اليوم ان شاء الله . فضوا ثم رجعوا عليه بالعشي ومعهم حزم الحطب . فقال للذي قال يموت اليوم : حلَّ حطبك ، فحل فاذا فيها حية سوداء ، فقال : ما عملت شيئاً . قال : انظر ما عملت ، قال : ما عملت شيئاً الا انه كان معي في يدي فلقة من خبز فمر بي مسكين فسألني فاعطيته بعضها . فقال : بها دُفع عنك[٦٩] .

واحيي الموتى

ومنها احياؤه الموتى باذن الله تعالى . قال الله تعالى واذ تخرج الموتى باذني. واحيا منهم امواتاً منهم العازر وكان صديقاً له فارسلت اخته الى عيسى ان اخاك العازر يموت فأته . وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة ايام فأتاه هو واصحابه فوجده

---

٦٨) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١١٦ .

٦٩) الهندي ، كنز العمال ، ٣ : ٢٦٦ ، عدد ٤٣٠٨ ذكره اسين بلاثيوس ، في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٩٣–٥٩٤ ، عدد ٢١٠ ؛ قابل بالانجيل : « ويحملون الحيات وان شربوا سماً مميتاً فلا يؤذيهم » ، مرقس ١٦ : ١٨ .

قد مات منذ ثلاثة ايام فقالوا لاخته : انطلقي بنا الى قبره ، فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة. فقال عيسى: اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك ارسلتني الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرتهم اني احيي الموتى باذنك فأحيِ العازر . فقام العازر وخرج من قبره وبقي ووُلد له[٧٠] .

ومنها عُزَير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام: أحيِه والا احرقناك بالنار. وجمعوا له حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عُزَير مكتوباً على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا ان يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء. وقال لهم : انضحوا قبره بهذا الماء . ففعلوا فانفتح الطبق فاتوا به عيسى وهو في اكفانه والارض لا تأكل اجساد الانبياء. ثم انه نزع ثيابه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال: احيَ يا عُزَير باذن الله تعالى، فاذا هو جالس وكل ذلك تراه اعينهم ، فقالوا : يا عُزَير ما تشهد لهذا الرجل؟ يعنون عيسى . فقال : اشهد انه عبد الله ورسوله . فقالوا : يا عيسى ادعُ لنا ربك يبقيه لنا ليكون بين اظهرنا حياً . فقال عيسى : ردّوه الى قبره . فردوه الى قبره فعاد ميتاً فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند .

---

٧٠) في الانجيل : «وكان انسان مريض وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا اختها . . . فارسلت اختاه اليه تقولان يا رب ها ان الذي تحبه مريض . . . فلما سمع انه مريض لبث في الموضع الذي كان فيه يومين وبعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية ايضاً . . . فلما وافى يسوع وجد ان له في القبر اربعة ايام وكانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة . . . وقال اين وضعتموه فقالوا له يا رب تعال وانظر . . . وجاء الى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر فقال يسوع ارفعوا الحجر . . . فرفعوا الحجر . فرفع يسوع عينيه الى فوق وقال : يا ابت اشكرك لانك سمعت لي وقد علمت انك تسمع لي في كل حين لكن قلت هذا لاجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا انك انت ارسلتني ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : يا لعازر هلم خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بلفائف ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب.» يوحنا ١١ : ١ — ٤٣ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٤ .

قال الكلبي : كان عيسى يحيي الموتى بيا حي يا قيوم[٧١] .

ومنها ابو العجوز. وكانت القصة فيه ان عيسى مرّ في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال : ان في هذه المدينة كنزًا فمن يذهب يستخرجه لنا ؟ فقالوا : يا روح الله لا يدخل هذه القرية احد غريب الا قتلوه. فقال لهم عيسى: مكانكم حتى اعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال : السلام عليكم يا اهل الدار غريب اطعموه ، فقالت له امرأة عجوز : اما ترضى ان ادعك لا اذهب بك الى الوالي حتى تقول اطعموني. فبينما عيسى بالباب اذ اقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى :اضفني ليلتك هذه ، فقال له الفتى مثل مقالة العجوز ، فقال له عيسى : اما انك لو فعلت ذلك زوّجتك بنت الملك ، فقال له الفتى : إمّا ان تكون مجنوناً وإمّا ان تكون عيسى بن مريم . قال : انا عيسى . فأضافه وبات عنده فلما اصبح قال له : اغدُ ادخل على الملك وقل له : جئت اخطب ابنتك فأنه سيأمر بضربك واخراجك . فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له : جئت اليك اخطب ابنتك ، فأمر بضربه فضُرب وأُخرج. فرجع الفتى الى عيسى فاخبره الخبر فقال : اذا كان غد فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك . ففعل الفتى ما امره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول . فرجع الى عيسى واخبره فقال : ارجع اليه فانه سوف يقول لك انا ازوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد ، فقل له افعل ذلك فاذا بعث معك احدًا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيئاً . ثم انه دخل على الملك فخطب فقال : تصدقها بحكمي . فقال : وما حكمك ؟ فحكم بالذي سماه عيسى فقال : نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك. فبعث معه رجالًا فسلم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال : يا روح الله تقدر على مثل هذا وانت على مثل هذه الحالة ؟ فقال له عيسى : اني آثرت ما يبقى على ما يفنى . فقال الفتى : انا ايضاً ادعه واصحبك. فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فاخذ عيسى بيده واتى به اصحابه وقال لهم: هذا الكنز الذي قلت لكم .

---

(٧١) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٤ .

فكان معه ابن العجوز الى ان مات ومرّ به وهو ميت على سرير فدعا اللهَ عيسى فجلس على سريره ونزل من على اعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي ووُلد له[٧٢] .

ومنها ابنة العشار ، رجل كان يأخذ العشر ، قيل له : أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها[٧٣] .

ومنها[٧٤] خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرًا عنه : اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله وقال تعالى : واذ تخلق من الطين كهيئة الطير . فكان يصور الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله . ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه اكمل الطير خلقاً فيكون ابلغ في القدرة لان له ثدياً واسناناً ويلد ويحيض ويطير . قال وهب : كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم ان الكمال لله عز وجل[٧٥] .

---

٧٢) قد يكون المؤرخ مزج بين قصتين مقتبستين من الانجيل اولاهما قصة الشاب الغني الذي لم يتبع يسوع حين قال له : بع كل شيء لك ووزعه على المساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع ذلك مضى حزيناً لانه كان غنياً جدًا ، لوقا ١٨ : ١٨-٢٣ ؛ والقصة الثانية هي احياء ابن الارملة : « وفي اليوم التالي كان منطلقاً الى مدينة اسمها نائين وكان تلاميذه وجمع كثير منطلقين معه . فلما قرب من باب المدينة اذا ميت محمول وهو ابن وحيد لامه وكانت ارملة وكان معها جمع كثير من المدينة فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها : لا تبكي . ودنا ولمس النعش فوقف الحاملون فقال : ايها الفتى لك اقول قم فاستوى الميت وبدأ يتكلم فسلمه الى امه . » لوقا ٧ : ١١-١٥ .

٧٣) وهي في الاصل ابنة رئيس المجمع وكانت قد ماتت فامسك بيدها ونادى قائلًا يا صبية قومي فرجعت روحها وقامت في الحال فأمر بان تعطى طعاماً » ، لوقا ٨ : ٤١ — ٥٦ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٤ .

٧٤) أي من خصائص عيسى ومعجزاته .

٧٥) وعن بعض المفسرين ، يقول الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٩٦ : « لما كان الخفاش هو الذي خلقه عيسى بن مريم . . . كان مباينًا لصنعة الخالق ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله ، وما لا يأكل اللحم قتله ، فلذلك لا

ومنها ابراء الاكمه والابرص كما قال الله وتبرئ الاكمه والابرص باذني ، والابرص الذي به وضح ، والاكمه هو الذي ولد اعمى ولم يرَ ضوءا قط ، ولم يكن في الاسلام اكمه غير قتادة . وانما خص هذين لانهما اعييا الاطبـاء . وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك[٧٦] .

(من ابن عباس) قال الحواريون لعيسى بن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب وقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : هذا قبر حام بن نوح . قال فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم باذن الله ، فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب . فقال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت ؟ قال : لا ولكني مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت . قال : حدثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الانس ، وطبقة فيها الطير . فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث . فلما وقع الفار بخرق السفينة يقرضه اوحى الله الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فقال له عيسى : كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه الخبر فوجد جيفـة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليهـا فعلم ان البلاد قد غرقت قال : فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم تألف البيوت. قال : فقال الحواريون : يا رسول الله الا تنطلق به الى اهلنا فيجلس معنـا

يطير الا ليلا.» لم تذكر الاناجيل الحقيقية معجزة الطير، ولكن وردت مرارًا في الاناجيل المتحولة وعنها اخذ الاسلام ، راجع انجيل متى المزعوم ، ٢٧ ؛ انجيل طفولية سيدنا ، ٣٦ ؛ انجيل الطفولة في نصه الارمني ، ١٨ : ٢ ؛ انجيل توما الموضوع ، ٢ : ٢ . امـا معجزة شفاء الابرص والاكمه فكثيرًا ما ترد في الاناجيل الحقيقية الموحاة .

٧٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٢ .

ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عد باذن الله ! فعاد تراباً[٧٧] .

قال يوسف بن اسباط توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجداً شديداً وشكوا ذلك الى المسيح صلعم فوقف على قبره ودعا فاحياه الله تعالى وفي رجليه نعلان من نار . فسأل عيسى عن ذلك فقال : والله ما عصيت قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره فتنعلت هذين النعلين[٧٨] .

روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ بقبر فوكزه برجله وقال: يا صاحب القبر قم باذن الله تعالى فقام رجل من القبر وقال : يا روح الله ما الذي اردت بي فاني لقائم في الحساب منذ سبعين سنة حتى سمعت الصيحة ان اجب روح الله . فقال عيسى : يا هذا لقد كنت كثير الذنوب والخطايا فما كان عملك ؟ فقال:يا روح الله كنت حطاباً احمل الحطب على رأسي وآكل حلالًا واتصدق. فقال عيسى:سبحان الله حطاب يحمل الحطب على رأسه ويأكل حلالًا ويتصدق وهو قائم في الحساب منذ سبعين عاماً ! ثم سأله عيسى عما قال له ربه في الحساب ، فقال:يا روح الله كان من توبيخ ربي الي ان قال : اتذكر يوم اكراك عبدي فلان لتحمل له حزمة حطب فأخذت منه عودا وتخللت به والقيته في غير مكانه من الحزمة استهانة منك بي وانت تعلم اني انا الله المطلع على فعلك ونيتك[٧٩] .

ومرّ عيسى بن مريم عليهما السلام بمقبرة فنادى رجلًا منها فاحياه الله تعالى فقال من انت ؟ فقال : كنت حمالًا انقل للناس فنقلت يوماً لانسان حطباً

---

٧٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ١٨٧-١٨٨ ؛ وعند ابن الاثير ، هو سام ، لا حام ، بن نوح ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٤ .

٧٨) ابو بكر الطرطوشي، سراج الملوك ، ١٥٣ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ١٠ : ٣٠، ٣٧؛ وبالحديث المشهور الذي كثيرًا ما نسي نصفه فساء استعماله ، وقد رواه انس بن مالك عن محمد: « انصر اخاك ظالمًا او مظلوماً ، فان كان مظلوماً فخذ له، وان كان ظالمًا فاحجزه عن ظلمه ، فان ذلك نصره » ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣ : ٩٤ .

٧٩) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ٤٦ .

فكسرت منه خلالًا تخللت به فانا مطالب به منذ مت[٨٠] .

عن كعب الاحبار قال : مرّ عيسى بجمجمة بيضاء فقال : يا رب هذه الجمجمة احيها . فاوحى الله تعالى ان اشح بوجهك قال : ففعل ، ثم حول وجهه فاذا شيخ متكئ على كارة من بقل فقال : يا عبد الله سَلْ علي حتى الحق بالسوق . قال : وما شأنك ؟ قال : قلعت هذا البقل من هذه المبقلة وغسلته في هذا النهر وغلبتني عيني . قال وخيل اليه ما كان فيه . قال فسأله عيسى عليه السلام عن القوم الذي هو منهم فاذا بين المسيح واولئك خمسمائة عام[٨١] .

روي ان عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجله فقال : تكلمي باذن الله . فقالت : يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي عليّ تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه ، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة[٨٢] .

روي في الاسرائيليات[٨٣] ان عيسى بن مريم عليه السلام بينما هو في بعض سياحته اذ مرّ بجمجمة نخرة فامرها ان تتكلم فقالت : يا روح الله انا بلوام بن حفص ملك اليمن عشت الف سنة وولد لي الف ذكر وافتضضت الف بكر وهزمت الف عسكر وقتلت الف جبار وافتتحت الف مدينة فمن رآني فلا يغتر بالدنيا كما غرتني فما هي الا كحلم نائم . فبكى عيسى عليه السلام[٨٤] .

---

٨٠) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ٦٥ ؛ قابل بانجيل متى ٥ : ٢٦ : « انك لا تخرج من هناك (السجن) حتى توفي اخر فلس » .

٨١) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٩-١٠ ؛ قابل بينها وبين قصة اهل الكهف ؛ راجع كتابنا Le Christ de l'Islam (éd. du Seuil, Paris 1959) ص ٢٨٠ .

٨٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٣٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٠٩ ؛ الزبيدي ، ١٠ : ٢٦٤ .

٨٣) «الاسرائيليات» هي اخبار وردت في النصوص الدينية الاسلامية عن طريق اليهود الذين اعتنقوا الاسلام . سميت كذلك لانها تعزو الى تاريخ بني اسرائيل احداثًا واحاديث مختلفة يتعلق معظمها بقصص انبياء اسرائيل .

٨٤) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٨ .

قال وهب بن منبّه: قرأت في كتب بعض الانبياء عليهم السلام ان المسيح اجتاز بجمجمة هائلة عظيمة نخرة فقال له اصحابه يا روح الله لو سألت الله تعالى ان يستنطق هذه الجمجمة فعسى تخبرنا بما رأته من العجائب ففعل . فانطقها الله تعالى فقالت : يا روح الله اني عشت الف سنــة واستولدت وافتتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وقتلت الف جبار وصحبت الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم أرَ شيئاً اشد من طالح يلي امر صالح ولم اجد لهذا الدهر شيئاً انفع من الصبر ومسالمة اهله ولم ارَ هــلاك اهله الا في الحرص والطمع ووجدت العز في الرضى بالقسم[٨٥] .

قال كعب الاخبار : ان عيسى عليه السلام مرّ ذات يوم بوادي القيامــة وهي عشية يوم الجمعة عند العصر فاذا بجمجمة بيضاء نخرة قد مات صاحبها منذ اربع وتسعين سنة ، فوقف عليها متعجباً منها وقال : يا رب ائذن لهذه الجمجمة ان تكلمني بلسان حتى تخبرني ماذا لقيت من العذاب وكم اتى عليها منذ ماتت وماذا عاينت وباي هيئة ماتت وماذا كانت تعبد . قال : فاتاه نداء من السماء فقال : يا روح الله وكلمته سلها فانها ستخبرك . فصلى عيسى ركعتين ثم دنا منها فوضع يده عليها فقال عيسى : ايتها الجمجمة النخرة . قالت : لبيك وسعديك سلني عما بدا لك . قال : كم اتى عليك مذ متِّ ؟ قالت : ما نفس بعد الحياة ولا روح تحصي السنين . فاتاه نداء انها قد ماتت منذ اربع وتسعــين سنة فسلها . قال : فبماذا متِّ ؟ قالت : كنت جالسة ذات يوم اذ اتاني مثل السهم من السماء فدخل جوفي مثل الحريق وكان مثلي مثل رجل دخل الحمّام فاصابه حره فهو يلتمس الروح مخافة على نفسه بان تهلك . قــال فاتاني ملك الموت ومعه اعوان وجوههم مثل وجوه الكلاب بادية انيابهم زرق اعينهم كلهان النار بايديهم المقامع يضربون وجهي ودبري فانتزعوا روحي فكشطوها عني ثم وضعه ملك الموت على جمرة من جمار جهنم ثم لفه في قطع مسح من مسوح جهنم فرفعوا روحي الى السماء فمنعتهم السماء ان يدخل واغلقت الابواب دونه فاتاني نداء ان ردوا هذه النفس الخاطئة الى مثواه ومأواه[٨٦] .

---

٨٥) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٩ .

٨٦) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٦٤ .

ذكر والله اعلم ان عيسى عليه السلام مرّ ذات يوم بواد يقـال له واد[٨٧] القيامة فاذا هو بجمجمة بيضاء قد نخرت عظامها فاعجبه بياضها وقد مات صاحبها منذ اثنين وسبعين سنة . فقال عيسى عليه السلام : اللهم اني اسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ان تأذن لهذه الجمجمة ان تخبرني من اي امة كانت . فاوحى الله اليه : يا عيسى كلمها تكلمك بقدرتي وانا على كل شيء قدير . قال فتوضى عيسى عليه السلام وصلى ركعتين ودنا منها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . فاجابته الجمجمة بلسان طليق وهي تقول: يا روح الله لقد سميت على خير الاسماء . فقال لها عيسى عليه السلام : سألتك بالله العظيم ألا ما اخبرتني اين الحسن والبياض واين اللحم والشحم واين العظام والروح ؟ فقالت له : يا روح الله اما الحسن والبياض فقد غيّرها التراب، واما اللحم والشحم فقد اكلها الدود ، واما العظام فقد نخرت ، واما الروح فهي اليوم عند النار في عذاب شديد . فقال لها عيسى عليـه السلام : سألتك بالله العظيم من ايّة امة كنت ؟ فقالت له : يا روح الله ارسل الله الينا نبياً جاءنا بالصدق فكذبناه وامرنا بطاعة الله فعصيناه فانزل الله علينا المطر سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام بالصواعق فلما كان ذات يوم نزل علينا ملائكة من ملائكة العذاب ومع كل ملك منهم سوطان سوط من حديد وسوط من نار فما زال المَلَك يقبض روحي من مفصل الى مفصل ومن عرق الى عرق حتى بلغ الروح الحلقوم. قالت الجمجمة : فعند ذلك مد يده ملك الموت فاخرج روحي. فقال لها عيسى عليه السلام : سألتك بالله العظيم ألا ما وصفت لي ملك الموت. فقالت له : روح الله له يد بالمشرق ويد بالمغرب ورأسه في اعلى عليين ورجلاه في تخوم الارضين السابعة السفلى والدنيا بين ركبتيه والخلائق بين عينيه. قالت: يا رسول الله ثم لم تلبث الا ساعة اذ اتاني ملكان اسودان ازرقـان كلاهما كالرعد القاصف واعينها كالبرق الخاطف يقطان في شعورهما ويخزان الارض بانيابهما فقالا لي : من ربك ومن نبيك ومن امامك ؟ ففزعت منهما يا روح الله وقلت لهما : ما لي رب ولا نبي ولا امام سوى الله . فقالا لي : كذبت يا عدو الله وعدو نفسك . وضربوني بمرزبة من حديد ضربة شديدة حسست

٨٧) هكذا في الاصل .

من شدة الضربة عظامي قد تكسرت ولحمي قد تمزق والقوني في قعر جهنم وعذبوني فيها ما شاء الله . فبينما انا كذلك اذا بالحافظَين الكاتبَين اللذين يكتبان اعمال الخلائق في دار الدنيا . فقالا لي : يا عدو الله سر معنا الى منازل اهل الجنة . قالت : فسرت معهما الى اول باب من ابواب الجنة فاذا بالجنة لها ثمانية ابواب بنيانها لبنة ذهب ولبنة فضة ترابها المسك وحشيشها الزعفران وحصاها الدر والياقوت انهارها اللبن والماء والعسل سكانها الجواري الكواعب الاتراب المقصورات في الخيام صنع ذي الجلال والاكرام ففرحت بها يا روح الله فقالا لي : يا عدو الله وعدو نفسه لم تصنع خيرا في دار الدنيا فيكون لك هذا ولكن سر معنا الى منازل اهل النار قالت : فسرت معهما الى اول باب من ابواب النار نصفر فيه الحيات والعقارب . فقلت لهما : لمن هذا العذاب ؟ فقالا لي : لك وللذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً . قالت : ثم سرت معهما الى الباب الثاني فاذا برجال معلقين من لحائهم مثل الكلاب تعلف من بين ايديهم دماً وقيحاً . فقلت لهما : لمن هذا العذاب ؟ فقالا لي : لك وللذين يشربون الخمر في دار الدنيا ويأكلون الحرام . قالت : ثم سرت معهما الى الباب الثالث فاذا برجال تدخل النار من افواههم وتخرج من ادبارهم . فقلت: لمن هذا العذاب ؟ فقالا لي: لك وللذين يرمون المحصنات في دار الدنيا. قالت: ثم سرت معهما الى الباب الرابع فاذا بنساء متعلقات من السنتهن والنار يخرج من افواههن فقلت لهما : لمن هذا العذاب ؟ فقالا لي : لك وللذين هم تاركين الصلاة في دار الدنيا . قالت : ثم سرت معهما الى الباب الخامس فاذا بنساء متعلقات من شعورهم والنار من فوقهن فقلت لهما : لمن هذا العذاب ؟ فقالا لي : لك وللذين يتزينون لغير ازواجهن في دار الدنيا . قالت : ثم سرت معهما الى الباب السابع فاذا برجال وتحتهم بئر يقال له بئر الفلق فأُرميتُ فيه يا روح الله وانا فيه في شدة العذاب ورأيت من الاهوال كثيرًا .

فقال عيسى عليه السلام : استلبني ان شئت باذن الله يا جمجمة . فقالت : يا روح الله ادعُ الله لي ان يردني الى دار الدنيا . فدعا الله لها فاحياها له... سوياً بقدرة الله سبحانه . فمكثت اثنتي عشرة سنة تعبد الله مع عيسى عليه السلام حتى اتاها اليقين وهو الموت وماتت على الايمان وجعلها الله من اهل

الجنة برحمته[٨٨] .

روي عن عيسى عليه السلام انه دخل على نار توقدت على رجل في البرية فاخذ عيسى ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار غلاماً وانقلب الرجل ناراً . فبكى عيسى عليه السلام وقال : يا رب ردهما الى حالهما الاول حتى ارى ما ذنبهما . فانكشفت تلك النار عنهما فاذا هما رجل وغلام فقال الرجل: يا عيسى انا قد كنت في دار الدنيا مبتلى بحب هذا الغلام فحملتني الشهوة الى ان فعلت به ليلة الجمعة ثم فعلت به يوماً آخر فدخل علينا رجل فقال لنا : يا ويلكم اتقوا الله . فقلت له : انا لا اخاف ولا اتقي . فلما مت ومات الغلام صيرنا الله عز وجل الى ما ترى يصير ناراً فيحرقني مرة ومرة اصير ناراً فاحرقه . فهذا عذابنا الى يوم القيامة[٨٩] .

ذكر اهل التاريخ واصحاب السير ان رجلاً من بني اسرائيل اسمه اسحاق في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام كان له ابنة عم من اجمل اهل زمانها وكان مغرماً بها فماتت فلازم قبرها ومكث زماناً لا يفتر عن زيارتها فمر به عيسى يوماً وهو على قبرها يبكي . فقال له عيسى عليه السلام : ما يبكيك يا اسحاق؟ فقال : يا روح الله كانت لي ابنة عم وهي زوجتي وكنت احبها حباً شديداً وانها قد توفيت وهذا قبرها واني لا استطيع الصبر عنها وقد قتلني فراقها. فقال له عيسى : أتحب ان احييها لك باذن الله . قال : نعم يا روح الله فوقف

---

٨٨) مخطوطة مدريد ، تحت عنوان *Junta para ampliacion de Estudios* تحت عدد ٨:٢٧ ، صفحة ١٣٦ ، ذكرها اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ، ١٣: ٤٢٦-٤٢٨ . ان اصل هذه القصة هو مسيحي معروف عند الآباء اليونانيين الذين يعزونه لا الى المسيح بل الى الانبا مكاريوس (راجع الموسوعة اليونانية ٥٥ : ٢٨٠) وعند الآباء السريان الذين يخبرون عن « قصة ارسانيوس ، ملك مصر الذي احياه ربنا ليجعله ناسكاً مسيحياً » راجع ، Duval:*Littérature syriaque,* باريس ١٩٠٧ ، ١١١ . عرف العرب هذه القصة عن طريق الاندلس باحتكاكهم مع المسيحيين .

٨٩) السمرقندي ، قرة العيون ، ٣٧ . انما خطيئة سدوم وعمورة ، جزاء فاعليها النار كما امطرها الله على المدينتين الاثنتين ، حسب نص الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، ١٩ : ٢٤ .

عيسى على القبر وقال : قم يا صاحب القبر باذن الله . فانشق القبر وخرج منه عبد اسود والنار خارجة من مناخره وعينيه ومنافذ وجهه وهو يقول : لا اله الا الله عيسى روح الله وكلمته وعبده ورسوله . فقــال اسحاق : يا روح الله وكلمته ما هذا القبر الذى فيه زوجتي وانما هو هذا ، واشار الى قبر آخر، فقال عيسى للاسود : ارجع الى ما كنت فيه ، فسقط ميتاً ، فواراه في قبره ثم وقف على القبر الآخر وقال : قم يا ساكن هذا القبر باذن الله ، فقامت المرأة وهي تنثر التراب عن وجهها . فقال عيسى : هذه زوجتك ؟ قال : نعم يا روح الله . قال : خذ بيدها وانصرف . فاخذها ومضى .

فادركه النوم ، فقال لها : انه قد قتلني السهر على قبرك واريد ان آخذ لي راحة . قالت : افعل ، فوضع رأسه على فخذها ونام . فبينما هو نائم اذ مر عليها ابن الملك وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة راكباً على جواد حسن . فلما رأته هويته وقامت اليه مسرعة فلما نظرها وقعت في قلبه فأتت اليه وقالت: خذني . فاردفها على جواده وسار .

فاستيقظ زوجها ونظر فلم يرها فقام يطلبها وقص اثر الجواد فادركهما وقال لابن الملك : أعطني زوجتي وابنة عمي . فانكرته وقالت : انا جارية ابن الملك . فقال : بل انت زوجتي وابنة عمي . فقالت : ما اعرفك وما انا الا جارية ابن الملك . فقال له ابن الملك : افتريد ان تفسد جاريتي ؟ فقال: والله انها لزوجتي وان عيسى بن مريم احياها لي باذن الله بعد ان كانت ميتة .

فبينما هم في المنازعة اذ مرّ عيسى صلعم فقال اسحاق : يا روح الله أما هذه زوجتي التي احييتها لي باذن الله ؟ قال : نعم . فقالت : يا روح الله انه يكذب واني جارية ابن الملك . وقال ابن الملك : هذه جاريتي . قال عيسى. ألستِ التي احييتك باذن الله ؟ قالت : لا والله يا روح الله . قال : فردي علينا ما اعطيناك . فسقطت ميتة . فقال عيسى : من اراد ان ينظر الى رجل اماته الله كافراً ثم احياه واماته مسلماً فلينظر الى ذلك الاسود . ومن اراد ان ينظر الى امرأة اماتها الله مؤمنة ثم احياها واماتها كافرة فلينظر الى هذه .

وان اسحاق الاسرائيلي عاهد الله تعالى ان لا يتزوج ابداً وهام على وجهه في البراري باكياً. وفي هذه الحكاية اعظم عبرة لاولي الالباب وهي من اعجب

ما يسمع في التوفيق والخذلان[٩٠] .

قال مالك بن انس : بلغني ان امرأتين أتتا عيسى عليه السلام فقالتا : يا روح الله ادعُ الله لنا ان يخرج لنا ابانا فانه هلك ونحن غائبتان عنه . قال : تعرفان قبره ؟ فقالتا : نعم . فذهب معهما فأتيا قبرًا فقالتا : هذا هو. فدعا الله فأخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فردّ . ثم دلتاه على قبر آخر فدعا ان يخرج فخرج فاذا هو فلزمتاه وسلمتا عليه . ثم قالتا : يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه معنا . فقال : وكيف ادعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف[٩١] .

روي ان عيسى مر ذات يوم عند رجل قائم بين قبرين وهو راكع وساجد فسلم عليه وقال : اراك بين هذين راكعاً وساجدًا فقال له : هما ابواي وكانا علي شفيقين وبي رحيمين فلما ماتا آليت على نفسي ان اعبد الله بين قبريهما حتى اموت . فقال له : كم لك يا هذا على هذه الحالة ؟ قال : ثلاثمائة عام . فقال له هل اتاك من الله تعالى نبأ انه غفر لك او كانت لك اليه حاجة او دعوته في شيء ؟ قال :ما اتاني من الله نبأ وقد كانت بي اليه حاجة دعوته ان يجمعني بعيسى فلا ادري اقبل دعوتي ام لا . فقال له عيسى : أبشر فقد قبل دعوتك انا عيسى . فقال له : يا عيسى بالذي قبل دعوتي ألا ما وضعت فخذًا اضع عليها رأسي ساعة . فوضع له عيسى عليه السلام فخذه فوضع رأسه عليه ورفع بصره الى السماء. فقال : اللهم بحرمة هذا النبي عليك كما قبلت دعوتي وجمعتني بـه فاسألك ان تقبض روحي في حجره. فلم يستكمل آخر دعائه حتى مات ورأسه على فخذ عيسى عليه السلام . فطلب عيسى ما يكفنه فيه فلم يجد له الا عباء خلقة وطوبة يضعها لرأسه اذا اراد ان ينام . فقال عيسى : يا رب اذا جمعت الاولين والآخرين وسألتهم عن مكاسبهم عمّ تسأل هذا العبد ؟ فاوحى الله اليه : يا عيسى وعزتي وجلالي لاسألنّه عن هذه العباء من اين اكتسبها وعن

٩٠) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٢٢–٢٢٣ .

٩١) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٥ ؛ تذكر هذه القصة بما ذكره انجيل يوحنا في الفصل الحادي عشر عن مرتا ومريم الأختين اللتين احيا المسيح اخاهما لعازر بعد ان قادتاه الى قبره .

هذه الطوبة من اي تراب صنعها او من اي حائط اخذها ، اني آليت على نفسي ان جاورني ظالم فانا ظالم ، وعزتي وجلالي لاكلفنّ خالط الماء باللبن ان يفرق بين الماء واللبن .

ثم دعا عيسى : اللهم اعفُ عنا برحمتك وتداركنا باحسانك وجنتك واغفر لنا اجمعين وتوفّنا مسلمين والحقنا بالصالحين والحمد لله رب العالمين[٩٢] .

عن مالك بن دينار قال : كان عيسى بن مريم اذا مرّ بدار قد مات اهلها وقف عليها فنادى : ويح اربابك يتوارثونك كيف لم يعتبروا فعلك باخوانك الماضين[٩٣] .

عن وهب بن منبه[٩٤] قال : مرّ عيسى بن مريم بقرية قد مات اهلها انسها وجنها وهوامها وانعامها وطيورها . فقام صلوات الله عليه ينظر اليها ساعة ثم اقبل على اصحابه فقال : مات هؤلاء بعذاب الله ولو ماتوا بغير ذلك ماتوا متفرقين . قال : ثم ناداهم عيسى : يا اهل القرية ! قال فاجابه مجيب : لبيك يا روح الله . فقال : ما كانت جنايتكم ؟ قال : عبادة الطاغوت[٩٥] وحب الدنيا . قال : وما كانت عبادتكم الطاغوت ؟ قال : الطاعة لاهل معاصي الله . قال : فما كان حبكم للدنيا ؟ قال : كحبي الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنّا مع امل بعيد وادبار عن طاعة الله تعالى واقبال في سخط الله عز وجل . قال : فكيف كان شأنكم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية واصبحنا في هاوية . قال عيسى : وما الهاوية ؟ قال : سجين . قال : وما سجين ؟ قال : جمرة من نار مثل اطباق الدنيا كلها دفنت ارواحنا فيها . قال : فما بال اصحابك لا يتكلمون ؟ قال : لا يستطيعون ان يتكلموا . قال عيسى :

---

٩٢) مخطوطة مدريد في مكتبة الاكاديمية الملوكية للتاريخ ، مجموعة Gayangos تحت عدد ٤٨ : ١ ، صفحة ١٠٦ ؛ ذكرها اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٩٩-٥٩٨ .

٩٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٣٨٦ .

٩٤) ويرويها الغزالي وابو طالب المكي والزبيدي عن عمّار بن سعيد .

٩٥) الطاغوت ، يذكره القرآن في سورة البقرة ، ٢ : ٢٥٦-٢٥٧ ؛ سورة المائدة ، ٥ : ٦٠ ؛ سورة النحل ، ١٦ : ٣٦ ؛ سورة الزمر ، ٣٩ : ١٧ ؛ وهو الوثن وقد اصبح فيما بعد مرادفاً للشيطان .

وكيف ذاك ؟ قال : هم ملجمون بلجام من نار . قال : فكيف كلمتني انت من بينهم ؟ قال : اني قد كنت فيهم ولم اكن على حالهم فلما جاء البلاء عمني معهم وانا معلق بشعرة في الهاوية لا ادري أأكردس في النار ام انجو .

فقال عيسى عليه السلام : بحق اقول لكم لأكل خبز الشعير وشرب الماء القراح والنوم على المزابل مع الكلاب لكثير من عافية الدنيا والآخرة[٩٦] .

قال مالك بن انس : بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجفت انهارها ونشعت شجرها . فنادى : يا خراب اين اهلك ؟ فلم يجبه احد . ثم نادى : يا خراب اين اهلك ؟ فلم يجبه احد . فنودي عيسى ابن مريم : بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلائد في اعناقهم الى يوم القيامة . فبكى عيسى عليه السلام[٩٧] .

روي في الخبر ان عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ بقرية وفي تلك القرية جبل وفي الجبل بكاء وانتحاب كثير . فقال لاهل القرية : ما هذا البكاء وهذا الانتحاب في هذا الجبل ؟ قالوا : يا عيسى منذ سكنا هذا القرية نسمع هذا البكاء وهذا الانتحاب بهذا الجبل . فقال عيسى عليه السلام : يا رب ائذن لهذا الجبل ان يكلمني . فانطق الله الجبل فقال : يا عيسى انا الجبل الذي كانت تنحت مني الاصنام التي يعبدونها دون الله فاخاف ان يلقيني الله تعالى في نار جهنم فاني سمعت الله يقول : واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة[٩٨] . فأوحى الله الى عيسى عليه الصلاة والسلام ان قل للجبل اسكن فاني قد اعذته من جهنم[٩٩] .

قال وهب بن منبه : خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه . فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد امكن من الفرك فقالوا : يا

---

٩٦) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٦١ – ٦٢ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٧ .

٩٧) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٨١ .

٩٨) القرآن ، سورة البقرة ، ٢ : ٢٤ ؛ سورة التحريم ، ٦٦ : ٦ .

٩٩) ابو الليث السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٢١٦ .

نبي الله انا جياع. فأوحى الله اليه ان ائذن لهم في اقواتهم. فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون. فبينا هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول: زرعي وارضي ورثته عن ابائي ! باذن من تأكلون يا هؤلاء ! قال: فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة او ما شاء الله رجل او امرأة كلهم ينادون: زرعي وارضي ورثته عن آبائي ! ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال: معذرة اليك يا رسول الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال. فبكى عيسى عليه السلام وقال: ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنهم وبهم لاحق ليس لك ارض ولا مال[١٠٠].

---

١٠٠) ابو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، ١٣ ؛ لا شك في ان الاصل منحول عن الانجيل: «في ذلك الزمان اجتاز يسوع في السبت بين الزروع فجاع تلاميـذه فجعلوا يقلعون سنبلًا ويأكلون فلما رآهم الفريسيون قالوا له: هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل ان يفعل في السبت ...»، متى ١٢: ١-٨ ؛ مرقس ٢: ٢٣-٢٨ ؛ لوقا ٦: ١-٥ ؛ وزد على ذلك ما ورد في انجيل يوحنا على لسان المسيح وفيه شبه بالمقطع الاخير من النص المذكور: «وفي هذا يصدق ما قيل ان واحدًا يزرع وآخر يحصد. اني ارسلتكم لتحصدوا مـا لم تتعبوا فيه فان آخرين قد تعبوا وانتم دخلتم على تعبهم»، يوحنا ٤: ٣٧-٣٨.

الفَصل الثَامن

رفع المسيح

ان من اروع الايات في القرآن تلك التي تختتم سورة المائدة ، وبها تختتم سورات القرآن جميعها ، حسب الترتيب الزمني الذي اجمع عليه المدققون من المستشرقين . وفي هذه الايات قصة المائـدة التي انزلها الله على الحواريين ، غب دعاء عيسى . هبطت لتكون عيداً للاولين والاخرين ، ولتطمئن في اكلها القلوب .

يكاد يجمع المفسرون على ان هذه المائدة كانت سمكة لها طعم المآكل كلها . ولا بد من الاشارة الى العلاقة التي لا ريب فيها بين نص القرآن وخصوصاً بين شرح المفسرين وبين مائدة القربان الذي شرعه المسيح للنصارى كما جاء في الانجيل وكما قامت بمراسيمه الاجيال المسيحية . وقد كان النصارى الاولون خاصة يرسمون في الدياميس ، زمن الاضطهاد ، صورة سمكة لان حروف هذه الكلمة ، في اليونانية ، هي الحروف الاولى لاسم « يسوع المسيح مخلص العالم . »

وقد اشرنا في الحواشي الى باقي العلاقات التي بامكانها ان تذكر الاسلام بالنصوص المسيحية .

ولكن الامر المهم في هذا الفصل هو مشكلة الصليب الذي يتنكر له عامة المسلمين مستندين الى آية في القرآن طالما تخبط في شرحها الشارحون اذ انها غاية في الصعوبة . يقول القرآن ان الله رفع عيسى اليه ، فما قتله اليهود وما صلبوه يقيناً بل « شُبّه لهم » . قد لا يكون في هذا الكلام رفض الصلب كحدث تاريخي بل اعتراض على ادعاء بني اسرائيل بانهم قتلوا كلمة الله ، عيسى ، بينما كلمة الله هي الظافرة كل حين . وقد اقر فعلاً بعض المفكرين والفلاسفة

المسلمين كاخوان الصفا وفخر الدين الرازي ان المسيح صلب حقاً وان القتل ورد على هيكل ناسوته لا على نفسه التي « تخلصت الى فسحة السموات » .

اما معظم المفسرين التقليديين فلم يعيروا هذه المشكلة اهتماماً كبيراً ، بل حصروا كل همهم في ايجاد « الشِبْه » الذى صلب مكان عيسى ، فزعموا انه برجس او طيطانوس : فهو اما الدليل الذي قاد اليهود الى مكمن عيسى ، واما احد التلاميذ الذي قدم نفسه لافتداء معلمه . وقد يكون لهذا الزعم صلة ببدعة نصرانية كان لها قبيل الاسلام معتنقون كثيرون في نجران ؛ وهي بدعة « الشبهيين » الذين كانوا ينكرون الام المسيح ، وقد ادعى البعض منهم ان سمعان القيرواني كان ذلك الشبه كما ادّعى بعض المفسرين في الاسلام ان المسيح نفسه لم يُصلب ولم يصلب شبهه ، انما أُرجف بقتله فشاع ذلك بين الناس . وعلى كل حال فانه من الغرابات الكبرى ان ينقض حدث الصلب وقد شهد له من عاينه من الاصحاب والاعداء ، نصارى ويهود ، وعلى الاعتقاد به عاشت النصرانية اجيالاً قبل الاسلام . وذاك ما تنبّه اليه فخر الدين الرازي في تفسيره فقال: « ان النصارى على كثرتهم في مشارق الارض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح وغلوّهم في امره اخبروا انهم شاهدوه مقتولاً مصلوباً . فلو انكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر . والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوءة محمد وعيسى وسائر الانبياء . » ويقول ايضاً : « فتح هذا الباب اوله سفسطة وآخره ابطال النبوءات بالكلية » .

مائدة العيد

ومنها[1] نزول المائدة :

قال الله تعالى : اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء . قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين[2] .

واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها .

فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلعم انه قال : نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك انهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه ولا ينفد . قال : فقال لهم : اني فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم تخبئوا او تخونوا فان فعلتم ذلك عُذبتم . قال : فما مضى يومهم حتى خانوا او خبئوا .

وفي بعض الروايات ان بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل ابداً فرُفعت ومُسخوا قردة وخنازير .

وقال ابن عباس : قال عيسى لبني اسرائيل : صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه[3] . فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا : يا عيسى انّا ان عملنا لاحد فقضينا عمله اطعمنا طعاماً وانّا صمنا وجعنا فادعُ الله ان ينزل علينا مائدة من السماء . فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين[4] . فاقبلت الملائكة بمائدة يحملون عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات ووضعتها بين ايديهم فأكل منها آخر الناس كما اكل اولهم[5] .

---

١) اي من معجزات المسيح .

٢) سورة المائدة ٥ : ١١٢ .

٣) في الانجيل : « سلوا تعطوا اطلبوا تجدوا »، متى ٧ : ٧ ؛ « كل ما تسألونه بالصلاة، آمنوا انكم تنالونه فيعطى لكم »، مرقس ١١ : ٢٤ ؛ لوقا ١١ : ٩ .

٤) سورة المائدة ٥ : ١١٤ .

٥) في الانجيل : « فقالوا له : اية آية تصنع لنراها ونؤمن بك ؟ . . اباؤنا اكلوا المن

وروى عطاء بن السائب وغيره: انه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم .

وقال عطية الكوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء .

وقال قتادة : كانت مائدة تنزل من السماء عليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل .

وقال وهب : انزل الله اقرصة من شعير وحيتاناً . فقيل لوهب: ما كان ذلك يغني عنهم من شيء ؟ قال : بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل .

وقال كعب الاحبار: نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم[٦] .

وقال مقاتل والكلبي : استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال : اني منزلها عليكم كما سألتني فمن اكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلًا ولعنة

في البرية كما هو مكتوب : انه اعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق اقول لكم ان موسى لم يعطكم الخبز من السماء لكن ابي هو يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء لان خبز الله هو النازل من السماء والواهب الحياة للعالم . فقالوا له : يا رب اعطنا في كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع: انا خبز الحياة من يقبل الي فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش ابدًا ... فتذمر اليهود عليه لانـه قال انا هو الخبز الذي نزل من السماء ... فاجاب يسوع وقال لهم: لا تتذمروا فيما بينكم ... انا خبز الحياة . اباؤكم اكلوا المن في البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منه . » يوحنا ٦: ٣٠-٥٩ .

٦) وفي الانجيل رؤيا القديس بطرس اذ كان عند سمعان الدباغ في يافا: « صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة فجاع واراد ان يأكل وبينما كان يُهيأ له وقع عليه انجذاب فرأى السماء مفتوحة ووعاء نازلًا كأنه خوان عظيم معقود من اطرافه الاربعة ومدلى على الارض وكان فيه من كل ذوات الاربع ودبابات الارض وطيور السماء . واذا بصوت يقول : قم يا بطرس اذبح وكل . فقال بطرس : حاشى يا رب فاني لم آكل قط نجسًا او دنسًا . فخاطبه الصوت ثانية : ما طهره الله لا تنجسه انت . وحدث هذا ثلاث مرات ثم رفع الوعاء الى السماء . » اعمال الرسل ١٠: ٩-١٦ .

وعبرة لمن بعدهم. قالوا : قد رضينا . فدعا شمعون الصفا وكان افضل الحواريين فقال : هل معك طعام ؟ فقال : معي سمكتان صغيرتان وستة ارغفة . فقال : علي بها . فقطعها عيسى قطعاً صغارًا وقال : اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقاً كل رفقة عشرة . ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيها البركة فصار خبزًا صحاحاً وسمكاً صحاحاً . ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت اصابعه . ثم قال : كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فاكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف . وقال الناس جميعاً : شهدنا انك عبد الله ورسوله .

ثم سألوه مرة اخرى فانزل الله خمسة ارغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى . فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال : ويحكم انما سحر اعينكم . فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنه رجع الى كفره . فمُسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذالك كل ممسوخ[٧] .

---

٧) وفي الانجيل : « فرفع يسوع عينيه فرأى جمعاً كثيرًا مقبلًا اليه فقال لفيليبوس : من اين نبتاع خبزًا ليأكل هؤلاء . وانما قال هذا ليجربه لعلمه بما سيصنع . فاجابه فيليبوس : انه لا يكفيهم خبز بمائتي دينار حتى ينال كل واحد منهم شيئاً يسيرًا . فقال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس اخو سمعان بطرس : ان هنا غلاماً معه خمسة ارغفة من الشعير وسمكتان ولكن ما هذه لهذا العدد من الناس. فقال يسوع : مروا الناس بأن يتكئوا . وكان في الموضع عشب كثير فاتكأ الرجال وكان عددهم نحو خمسة آلاف واخذ يسوع الارغفة وشكر ووزع منها على المتكئين وكذلك من السمكتين على قدر ما شاؤوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه : اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها . فجمعوا فملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر التي فضلت عن الآكلين من خمسة ارغفة الشعير . فلما عاين الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا : في الحقيقة هذا هو النبي الآتي الى العالم . » يوحنا ٦ : ٥–١٤ ؛ لوقا ٩ : ١٢–١٧ ؛ اما انجيل متى ١٤ : ١٣–٢١ ؛ ١٥ : ٣٢–٣٨ ، وانجيل مرقس ٦ : ٣١–٤٤ ؛ ٨ : ١–١٠ ، فيذكران الاعجوبة عينها كما صنعها يسوع مرة اخرى حسب ما ذكر الثعلبي . ولا بد من الاشارة الى ما ورد عن لسان وهب حول ارغفة الشعير والحيتان ، نقلًا عن نص الانجيل .

ويروى عن عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال : والله ما تبع عيسى من المساوئ ولا انتهر يتيماً ولا قهقه ضحكاً ولا ذب ذباباً عن وجهه ولا اخذ على انفه مرتين شيئاً ولا عبث قط . ولما سأله الحواريون ان ينزل عليهم الموائد صنوفاً قال : اللهم ربنا انزل علينا من السماء (الآية) وارزقنا عليها طعاماً نأكل وانت خير الرازقين . فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مُثلة وعقوبة ! وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً اطيب من رائحة ذلك . فقال عيسى لهم : احسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها. فقال شمعون الصفا رأس الحواريين: انت اولى بذلك منا . فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلاناً من الدسم واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد . فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى عليه السلام : ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله . قالوا : يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى ! فقال عيسى : يا سمكة احيي باذن الله، فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها. فقال عيسى : ما لكم تسألون اشياء اذا أعطيتموها كرهتموها . ثم قال : فما أخوفني عليكم ان تُعذبوا، يا سمكة عودي كما كنت باذن الله ! فعادت السمكة مشوية كما كانت . قالوا : يا روح الله : كن اول من يأكل منها ثم نأكل نحن . فقال عيسى : معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها . فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والمرضى واهل البرص والجذام والمبتلين ، وقال : كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء . فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزَمِن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ. ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت

من السماء . ثم طارت المائدة صعدًا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم . فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زَمِن الا صح ولا مبتلى الا عُوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات . وندم الحواريون ومن لم يأكل .

وكانت اذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت اربعين صباحاً[٨] تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدًا وهم ينظرون اليها حتى تغيب عنهم. وكانت تنزل غبًّا تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كناقة ثمود[٩] فأوحى الله تعالى الى عيسى ان اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء . فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكّوا وشككوا الناس فيها فقالوا : أترون المائدة تنزل من السماء حقاً؟ فقال لهم عيسى : هلكتم فشمّروا لعذاب الله . فأوحى الله تعالى الى عيسى: اني شرطت على المعذبين شرطين ان من كفر بعد نزولها عذبته عذاباً لا اعذبه احدًا من العالمين. فقال عيسى عليه السلام : ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم. فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلًا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش . فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين اهلوهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدًا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا[١٠] .

---

٨) لا شك في وجود صلة بين هذا العدد وبين ما ذكر الانجيل عن ان يسوع بعد قيامته اظهر ذاته للمرة الثالثة لتلاميذه على ضفة بحر طبرية فصنع اعجوبة تكثير السمك وتغدّى معهم ، يوحنا ٢١ : ١-١٣ ، وما برح « يتراءى لهم مدة اربعين يوماً . . . » الى ان « ارتفع وهم ناظرون واخذته سحابة عن عيونهم » ؛ اعمال الرسل ١ : ٣ ، ٤ ، ٩ ؛ هذه السحابة تشبه « الغامة » التي يتكلم عنها المحدثون الاسلاميون .

٩) ناقة صالح التي عقرتها ثمود ، بعد ان كان الرسول صالح جعل منها آية اذ « قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين » ، سورة الشعراء ، ٢٦ : ١٥٥-١٥٧ .

١٠) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٧-٣٩٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٤-٢٢٥ .

... وان رأى (صاحب الرؤيا في الحلم) سمكاً كثيرًا وبينها سمكة عظيمة ويرى اكبر السمك قد صُلبت فان الجائر والباغي يهلك والسمك المقلي يدل على اجابة دعوة من رآه لان عيسى عليه الصلاة والسلام دعا فاجيب له بالسمك المقلي في المائدة[1] .

« بل رفعه الله »

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رهطاً من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخوا قردة وخنازير . فبلغ ذلك يهوذا رأس اليهود فخاف فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فساروا اليه ليقتلوه فأدخله جبريل عليه السلام بيتاً ورفعه منه الى السماء ولم يشعروا بذلك فدخل عليهم طيطانوس ليقتله فلم يجده وابطأ عليهم وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج قتلوه وصلبوه .

وقال وهب بن منبّه في خبر طويل رواه عنه ابن المنذر : أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة وعشرون من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم . فلما دخلوا عليهم صيّرهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى عليه السلام فقالوا لهم : سحرتمونا ليبرزنّ لنا عيسى عليه السلام أو لنقتلنكم جميعاً . فقال عيسى لاصحابه : من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة ؟ فقال رجل منهم : انا . فخرج اليهم فقال . انا عيسى. فقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى عليه السلام ، وبه قال قتادة والسدي ومجاهد وابن اسحاق وان اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر احدًا غير وهب ان شبهه عليه السلام أُلقي على جميعهم بل قالوا أُلقي شبهه على واحد ورُفع عيسى عليه السلام من بينهم . ورجّح الطبري قول وهب وقال : انه الاشبه. وقال ابو علي الجبائي : ان رؤساء اليهود اخذوا انساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا احدًا من الدنو منه فتغيرت حليته وقالوا : ان قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذي به عيسى عليه السلام . فلما دخلوه ولم يجدوه خافوا ان يكون ذلك سبباً لايمان اليهود ففعلوا ما فعلوا .

---

(١) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢ : ٣٢ .

وقيل كان رجل من الحواريين ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه وأخذ على ذلك ثلاثين درهماً[١٢] . فدخل بيت عيسى عليه السلام فرُفع عليه السلام وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل غير ذلك . . .

فانه لما وقعت الواقعة اختلف الناس فقال بعضهم : انه كان كاذباً فقتلناه حقاً ، وتردد آخرون فقال بعضهم : ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا ؟ وان كان صاحبنا فأين عيسى؟ وقال بعضهم: الوجه وجه عيسي والبدن بدن صاحبنا. وقال من سمع منه أن الله تعالى يرفعني الى السماء : انه رُفع الى السماء[١٣] .

روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا : قـد جاء الساحر ابن الساحر[١٤] الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال: اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي ، اللهم العن من سبني وسب امي . فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وامه خنازير . فلما رأى ذلك رأس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال : يا معاشر اليهود ان الله يبغضكم . فغضبوا من مقالته غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته[١٥] . فامر رأس اليهود رجلاً من اصحابه يقال له فلطيانوس[١٦] ان

---

١٢) قابل بالانجيل : « حينئذ مضى احد الاثني عشر الذي يقال له يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال لهم : ماذا تريدون ان تعطوني فأسلمه اليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة » ، متى ٢٦ : ١٤–١٥ .

١٣) الالوسي ، روح المعاني ، ٦ : ٩–١١ .

١٤) في الاصل نقلاً عن ابن الاثير والطبري « الساحرة » عوض « الساحر » كما تدل باقي الجملة .

١٥) الروزنة ، وهي فارسية ، بمعنى الخوخة اي نافذة او كوة في الحائط بين بيتين .

١٦) في نص ابن الاثير ، اسم الرجل تطليانوس ، او ، كما في احدى مخطوطات النص عينه A ، اسمه سرخس ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٦ ؛ ذكر الطبري اسم سرجس ،

يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه .

وقال وهب : ان عيسى لما اعلمه الله انه خرج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين فصنع لهم طعاماً فقال: احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا اليه من الليل عشّاهم وقام يخدمهم. فلما فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم ويوضئهم بيده ويمسح ايديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال : ألا من ردّ علي شيئاً الليلة مما اصنع فليس مني ولا انا منه . فاقرّوه حتى اذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي فليكن لكم بي اسوة فانكم ترون أني خيركم ولا يتعظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم ، واما حاجتي التي استعينكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر اجلي . فلما نصبوا انفسهم للدعاء وارادوا ان يجتهدوا اخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء . فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ؟ قالوا: والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرًا وما نريد دعاء. الا حيل بيننا وبينه. فقال: يُذهب بالراعي وتتفرق الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه ، ثم قال : الحق ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني . فخرجوا فتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا : هذا من اصحابه . فجحد وقال : ما انا بصاحبه . فتركوه ثم اخذه آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى[١٧] .

تاريخ الرسل والملوك ١ : ٣ : ٧٣٧ ، كما ذكر السيوطي اسم برجس ، راجع كتابه الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٤٥٨٨ ، صفحة ٢٠٧ شمالًا ، اما عند البيضاوي ، انوار التنزيل واسرار التأويل ، ١ : ١٢١ ، والرازي ، مفاتيح الغيب ، ٢ : ٥٦٥ ، فاسمه طيطانوس .

١٧) ان هذا الكلام صدى لما ذكره الانجيل عن المسيح ليلة نزاعه في بستان الزيتون : « وطفق يحزن ويكتئب حينئذ قال لهم ان نفسي حزينة حتى الموت فامكثوا ههنا واسهروا معي . ثم تباعد قليلًا وخر على وجهه يصلي قائلًا : يا ابت ان كان يستطاع

فلما اصبح اتى احد الحواريين الى اليهود فقال : ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهماً فاخذها ودلهم عليــه ، وكان شُبّه لهم قبل ذلك ، فاخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل فجعلوا يقودونه ويقولون : انت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى اتوا به الخشبة التي أرادوا ان يصلبوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم ، فمكث سبعاً . ثم ان امه والمرأة التي كان عيسى يداويها فابراها الله من الجنون جاءتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى صلعم فقال : على من تبكيان ؟ فقالتا : عليك . فقال : اني قد رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير ، وان هذا شخص شبه لهم .

وقال مقاتل : ان اليهود وكلوا بعيسى رجلًا يكون عليه رقيباً يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب . فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم : اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه .

قال قتادة : ذُكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه : ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول . فقال رجل من القوم : انا يا نبي الله . فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه .

وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمّى أشيوع بن قنديرا[١٨] والله اعلم[١٩] .

قال وهب وغيره من اهل الكتاب : لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة ايام ثم قال الله له : ان اعداءك اعجلوك عن العهد الى اصحابك

فلتعبر عني هذه الكأس . لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك .» متى ٢٦ : ٣٧-٣٩ ؛ راجع الانجيل حيث تجد مصدر هذا النص الذي يقرب جدًا من اصوله المسيحية .

١٨) عند الطبري هو يشوع بن فنديرا او كما في احدى مخطوطات تاريخه C هو فيدر ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٤١ ؛ اما ابن الاثير فهو يذكر يشوع فقط ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٦ .

١٩) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٠-٤٠١ .

فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانــه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها . فأنزل عليها واخبرها انها اول من تلحق بك[٢٠] وامرها ان تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى[٢١] .

ثم ان امه والمرأة التي كان عيسى يداويهـا فأبراها الله من الجنون جاءتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى صلعم فقال : على ما تبكيان ؟ فقالتا : عليك . فقال اني قد رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم فأمرا الحواريين ان يلقوني الى مكان كذا وكذا. فلقوه الى ذلك المكان احد عشر ونقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود . فسأل عنه اصحابه فقالوا : انه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه . فقال : لو تاب الله عليه ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى فقال : هو معكم فانطلقوا به فانه سيصبح كل انسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم[٢٢] .

(عن وهب بن منبه اليماني) قال: توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات[٢٣] من النهار حتى رفعه الله اليه .

(عن ابن اسحاق) والنصارى يزعمون انه توفاه الله سبع ساعات[٢٤] من النهار ثم احياه الله فقال له : اهبط على مريم المجدلانية في جبلها فانه لم يبك

---

٢٠) « واخبرها انها اول من تلحق بك » هي زيادة من الثعلبي لا توجد في النصوص القديمة كالطبري مثلاً ، ولربما هي تذكار لحديث النبي لابنة فاطمة : « ان اول اهلي لحاقاً بي انت » ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١١٤٠ وايضاً ابن حنبل ومسلم الخ . . .

٢١) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٠-٤٠٢ ؛ قابل بالطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣٥-٧٣٦ ؛ وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٦-٢٢٧ .

٢٢) ان في هذا صدى بعيد لحلول الروح القدس على رسل المسيح وبدء انطلاقهم رسلاً ودعاة : « فامتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغـات اخرى كما آتاهم الروح ان ينطقوا . . . فلما كان ذلك الصوت اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته . . . » اعمال الرسل ، ٢ : ١-١١ .

٢٣) وفي الانجيل : « ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الارض كلها الى الساعة التاسعة » ، متى ٢٧ : ٤٥-٥٠ ؛ مرقس ١٥ : ٣٣-٣٧ ؛ لوقا ٢٣ : ٤٤-٤٦ .

٢٤) لا اثر لهذا الزعم عند النصارى .

عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله فانك لم تكن فعلت ذلك . فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورًا . فجمعت له الحواريين فبثهم وامرهم ان يبلغوا الناس عنه ما امره الله به[٢٥]. ثم رفعه الله اليه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش فكان انسياً ملكياً سمائياً ارضياً . .

وتفرق الحواريون حيث امرهم فتلك الليلة التي اهبط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى[٢٦] .

لما اجتمعت اليهود على قتل عيسى عليه السلام اهبط الله تعالى جبريل عليه السلام مكتوباً في باطن جناحه : اللهم اني اعوذ باسمك الاوحد الاعز وادعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الاركان كلها ان تكشف عني ضر ما امسيت واصبحت فيه . فقال ذلك عيسى ، فاوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام ان ارفع عبدي الي[٢٧] .

عجباً لعيسى كيف مات وطالما قد كان ينشرنا من الاجداث
ما ذاك الا كونه متبرياً مما رمته به يد الاحداث[٢٨]

---

٢٥) وفي الانجيل : « اما مريم (المجدلية) فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي وفيما هي تبكي انحنت الى القبر فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين حيث وضع جسد يسوع احدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين . . . فقال لها يسوع : لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي بل امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا . فلما كانت عشية ذلك اليوم . . . جاء يسوع ووقف في وسطهم وقال لهم ثانية السلام لكم كما ارسلني الاب كذلك انا ارسلكم . . . » ، يوحنا ٢٠ : ١١—٢٣ ؛ متى ٢٧ : ٦١ ؛ ٢٨ ؛ مرقس ١٦ : ١ ؛ لوقا ٢٤ .

٢٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١ : ٣ : ٧٣٦ — ٧٣٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٧ — ٢٢٨ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٣ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٠٤ .

٢٧) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٩ .

٢٨) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ٤٩٠ .

انما خص[٢٩] الحكمة النبوية بالكلمة العيسوية وان كانت جميع هذه الحكم نبوية ، لان نبوته فطرية غالبة على حاله وقد أنبأ عن الله في بطن امه بقوله لا تحزني وقد جعل ربك تحتك سرياً[٣٠] ، وفي المهد بقوله : اتاني الكتاب وجعلني نبياً[٣١] ، الى وقت بعثه وهو الاربعون سنة لقوله (محمد) عليه السلام : ما بُعث نبي الا بعد الاربعين[٣٢] ؛ وقيل انها ليست مهموزة عن النبأ بل ناقصة من نبأ ينبؤ نبوءا يعني ارتفع لارتفاع مقامه من ابناء البشرية ولقوله تعالى : بل رفعه الله اليه[٣٣] .

(محمد يقول لابنته فاطمة) كان يُعرض علي القرآن كل عام مرة وانه عرض علي العام مرتين وانه قد خيل الي ان اجلي قد حضر وان اول اهلي لحاقاً بي انتِ ، وانه لم يبعث نبي الا بعث الذي بعده بنصف من عمره ، وبُعث عيسى لاربعين وبعثت لعشرين[٣٤] .

اخبرني جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله واخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهباً على رأس الستين[٣٥] .

---

٢٩) الكلام عن ابن العربي في شرح كتابه « فصوص الحكم » .

٣٠) سورة مريم ، ١٩ : ٢٤ .

٣١) سورة مريم ، ١٩ : ٢٩-٣٠ .

٣٢) هذا الحديث مشهور بين الجمهور ، كذّبه البعض واقرّه آخرون : يقول الزمخشري في الكشاف : « لم يبعث نبي الا على رأس اربعين ، اما ما يذكر عن المسيح انه رفع ابن ثلاث او اربع وثلاثين فهو قول شاذ حكاه وهب عن النصارى وعليه جرى غير واحد من المفسرين . » يقول الثعلبي في قصص الانبياء ان عيسى دعي في الثلاثين ، ويقول البغوي وابن الجوزي انه مكث ثلاث سنوات في الرسالة ثم رفع . والحلبي يقول ان هذا الحديث موضوع لان عيسى نبيء ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين قضى منها ثلاثاً في الرسالة . بل قيل نبيء وهو طفل ، ويبرهن على ان بلوغ الاربعين ، من الكمال ، ليست شرطاً للنبوة استناداً الى سيرة يحيى اذ استنبأه الله وهو ابن سنتين . ولم يجمع الامر .

٣٣) الجامي ، نقد النصوص في شرح نصوص الحكم ، ٩٥ .

٣٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١١٤٠ .

٣٥) الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ٣٠١ الترمذي، نوادر الاصول ، ٦٨ وغيره — وهذا

(عن ابن عباس) قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم الف سنة وتسعمائة سنة ولم يكن بينهما فترة وانـه أرسل بينهما الف نبي من بني اسرائيل سوى من أرسل غيرهم . وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة بعث في اولها ثلاثة انبياء وهو قولـه اذا ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززناهما بثالث والذي عزز به شمعون[٣٦] وكان من الحواريين. وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً اربعمائة واربعا وثلاثين سنة وان عيسى حين رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة اشهر وكانت نبوته ثلاثين شهراً وان الله رفعه بجسده وانه حيّ الآن[٣٧] .

وقد مات في جبل طور زيتا سبعون الف نبي قتلهم الجوع والقري والقمل وهو مشرف على المسجد ، وفيما بينهما وادي جهنم ومنه رُفع عيسى بن مريم عليه السلام[٣٨] .

(عن ابو العاليه) : ما ترك عيسى ابن مريم عليهما السلام حين رُفع الا مدرعة صوف وخفّيّ راع وقذافة يقذف بها الطير[٣٩] .

... رفع ليلة القدر[٤٠] وهو ابن ثلاث وثلاثين . وماتت امه بعد رفعه بست سنين[٤١] .

الحديث ايضاً مختلف فيه ، ضعّفه الحافظ الهيتمي مثلاً ، وقال العماد بن كثير انـه غريب جداً ، وانه حقاً لغريب ، ولكن لم يجد العلماء سبيلاً للتخلص منه رغم غرابته. وفي الواقع ان رسالة المسيح دامت سنتين وبضعة اشهر واما سنوه على الارض فمجهولة العد تماماً الا انه من المرجح ان تكون بين الرابع والثامن والثلاثين . هذا ما اكتشفه العلم الحديث ، وفي الماضي ان المسيح اكتملت له ثلاث وثلاثون ، وعن هذا التقليد القديم الشائع حتى يومنا عند معظم النصارى ، اخذ المؤرخون والمفسرون القدامى .

٣٦) راجع ص ١١٤ وما يليها .

٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١:٣:٤ ١٠٧٠ .

٣٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ : ٥٥٨ .

٣٩) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٢٢١ .

٤٠) ليلة القدر هي التي نزل فيها القرآن على محمد حسب معتقد المسلمين .

٤١) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٠٤ .

الا أبلغْ احبـائي باني ركبت البحر وانكسر السفينهْ
على دين الصليب يكون موتي فلا البطحا اريد ولا المدينهْ[٤٢].

قال وهب: لما اراد الله تعالى ان يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفا والآخر يحيي ان يلتزما امه ولا يفارقاها. فانطلقا ومعها مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام. فلما أتوه امر بشمعون واندراوس فقُتلا وصُلبا منكسين وهربت مريم ويحيي حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها. واقبل ماروت ملك الروم واصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً فردوا التراب على حاله وعلموا انه امر من الله تعالى. فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله اعلم[٤٣].

وقد اجتمعت الملائكة لما رفع عيسى، تعد وخرق مرقعته[٤٤] ثلاثمائة خرقة

---

٤٢) الحلاج، ذكره ماسينيون، مجموعة نصوص، ٥٨.

٤٣) الثعلبي، عرائس المجالس، ٤٠٣؛ في هذا النص اشارات عديدة تدل على ان الاصل مرجعه الكتب المسيحية، فقد ذكر الانجيل ان المسيح على الصليب سلم امه مريم الى تلميذه الحبيب يوحنا قائلًا له: « هذه امك » بعد ان قال لامه مشيرًا الى التلميذ: « هوذا ابنك »، يوحنا ١٩: ٢٦–٢٧؛ ويذكر التقليد المسيحي ايضًا ان سمعان قد صلب منكسًا لانه اعتبر ذاته غير اهل لان يصلب كمعلمه المسيح. اما قصة هرب مريم ويوحنا فقد تكون مأخوذة عن ذهاب يوحنا مع مريم الى اسيا الصغرى بعد موت المسيح، ولكن الاصح هو انها مأخوذة عما تذكره الاناجيل الموضوعة عن يوحنا المعمدان وقد هربت به امه اليصابات خوفًا من الطاغية هيردوس وقد دعت فانفتح لها الجبل وغابت فيه مع ابنها، راجع انجيل يعقوب المزعوم، ٢٢: ٣؛ انجيل طفولية سيدنا بنصه الارمني، ١٤: ١–٢.

٤٤) المرقعة نسيج من صوف كان الصوفيون في الاسلام يلبسونهـا تشبهاً بالرهبان النصارى زاعمين ان المسيح الفقير الاكبر كان اول من لبسها وتشبه به الرهبان فيها وقد قال طاهر بن الحسين ذامًا:

« ليس التصرف ان يلاقيك الفتى وعليه من نسج المسيح مرقع »

راجع ماسينيون، مجموعة نصوص، ١١٩.

فقالوا : يا ربنا ما تساوي عيسى قميصاً صحيحاً ؟ قال : لا ، الدنيا ما سويت ان تكون له . ففتشوا جبته فوجدوا ابرة فقال : وعزتي لولا الابرة لرفعته الى حظيرة قدسي وما ارتضيت له السماء الرابعة[٤٥] ، انما حُجب بابرة[٤٦] .

« صلب ومات وقبر وقام »

زعموا[٤٧] ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته واكثر الحكماء يختارون ما يقرب من هذا القول . قالوا : لانـه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إما جسم شريف منساب في هذا البدن وإما جوهر روحاني في ذاته مدبر لهذا البدن، فالقتل انما ورد على هذا الهيكل، واما النفس التي هي في الحقيقة عيسى فالقتل ما ورد عليه . لا يقـال فكل انسان كذلك فما الوجه في هذا التخصيص ، لانّا نقول ان نفسه كانت قدسية عاوية شديدة الاشراق بالانوار الالهيـة عظيمة القرب من ارواح الملائكة ، والنفس لما كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ، ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص الى فسحة السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هناك. ومعلوم ان هذه الاحوال غير حاصلة لكل انسان بل هي غير واصلة من مبدأ خلقة آدم الى قيام القيامة الا لاشخاص قليلين .

---

٤٥) ان المسيح يسكن حتى نزوله في آخر الزمان السماء الثانية ، حسب التقليد المتفق عليه عند المسلمين ، انظر في ادناه صفحة ٢٤٤ .

٤٦) ابن الجوزي ، كتاب القصاص والمذكرين ، مخطوطة ليدن ، مجموعـة Codex Warn. ، صفحة ١١٩–١٢٠ ، تكرم علي بنسختها الاستاذ لويس ماسينيون . وفي هذا النص تذكار بعيد لما يرويه الانجيل عن ان الجنود الصالبين اقترعوا على قميص المسيح عند صلبه .

٤٧) والكلام عن النسطورية وهي فرقـة مسيحية متحدرة من نسطور بطريرك القسطنطينية الذي حرمه اجماع الكنيسة في افسوس سنة ٤٣١ لزعمه الباطل بان في المسيح اقنومين، واحد الهي حل على المسيح الانسان– وكان ذلك تبريرًا لنكرانه عقيدة ام الله ، اي ام المسيح الذي هو اله وانسان معاً في اقنوم واحد .

فهذه هي الفائدة في تخصيص عيسى بهذه الحالة[٤٨] .

وكان من سنّة المسيح التنقل كل يوم من قرية الى قرية من قرى فلسطين ومن مدينة الى مدينة من ديار بني اسرائيل يداوي الناس ويعظهم ويذكرهم ويدعوهم الى ملكوت السماء ويرغبهم فيها ويزهدهم في الدنيا ويبين لهم غرورها وامانيها وهو مطلوب من ملك بني اسرائيل وغوغائهم. وبينا هو في محفل من الناس حتى هجم عليــه ليؤخذ فتجنب من بين الناس[٤٩] فلا يُقدر عليه ولا يُعرف له خبر حتى سُمع بخبره من قرية اخرى فيُطلب هناك وذلك دأبه ودأبهم ثلثين شهرًا .

فلما اراد الله تعالى ان يتوفاه ويرفعه اليه اجتمع معــه حواريوه في بيت المقدس في غرفة واحدة من اصحابه وقال : اني ذاهب الى ابي وابيكم وانا اوصيكم بوصية قبل مفارقة لاهوتي وآخذ عليكم عهدًا وميثاقــاً ، فمن قبل وصيتي واوفى بعهدي كان معي غدًا ، ومن لم يقبل وصيتي فلست منه في شيء ولا هو مني في شيء . فقالوا له: ما هي ؟ قال : اذهبوا الى ملوك الاطراف وبلغوهم مني ما القيت اليكم وادعوهم الى ما دعوتكم اليه ولا تخافوهم ولا تهابوهم فاني اذا فارقت ناسوتي فاني واقف في الهواء عن يمنة عرش ابي وابيكم وانا معكم حيثما ذهبتم ومؤيدكم بالنصر والتأييد باذن ابي ، اذهبوا اليهم[٥٠]

٤٨) فخر الدين الرازي ، ٢ : ٥٦٦ ؛ قابل بنص اليعقوبي الذي يورد قصة الام المسيح وموته وقيامته نقلًا عن انجيل يوحنا ، وهو الفريد بين مؤرخي الاسلام ، وكان اقدمهم ، من عرف الانجيل عن كثب ، انظر في ادناه صفحة ٢٣٥ وما بعدها.

٤٩) في الانجيل: « وكان رؤساء الكهنة والكتبة يلتمسون كيف يقتلون يسوع. . . وكان الرؤساء والفريسيون قد امروا بانه ان علم احد اين هو فليدلهم عليه ليمسكوه. . . اما هو فجاز مـا بينهم ومضى . . . فاخذوا حجارة ليرجموه فتوارى يسوع وخرج من الهيكل . » ، لوقا ٣ : ٢٨–٣٠ ؛ ٢٢ : ٢ ؛ يوحنا ٨ : ٥٩ ؛ ١١ : ٥٦ .

٥٠) وفي الانجيل: « قال لها يسوع : مريم. . .امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . . من ليس معي فهو علي . . . وهذي هي وصيتي ان يحب بعضكم بعضاً كما انا احببتكم. . . اذهبوا وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم بــه وها انا معكم جميع الايام الى منتهى الدهر . » يوحنا ٢٠ : ١٦–١٧ ؛ متى ٢٨ : ١٩–٢٠ .

وادعوهم بالرفق وداووهم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم تقتلوا وتصلبوا او تنفوا من الارض . فقالوا : ما تصديق ما تأمرنا به ؟ قال : انا اول من يفعل ذلك . وخرج من الغد وظهر للناس وجعل يدعوهم ويذكّرهم ويعظهم حتى أخذ وحُمل الى ملك بني اسرائيل فامر بصلبه فصُلب ناسوته وسُمرت يداه على خشبتي الصليب وبقي مصلوباً من ضحوة النهار الى العصر وطلب الماء فسُقي الخل وطُعن بالحربة ثم دُفن مكان الخشبة ووكل بالقبر اربعين نفراً وهذا كله بحضرة اصحابه وحواريه .

فلما رأوا ذلك منه ايقنوا وعلموا انه لم يأمرهم بشيء يخالفهم فيه ثم اجتمعوا بعد ذلك بثلثة ايام في الموضع الذي وعدهم انه يترايا لهم فيه فرأوا تلك العلامات التي كانت بينه وبينهم .

وفشا الخبر في بني اسرائيل ان المسيح لم يُقتل فنُبش القبر فلم يوجد الناسوت . فاختلف الاحزاب فيما بينهم وكثر القيل والقال وقصته تطول .

ثم ان اولئك الحواريين الذين قبلوا وصيته تفرقوا في البلاد وذهب كل واحد منهم حيث وُجد . فواحد ذهب الى بلاد المغرب وآخر الى بلاد الحبشة واثنان الى بلاد روميه واثنان الى ملك انطاكيه وواحد الى بلاد الفرس وواحد الى بلاد الهند واثنان قاما في ديار بني اسرائيل يدعون الى رأي المسيح حتى قُتل اكثرهم. وظهرت دعوة المسيح شرق الارض وغربها بافعال الحواريين[١٥] .

كان اليوم يوم جمعة .

لكنه لم يكن كغيره من الايام .

كان يوم ضلّ فيه الناس ضلالًا بعيدًا وأوغلوا في الضلال حتى بلغوا غاية الاثم وطغى عليهم الشر حتى عموا عن الحق وهو اوضح من فلق الصبح . وكانوا مع ذلك اهل دين وعلم واخلاق وكانوا احرص الناس على اتباع الهوى، واحبهم

---

(١٥) اخوان الصفاء ، رسائل ، ٤: ٩٦–٩٧ ؛ ان ما ورد في هذا المقطع يوافق احيانًا كثيرة نص الاناجيل فيما يتعلق بصلب المسيح واسقائه الخل وطعنه بالحربة ودفنه في القبر ووجود القبر فارغًا من جسده وقيامته وظهوره لاصحابه ، راجع الفصول الاخيرة من الاناجيل .

للخير، واعمقهم تفكيراً واقدرهم على تعقب دقائق الامور. وكانوا اكثر الناس حباً لقومهم، وحدباً على وطنهم، واخلاصاً لدينهم. وكانت بهم حمية وشجاعة واخلاص، فلم ينجهم تفقههم في الدين من الضلال، ولم يعصمهم عقلهم من الخطأ، ولم يهدهم اخلاصهم الى الخير. وكانوا اهل شورى فأضلّتهم الشورى. وكان حكامهم الرومان اهل نظام فخذلهم النظام. وتألبت على اهل اورشليم في ذلك اليوم كل عوامل الغي، وهم عنها غافلون، فترددوا فيه، وغابت عنهم كل عوامل الرشاد، فتخبطوا تخبطاً شديداً، كأنهم لم يكن لهم دين ولا عقل.

في ذلك اليوم اجمع بنو اسرائيل رأيهم ان يطلبوا الى الرومان ليقضوا على دعوته. وما كانت دعوة المسيح الا ان يحتكم الناس الى ضميرهم في كل ما يعملون وما يفكرون. فلما عزموا ان يصلبوه لم يكن عزمهم الا ان يقتلوا الضمير الانساني ويطفئوا نوره، هم يحسبون ان عقلهم ودينهم يأمران بما يعلو اوامر الضمير، ولم يفطنوا الى ان الناس حين يفقدون الضمير لا يغنيهم عنه شيء، فالضمير الانساني قبس من نور الله، لا يكون للناس هدى بغيره، وكل فضيلة تنقلب نقصاً، وكل خير يصبح شرّاً، وكل عقل يصير خبالًا، ما لم يكن للناس من ضميرهم هاد، مثلهم في ذلك مثل المدينة المظلمة اذا طلع عليها القمر كانت معالمها ومبانيها هداية لاهلها، تريهم اي طريق يسلكون، اما اذا أظلمت عليهم حقاً فان هذه المعالم الجميلة والمباني الرائعة تصبح كلها عقبات وعثرات يصطدمون بها فتؤذيهم وتضلهم. كذلك الناس في حياتهم، ان يشرق عليهم الضمير تكن فضائلهم رشداً، وان يُظلم عليهم يكن كل ما فيهم من عقل وخير عليهم وبالًا.

في ذلك اليوم اراد الناس ان يقتلوا ضميرهم. وفي هذا الذي ارادوه تتمثل نكبة الانسانية الكبرى. وفي احداث ذلك اليوم تبيان لكل ما يدفع الناس الى الاثم، فلم يحدث في العالم شر الا كان اصله ما يريـد الناس من قتل ضميرهم واطفاء نوره والتماس الهدى من غير سبيله. ولن يصيب الناس شر الا ومرجعه ما يعتريهم من رغبة في تجاهل اوامر الضمير. وليست احداث ذلك اليوم من انباء القرون الاولى بل هي نكبات تتجدد كل يوم في حياة كل فرد. فالناس ابداً معاصرون لذلك اليوم المشهود، وهم ابداً معرّضون لما وقع

فيه اهل اورشليم حينذاك من اثم وضلال ، وسيظلون هكذا حتى يجمعوا امرهم ان لا يتخطوا حدود الضمير[٥٢] .

... فهذا قول الاربعة التلاميذ اصحاب الاناجيل في نسبة المسيح . ثم وصفوا بعد ذلك ما كان من اخباره وانه ابرى المرضى والبرص واقام المقعد وفتح عيون العميان وانه كان له صاحب يقال له العازار في قرية تدعى بيت عنيا في ناحية بيت المقدس وانه مات فصُيّر في مغارة فاقام اربعة ايام. ثم جاء المسيح الى تلك القرية فخرجت اختان للعازر فقالتا له : يا سيدنا ان خليلك العازر قد مات . فحزن المسيح عليه وقال : أين قبره ؟ فأتوا به الى المغارة وعليها حجر فقال : نحّوا الحجر . فقالوا : قد نتن منذ اربعة ايام . فدنا من المغارة فقال: رب لك الحمد اني اعلم انك تعطي كل شيء ، ولكني اقول من اجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا ويصدقوا انك انت ارسلتني . ثم قال للعازر : قم ! فقام يجرّ حمارًا عليه ويداه ورجلاه مشدودتان . وقد كان معهم قوم من اليهود فآمنوا به واقبلوا ينظرون الى العازر ويتعجبون منه . فاجتمع عظماء اليهود واحبارهم فقالوا : انّا نخاف ان يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس . فقال لهم قيافاً رئيس الكهنة : لان يموت رجل واحد خير من ان يذهب الشعب بأسره ، فاجمعوا على قتله . ودخل المسيح الى اورشليم على حمار وتلقاه اصحابه بقلوب النخل وكان يهوذا بن شمعان من اصحاب المسيح فقال المسيح لاصحابه : ان بعضكم يسلمني ممّن يأكل ويشرب معي ، يعني يهوذا بن شمعان. ثم جعل يوصي اصحابه ويقول لهم : قد بلغت الساعة التي يتحول ابن البشر الى ابيه وانا اذهب الى حيث لا يمكنكم ان تجيئوا معي فاحفظوا وصيتي . فسيأتيكم الفارقليط يكون معكم نبياً فاذا اتاكم الفارقليط بروح الحق والصدق فهو الذي يشهد علي وانا كلمتكم بهذا كيما تذكروه اذا اتى حينه فاني قد قلته لكم فاما انا فاني ذاهب الى من ارسلني فاذا ما اتى روح الحق يهديكم الى الحق كله وينبئكم بالامور البعيدة ويمدحني وعن قليل لا تروني . ثم رفع المسيح عينيه الى السماء وقال : حضرت الساعة اني قد مجدتك في الارض والعمل الذي امرتني

---

٥٢) محمد كامل حسين ، قرية ظالمة ، ١–٣ .

ان اعمله فقد تممته . ثم قال : اللهم ان كان لا بد لي من شرب هذا الكأس فهونها علي وليس كما اريد يكون ولكن كما تريد يا رب . ثم مضى المسيح مع تلاميذه الى المكان الذي يجتمع هو واصحابه فيه وكان يهوذا احد الحواريين يعرف ذلك الموضع فلما رأى الشرط يطلبون المسيح ساقهم والذين معهم من رسل الكهنة حتى وقف بهم على الموضع فخرج اليهم المسيح فقال لهم : من تريدون ؟ فقالوا أيسوع الناصري . فقال لهم يسوع : انا هو . ثم عادوا فقال لهم المسيح : انا أيسوع الناصري فان كنتم تريدوني فانطلقوا بي لتتم الكلمة .

وكان مع شمعان الصفا سيف فاخترطه ثم ضرب عبد سيد الكهنة فقطع يده اليمنى[٥٣] . فقال المسيح : يا شمعان رد السيف الى غمده فاني لا امتنع من شرب الكأس التي اعطاني ربي . فأخذوا[٥٤] الشرط المسيح واوثقوه وجاءوا به الى قيافا رئيس اليهود الذي كان اشار بقتله وكان شمعان الصفا يمشي خلفه فدخل مع الاعوان فقيل له : انت من تلاميذ هذا الناصري . قال : لا . ولما أدخل المسيح على رئيس اليهود جعل يكلمه والمسيح يجيبه بما لا يفهمه . فضربه بعض الشرط على فكيه ثم اخرجوا المسيح من عند قيافا الى فرطورين[٥٥] فقال له : انت ملك اليهود ؟ فقال له المسيح : أمن نفسك قلت هذا ام اخبرك آخرون عني ؟ وجعل يكلمه ويقول : ان ملكي ليس (من) هذا العالم ثم ان الشرط اخذوا اكليلاً من ارجوان وضعوه على رأسه وجعلوا يضربونه ثم اخرجوه وعليه ذلك الاكليل فقال له رؤساء الكهنة : أصلبه . فقال لهم فيلاطوس : خذوه انتم فاصلبوه فاما انا فلم اجد عليه علة فقالوا قد وجب عليه الصلب والقتل من اجل انه قال انه ابن الله . ثم اخرجه فقال لهم : خذوه انتم فاصلبوه ، فاخذوا المسيح واخرجوه وحملوه الخشبة التي صلبوه عليها .

---

٥٣) والاصح « اذنه اليمنى » ، راجع انجيل يوحنا ، ١٨ : ١٠

٥٤) هكذا وردت في طبعة هوتسما .

٥٥) « فرطورين » كلمة مأخوذة عن اليونانية او اللاتينيـة ، وهي في الاصل « بريطوريون » ومعناها « دار الولاية » ، وكان بيلاطس البنطي هو الوالي . فهي ليست اذاً اسم انسان ؛ راجع الانجيل ، متى ٢٧ : ٢٧ ؛ مرقس ١٥ : ١٦ ؛ يوحنا ١٩ : ٩ .

هذا في انجيل يوحنا . فاما متى ومرقس ولوقا فيقولون وضعوا الخشبة على عنق رجل قرناني[٥٦] وصاروا بـه الى موضع يدعى الجمجمة ويسمى بالعبرانية بجلخاله[٥٧] وهو الموضع الذي فيه صُلب . وصُلب معه اثنان آخران واحد من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب وكتب فيلاطوس في لوح : هذا أيسوع الناصري ملك اليهود . فقال له رؤساء الكهنة : اكتب : الذي قال انـه ملك اليهود . فقال لهم : ما كتبت قد كتبت . ثم ان الشرط اقتسموا ثياب المسيح . وكانت امه مريم ومريم بنت قلوفا ومريم المجدلانية قياماً ينظرن اليه فكلّم امه من فوق الخشبة . وجعل اولئك الشرط يأخذون اسفنجة فيها خل يقربونها الى انفه فيتكرهها ثم اسلم روحه . فجاؤوا الى ذينك المصلوبين معه وكسروا سوقهما واخذ واحد من الشرط حربة فطعنه في جنبه فخرج دم وماء. ثم كلّم فيه احد التلاميذ لفيلاطوس حتى انزله واخذ حنوطاً من مرّ وصبر ولفه في ثياب كتان وطيب ، فكان في ذلك الموضع جنان وفيه قبر جديد فوضعوا المسيح فيه وكان ذلك يوم الجمعة .

فلما كان يوم الاحد فيما يقول النصارى بكّرت مريم المجدلانية الى القبر فلم تجده فجاءت شمعان الصفا واصحابه فاخبرتهم انه ليس في القبر فمضوا فلم يجدوه. وجاءت مريم ثانية الى القبر فرأت في القبر رجلين عليهما ثياب بياض فقالا لها : لا تبكي . ثم التفتت خلفها فرأت المسيح وكلّمها وقال لها : لا تدنين الي لاني لم اصعد الى ابي ولكن انطلقي الى اخوتي وقولي لهم : اني اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم .

وانه لما كان عشية الاحد جاءهم وقال لهم : السلام معكم. كما ارسلني ابي كذلك ارسلكم ، وان غفرتم ذنوب احد فهي مغفورة . فقالوا : هـذا الذي يكلمنا روح وخيال . قال لهم : انظروا الى آثار المسامير باصبعي والى

---

٥٦) هو سمعان القيرواني ، كما ورد اسمه في الانجيل .

٥٧) او اجاخاله في مخطوطات تاريخ اليعقوبي ، وقد تكون خطأ من الناسخ . اما الصواب فهو كما ورد في الانجيل : « وانوا به الى موضع الجلجلة الذي تفسيره موضع الجمجمة » مرقس ١٥ : ٢٢ ؛ متى ٢٧ : ٢٣ ؛ لوقا ٢٣ : ٣٣ .

جانبي الايمن . ثم قال لهم : طوبى للذين لم يروني وصدقوا بي . وجاؤه بقطعة سمك فأكل وقال لهم : ان انتم صدقتم بي وفعلتم فعلي يحق ألا تضعوا ايديكم على مريض الا برئ ولا يضره الموت ثم ارتفع عنهم وكان لـه ثلث وثلثون سنة[٥٨] .

٥٨) اليعقوبي ؛ تاريخ ، ١ : ٨٣–٨٦ . في هذا النص يوجز اليعقوبي الفصول الاخيرة الواردة في الاناجيل الاربعة ، ويكاد نصّه يكون بكليته نقلاً حرفياً عن الاصل .

الفصل التاسع

نزول المسيح في آخر الزمان

رفع الله عيسى اليه فاسكنه السماء الثانية وحكّمه فيها ، فهو صحبة الملائكة حتى الاجل الذي قطعه الله سراً على البشر لا يعلمونه. ومتى ازفت الساعة ، ساعة نهاية الزمن ، سينزله على الارض ، على ذروة جبل افيق في اورشليم ، على المنارة البيضاء ، شرقي دمشق .

وان للساعة اشراطاً اجمع المسلمون على انها عشرة . وقد ذكر القرآن بعضاً منها مثل الدخان وخروج الدابة وانهيار السد الحافظ اسوار الكون وهجوم يأجوج وماجوج ...

وفي الحديث نكبات اخرى موعودة هي من تلك الاشراط . وان اشدها خروج الدجال ، عدو الله الكافر الذي سوف يفسد الدين ويطغي الناس ولطالما تكلم عنه التقليد الاسرائيلي والمسيحي منذراً به الناس في انتهاء الزمان .

والنكبة الكبرى الثانية هي زحف يأجوج وماجوج ، وهم غزاة طاغون عُرفوا في التاريخ في الجيل السابع قبل المسيح فذكرهم حزقيال النبي في نبوءته (الفصل ٢٨ و٢٩ : ٩ــ٢٠) ورمز بهم الى اعداء الله الذين سوف يغزون ارض المقدس فيسلط الله عليهم الطيور الكواسر والوحوش الضواري . وقد ذكرهم ايضاً القديس يوحنا في رؤياه (٢٠ : ٧) .

واذ ينزل عيسى تكون الارض قد ملئت جوراً فيملأها عدلاً، ويقيم شرع التوحيد ويحكم بسنة الاسلام . وسيكون ، حسب ابن العربي ، خاتم الولاية العامة والقداسة المطلقة .

وقد تنازع المسلمون في امر عيسى عند نزوله ، فساد الاعتقاد

عند الشيعة بان الموعود به لاحلال العدل النهائي هو المهدي ، سليل اهل البيت من ولد فاطمة . وهم مجمعون على الاعتقاد برجعة هذا الامام الغائب ، وان اختلفوا على اسمه . وقد شاركهم في ذلك بعض المتأخرين من المتصوفة كابن العربي وابن قسيّ وابن سبعين وابن ابي واصل فتوغلوا في تعيين الوقت والمكان لرجعة الامـام المعصوم مستندين الى الجَفْر والى « ادلة واهية ... واشياء تخييلية واحكام نجومية » (ابن خلدون) .

اما عند السنّة فلم يذكر الشيخان البخاري ومسلم شيئاً عن المهدي المنتظر . ولكن كتب الحديث التي جمعها الترمذي وابو داود وابن ماجه وغيرهم فقد روت احاديث المهدي . ورُوي ايضاً الحديث المشهور عن طريق الحسن البصرى والشافعي والذي يشتمّ منه رائحة الجدل العباسي ضـد الفاطميين : « لا مهدي الا عيسى » ، فحاول البعض تأويله بمعنى انه لم يتكلم في المهد الا عيسى .

وقد عرض ابن خلدون هذه الاحاديث المختلفة فاظهر ضعفها . وعلى كل حال فالثابت عند اهل السنة ان المسيح سينزل في آخر الزمان فيقتل الدجال او يساعده المهدي على قتله . وقد اختلط على مرّ الزمن دور الاثنين في إقامة العدل واحكام الملة ومراسم حقوقهـا . ومهما يكن من امر فان عيسى سينزل قبيل انتهاء العالم ، عِلْماً لساعة الحساب الاخير .

« انه لعلم للساعة »

روي عن الشعبي قال : لقي جبريل عيسى عليهما الصلاة والسلام . فقال له عيسى : متى الساعة ؟ فانتفض جبريل في اجنحته وقال : ما المسؤول عنها باعلم من السائل ثقلت في السماوات والارض لا تأتيكم الا بغتة[١] .

(عن ابن مسعود) : لما كان ليلة أسرى برسول الله صلعم لقي ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدأوا بابراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم . ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم . فرُدَّ الحديث الى عيسى بن مريم فقال : قد عُهد الي فيما دون وجبتها ، فاما وجبتها فلا يعلمها الا الله، فذكر خروج الدجال قال : فانزل فاقتله فيرجع الناس الى بلادهم فيستقبلهم ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فلا يمرون بماء الا شربوه ولا بشيء الا افسدوه ، فيجأرون الى الله فادعو الله ان يميتهم فتنتن الارض من ريحهم فيجأرون الى الله فادعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم في البحر، ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم، فعهد الي متى كان ذلك كانت الساعة كالحامل[٢] التي لا يدري اهلها متى تفجأهم بولادتها[٣] .

ثم عرج به البراق[٤] وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الاولى

١) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٦٣ .

٢) صورة الحامل التي يفاجئها المخاض بغتة هي تقليدية في الكتاب المقدس وهي ترمز في العهد القديم الى حلول العالم المنتظر ، مع المسيح المتألم ، وترمز ، في العهد الجديد ، الى حلول العالم الاخير المنتظر ، مع مجيء المسيح الثاني ، في آخر الدهر ؛ راجع اشعيا ، ٢٦ : ١٧-١٨؛ ٦٦ : ٧-١٤ ؛ ميخا ، ٤ : ٩-١٠ ؛ يوحنا ١٦ : ٢١-٢٢ ؛ وفي انجيل متى ، في كلام المسيح عن حلول الساعة وانتهاء العالم : « ستقوم امة على امة ومملكة على مملكة ونكون اوبئة ومجاعات وزلازل في اماكن شتى . وهذا كله اول المخاض . . . الويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام . . » ، ٢٤ : ٧-٨ ، ١٩ .

٣) ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٦٨-٢٦٩ .

٤) هو الجواد المجنح الذي يعتقد المسلمون ان محمدًا اعتلاه ليلة المعراج ، فاسرى من المسجد الحطيم (مكة) الى المسجد الاقصى (اورشليم) ومن هناك الى السماوات السبع حيث التقى ، في كل واحدة منها ، بنبي : آدم في الاولى وابراهيم في السابعة .

والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الاولى وقال وقيل له (من معك ؟ قال : محمد صلعم ، قال : وقد بُعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح) . فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه بها وحكّمه فيها وهو شيخنا الاول الذي رجعنا على يديه وله بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة وارجو ان ادركه في نزوله ان شاء الله(٥) فرحب به وسهّل ، وجبريل في هذا كله يسمي له ما يرى من الاشخاص(٦) .

وسلك الرجلان . . . الطريق ، الواحد بحكم النظر ، والثاني بحكم التقليد ، واخذا في الرياضة ، وهو تهذيب الاخلاق ، والمجاهدة ، وهي المشاق البدنية من الجوع والعبادات العملية البدنية كالقيام الطويل في الصلاة والدؤوب عليها والصيام والحج والجهاد والسياحة، هذا بنظره وهذا بما شرع له استاذه . . .

---

٥) لم يشأ الله ان يحقق رجاء ابن العربي فمات الشيخ محيي الدين ولم يدرك عيسى في نزوله .

٦) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٣٨٠ . يكاد يجمع التقليد على ان عيسى هو في السماء الثانية ينتظر ان يبعثه الله على الارض ثانية . وقد يكون معه يحيى ابن خالته ، كما يقول البعض، الترمذي، نوادر الاصول ، ٤٠٩ ؛ او ان ليحيى تردد بين الثانية والخامسة ، اي بين عيسى وهرون كما يقول ابن العربي ؛ وهذه درجاتهم نُزُلًا : « ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم اجمعين . اما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون . » الفتوحات المكية ، ١ : ١٧٢ . وفي ذكر المعراج يقول ابن الاثير : « ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : نعم . قيل : حياه الله مرحباً به ونعم المجيء . جاء ففتح لنا فدخلنا فاذا بشابين فقلت : يا جبرائيل من هذان ؟ فقال : هذان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا » ، الكامل في التاريخ ، ٢ : ٣٨ ؛ قابل بالطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١١٥٨ ؛ كذلك النسائي، سنن ، ١ : ٧٧؛ والهندي، منتخب كنز العمال، ٦ : ٧٨-٧٩ ؛ اما الشيخ البخاري وهو اقدم من هؤلاء عهدًا، وارفعهم قدرًا فلا يقرر في آية سماء يوجد عيسى ، الجامع الصحيح ، (طبعة كرهل) ١ : ٩٩-١٠٠ ؛ ٣ : ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ؛ ولعل مستقر عيسى في السماء الثانية هو لجعله قريباً من آدم ، اذ ان « مثل عيسى عند الله كمثل آدم » ، سورة آل عمران ، ٣ : ٩٥ .

فلما فرغا من حكم أسر الطبيعة العنصرية وما بقي واحد منهما يأخذ من حكم الطبيعة العنصري الا الضروري الذي يُحفظ به وجود هذا الجسم الذي بوجوده واعتداله وبقائه يحصل لهذه النفس الجزئية مطلوبها من العلم بالله الذي استخلفها خاصة ، فاذا خرجا من حكم الشهوات الطبيعية وفُتح لهما باب السماء الدنيا[٧] تلقى المقلد آدم عليه السلام . . . ويلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر . . .

فاذا قرعا السماء الثانية وفتحت لهما صعد التابع عند عيسى عليه السلام وعنده يحيي ابن خالته ونزل صاحب النظر عند الكاتب . فلما انزله الكاتب عنده واكرم مثواه اعتذر اليه وقال له : لا تستبطئني فاني في خدمة عيسى ويحيي عليهما السلام وقد نزل بهما صاحبك فلا بد لي من الوقوف عندهما حتى ارى ما يأمراني به في حق نزيلهما فاذا فرغت من شأنه رجعت اليك. فيزيد صاحب النظر غمًّا على غمه وندامة حيث لم يسلك مسلك صاحبه ولا ذهب مذهبه .

فاقام التابع عند ابني الخالة ما شاء الله فأوقفاه على صحة رسالة المعلم رسول الله صلعم بدلالة اعجاز القرآن فانها حصرت الخطابة والاوزان وحسن موقع الكلام وامتزاج الامور وظهور المعنى الواحد في الصور الكثيرة . ويحصل له الفرقان في مرتبة خرق العوائد. ومن هذه الحضرة يعلم علم السيمياء الموقوفة على العمل بالحروف والاسماء لا على البخورات والدما وغيرهما . ويعرف شرف الكلمات وجوامع الكلِم وحقيقة « كن »[٨] واختصاصها بكلمة الامر لا بكلمة الماضي ولا المستقبل ولا الحال ، وظهور الحرفين في هذه الكلمة مع كونها مركبة من ثلاثة ، ولماذا حذفت الكلمة الثالثة المتوسطة البرزخية . . .

ويعلم سر التكوين في هذه السما ، وكون عيسى يحيي الموتى وانشاء صورة الطير ونفخه في صورته وتكوين الطائر طائرًا ، هل هو باذن الله او بتصوير عيسى خلق الطير ونفخه فيه هو باذن الله ، وبأي فعل من الافعال اللفظية يتعلق قوله « باذني » او « باذن الله » ، هل العامل فيه يكون « يكون » او

---

٧) « الدنيا » اي الاولى صعدا من الارض حيث يقطن آدم .

٨) راجع اعلاه صفحة ٩٧ .

« تنفخ »[9]. فعند اهل الله العامل فيه « يكون » وعند مثبتي الاسباب واصحاب الاحوال العامل فيه « تنفخ » . فيحصل لمن دخل هذه السماء واجتمع بعيسى ويحيي علم ذلك . ولا يحصل ذلك لصاحب النظر واعني حصول ذوق عيسى روح الله . ويحيي له الحياة ، فكما ان الروح والحياة لا يفترقان كذلك هذان النبيان عيسى ويحيي لا يفترقان لما يحملانه من هذا السر ، فان لعيسى من علم الكيمياء الطريقين : الانشاء . وهو خلقه الطير من الطين والنفخ فظهر عنه الصورة باليدين والطيران بالنفخ الذي هو النفس . فهذه طريقة الانشاء في علم الكيمياء الذي قدمناه في اول هذا الباب. والطريق الثانية ازالة العلل الطارئة وهي في عيسى ابراء الاكمه والابرص وهي العلل التي طرأت عليهما في الرحم الذي هو من وظيفة التكوين ومن هنا يحصل لهذا التابع علم المقدار والميزان الطبيعي والروحاني لجمع عيسى بين الامرين .

ومن هذه السماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية التي يحيي بها القلوب[10] .

وزعم الزهري عن سعيد بن المسيَّب ان رسول الله صلعم وصف لاصحابه ابراهيم وموسى وعيسى حين رآهم تلك الليلة[11] فقال : أما ابراهيم فلم أرَ رجلًا اشبه بصاحبكم[12] ولا صاحبكم اشبه به منه. واما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة . واما عيسى بن مريم فرجل احمر بين

---

٩) « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني » سورة المائدة ، ٥ : ١١٠ ؛ انظر سورة آل عمران ، ٣ : ٤٩ .

١٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢ : ٣٠٣-٣٠٤ .

١١) اي ليلة المعراج .

١٢) اي محمد ويقول ناعته انه « لم يكن قبله ولا بعده مثله » ابن هشام ، السيرة ، ٢٦٦ ، ووصف شمائل النبي في الاسلام باب واسع لم يتورع الوصاف الكثيرون عن دخوله حاملين اسمى ما يمكن من الصفات الخلقية والخلقية ، فاصبح النبي «انسان عين الوجود» و«الانسان الكامل» حاويًا صفات الله نفسه ونعوته، انظر الحلبي، انسان العيون، وقد جمع كل ما قاله سابقوه وكل ما يمكن ان يقال من فضائل في مخلوق .

القصير والطويل سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي[١٣] .

ثم اصعدني[١٤] الى السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا[١٥] .

(عن مسلم) : لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات اولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وخروج عيسى ، وخروج ياجوج وماجوج . ويكون آخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن لا تدع خلفها احدًا الا تسوقه الى المحشر ...

قال القرطبي : فقد جاءت الآيات مرتّبة وغير مرتّبة فالله اعلم بما يقع والحمد لله رب العالمين[١٦] .

(عن ابن هريرة) : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق او بدابق. فيخرج جيش من المدينة من خيار اهل الارض يومئذ . فاذا تصافّوا قالت الروم : خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين اخواننا . فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ابدًا ، ويُقتل ثلثهم افضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث لا يفتنون ابدًا فيفتتحون قسطنطينية[١٧] . فبينما هم يقتسمون الغنائم علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان : ان المسيح قد خلفكم في اهليكم . فيخرجون وذلك

---

١٣) ابن هشام ، السيرة ، ٢٦٦ .

١٤) جبريل .

١٥) ابن هشام ، السيرة ، ٢٧٠ ، وهو اقدم مؤلفي الاسلام ، وفيه ذكر للترتيب التقليدي عن درجات الانبياء ، كما ورد اعلاه ، صفحة ٢٤٤ ، حاشية ٦ .

١٦) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٧١ ؛ قابل مسلم ، الصحيح ، ٢: ٣٦٧–٣٦٨ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح ، ٨: ٩٥ .

١٧) تتابعت هجمات المسلمين على القسطنطينية وتتابع الفشل عند اسوارها حتى اصبح فتحها آية لقيام الساعة والحساب الاخير ودخل ذلك في الحديث الذي اسندوه الى النبي .

١٨) اي بيد عيسى .

باطل . فاذا جاؤوا الشام خرج . فبينما هم يعدّون للقتال يسوّون الصفوف ، اذ اقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم صلعم فأمّهم . فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته[١٩] .

انكم ستقاتلون بني الاصفر[٢٠] ويقاتلهم الذين من بعدكم حتى تخرج اليهم روقة[٢١] الاسلام اهل الحجاز الذين لا يخافون في الله لومة لائم . فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها حتى يقتسموا بالاترسة . ويأتي آت فيقول : ان المسيح[٢٢] قد خرج في بلادكم . ألا وهي كذبة فالآخذ نادم والتارك نادم .

(عن نافع) : فحفظت منه[٢٣] اربع كلمات اعدهن في يدي قال : تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله[٢٤] .

لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا صغار الاعين ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر[٢٥] .

(عن انس بن مالك) : ان من اشراط الساعة أن يُرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد[٢٦] .

---

١٩) مسلم ، الصحيح ، ٢: ٣٦٥-٣٦٦ ؛ الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦: ٩-١٠ ؛ ابن ماجه ، السنن ٢: ٢٧٠ ؛ الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٥٤ .

٢٠) اي الروم .

٢١) اي خيار الاسلام ومراتهم .

٢٢) اي المسيح الدجال .

٢٣) اي من محمد .

٢٤) مسلم ، الصحيح ٢: ٣٦٦ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢: ٢٧٠ .

٢٥) هؤلاء القوم هم الترك ، ابن ماجه ، السنن ، ٢: ٢٧١ ؛ الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٥٤ .

٢٦) مسلم ، الصحيح ، ٢: ٣٦٤ ؛ البخاري ؛ الجامع الصحيح ، (طبعة كرهل) ٤: ٣٨٣ ؛ الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦: ١٠ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢: ٢٥٨ .

(عن ابي هريره): يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب[٢٧]. يقول الله : أبي يفترون أم علي يجترئون ؟ فبي حلفت لابعثنّ على اولئك منهم فتنة تجعل الحليم حيران .

(عن حديفه) : يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا اله الا الله ، فنحن نقولها[٢٨] .

لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الله عز وجل : ما لك ؟ فيقول : منك خرجت واليك اعود ، أتلى فلا يُعمل بي[٢٩] .

(بعد غزوة مؤتة حيث قتل زيد وجعفر وابن رواحه) فبكى اصحاب رسول الله صلعم وهم حوله فقال : ما يبكيكم ؟ فقالوا : وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا واشرافنا واهل الفضل منا ؟ قال: لا تبكوا ، فانما مثَل امتي مثَل حديقة قام عليها صاحبها فاجتثّ رواكبها وهيّأ مسالكها وحلق سعفها فاطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ولعل آخرها طعماً يكون اجودها قنواناً واطولها شمراخاً، والذى بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في امتي خلقاً من حواريه.

وفي رواية اخرى : ليدركنّ المسيح في هذه الامة اقوام انهم لمثلكم او خير منكم ، ثلاث مرات[٣٠] ، ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح آخرها[٣١].

---

٢٧) وفي الانجيل : « يقوم كثير من الانبياء الكذبة يضلون كثيرين... يأتونكم بثياب الحملان وهم في الداخل ذئاب خاطفة » ، متى ٢٤ : ١١ ؛ ٧ : ١٥ .

٢٨) الهندي، منتخب كنز العمال، ٦ : ١١ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٥٩ ؛ الشعراني، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٧٠ .

٢٩) الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ١٥ .

٣٠) اي اعادها ثلاث مرات .

٣١) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٥٦ .

(عن ابي هريره ومثله عن انس بن مالك) : بدا الاسلام غريباً وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء ؟ قال (محمد) : النُزّاع[٣٢] من القبائل[٣٣] .

قال رسول الله صلعم : احب شيء الى الله تعالى الغرباء . قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الفرّارون بدينهم يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى بن مريم عليهما السلام[٣٤] .

المسيح والدجال

أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما انت راء من آدم الرجال له لمّة كأحسن ما انت راء من اللمم قد رجّلها فهي تقطر ماء متكئاً على رجلين او على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت : من هذا ؟ فقيل : المسيح بن مريم .

واذا انا برجل جعد قَطَط[٣٥] اعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة فسألت : من هذا ؟ فقيل : المسيح الدجال . . .

بينما انا نائم اطوف بالكعبة فاذا رجل ادم سبط الشعر ينطف او يهراق رأسه ماء قلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم .

---

٣٢) « النزاع ، جمع نزيع ونازع ، الغريب الذي انزع عن اهله وعشيرته ، اي الذين يخرجون عن الاوطان لاقامة سنن الاسلام — وعند بعض السلف انهم اهل الحديث والله اعلم .» وفي اعلاه : « سيعود غريباً بقلة من يقوم به ولو كان اهله كثيراً ؛ الغرباء القائمين بامره ، اي ان نصرة الاسلام والقيام بامره يصير محتاجاً الى التغرب عن الاوطان والصبر على مشاق الغربة كما كان في اول الامر » ؛ السندي ، في حاشيته على هامش سنن ابن ماجه ، ٢٤٨:٢–٢٤٩ ؛ وعندي ان الغربة الاولى الهجرة الى المدينة ، والغربة الاخرى هي الهجرة الى بيت المقدس الى لقاء المسيح وقت نزوله .

٣٣) ابن ماجه ، سنن ، ٢٤٨:٢–٢٤٩ ؛ الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٧٩ ؛ الحلبي ، انسان العيون ، ٧٧:٢ .

٣٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢٥:١ .

٣٥) اي شديد جعودة الشعر .

ثم ذهبت التفت فاذا رجل جسيم احمر جعد الرأس اعور العين كأن عينه عنبة طافئة ، قالوا : هذا الدجال ، اقرب الناس شبهاً به ابن قطن رجل من خزاعة(٣٦) .

لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم اعظم من فتنة الدجال . وان الله لم يبعث نبيًّا الا حذّر امته الدجال وانا آخر الانبياء وانتم آخر الامم وهو خارج فيكم لا محالة . وان يخرج وانا بين ظهرانيكم فانا حجيج لكل مسلم ، وان يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم . وانه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالًا يا عباد الله اثبتوا فاني ساصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي : انه يبدأ فيقول : انا نبي ، ولا نبي بعدي ، ثم يثني فيقول : انا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا . وانه اعور وان ربكم ليس باعور . وانه مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب او غير كاتب(٣٧) .

ان الدجال ممسوح العين اليسرى عليها ظفرة مكتوب بين عينيه كافر(٣٨) .

وروى الطبراني ان رسول الله صلعم ذكروا عنده الدجال فقال رسول الله صلعم : ان قبل خروجه ثلاثة اعوام تمسك السماء في العام الاول ثلث قطرها والارض ثلث نباتها ، والعام الثاني تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها ، والعام الثالث تمسك السماء قطرها ، يعني كله ، والارض نباتها ، يعني كله ، حتى لا يبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف الا مات . وذكر الحديث (يتبع الدجال من امتي سبعون الفاً عليهم الطيالسة الخضر) . واخرجه ابو داود الطيالسي وابن ماجه ايضاً . وفي رواية : وفي العام الثالث يمسك الله القطر وجميع النبات فلا ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الارض خضرة ولا نباتاً حتى

---

٣٦) البخاري ، الجامع الصحيح ، ٧ : ٥٤ ؛ ٨ : ٩٦ ؛ مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ؛ الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٣٧ .

٣٧) ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٦٦ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ١ : ١٩٥ ؛ ٢ : ١٣٥ ؛ ٣ : ٧٩ : ١٠٣ الخ . . . كما عند سائر المحدثين .

٣٨) الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٤٣ الخ . . . كما عند سائر المحدثين .

تكون الارض كالنحاس والسماء كالزجاج فيبقى الناس يموتون جوعاً وجهداً وتكثر الفتن والهرج ويقتل الناس بعضهم بعضاً ويخرج الناس بانفسهم ويستولي البلاء على اهل الارض. فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية اصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حماراً ابتر يشبه البغل ما بين اذني حماره اربعون ذراعاً. ومن صفة الدجال انه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم اجعد قطَط اعور العين اليمنى كأنها لم تُخلق وعينه الاخرى ممزوجة بالدم وبين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن بالله عز وجل. فاذا خرج يصيح ثلاث صيحات يسمع اهل المشرق والمغرب[٣٩].

غير الدجال اخوفني عليكم، ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. انه شاب قطَط عينه عنبة طافئة كأني أشبه بعبد العزّى بن قطن، فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[٤٠]. انه خارج خلة[٤١] بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الارض؟ قال: اربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال. لا، اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله وما اسراعه في الارض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذراً[٤٢] واسبغه ضروعاً وامده خواصر. ثم يأتي القوم فيدعوهم

---

٣٩) الشعراني، مختصر تذكرة الامام القرطبي، ١٧٣–١٧٤؛ ويزيد في الوصف قائلاً انه سيكون ملاكان مع الدجال، يشبهان نبيين من الانبياء، وفي ذلك صدى لما ورد في اعتقاد النصارى واليهود من ان نبيين، هما اخنوخ والياس، سيثبتان للدجال في آخر الزمان ولكنه يقتلهما، ثم يظهر عليه ميخائيل وجبرائيل.

٤٠) هي السابعة عشر، كانت تقرأ منذ وقت محمد في الجامع للمياذ من الدجال، ولا يزال المسلمون يقرأونها كل يوم جمعة في صلاة الجامع.

٤١) طريق بين مكانين.

٤٢) سنام البعير وكل سارحة.

فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب[٤٣] النحل . ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك . فبينا هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ . فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفَسه الا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه . فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله[٤٤] .

وانه لا يبقى شيء في الارض الا وطئه وظهر عليه الا مكة والمدينة لا يأتيها في نقب من انقابها الا لقيته الملائكة بالسيوف صلته حتى ينزل عند الظريب الاحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه فتنقي الخبث منها كما ينقي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص . قيل : فاين العرب يومئذ ؟ قال : هم يومئذ قليل وجلّهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح . فبينا إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح ، اذ نزل عيسى بن مريم الصبح ، فرجع ذلك الامام ينكص القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصلّ فانها لك أقيمت . فيصلي بهم إمامهم فاذا انصرف قال عيسى : افتحوا الباب . فيفتحوه ووراءه الدجال معه سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلّى وساج . فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً ويقول عيسى :

---

٤٣) اليعسوب ذكر النحل او كبيره ؛ وفي ادناه « مهرودتين » اي « حلّتين مزعفرتين صفراوين » .

٤٤) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٣٧٦ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٦٤ – ٢٦٥ ؛ الهندي ، منتخب كنز الاقوال ، ٦ : ٣٨ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ١ : ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ ، ٢٧٦ ؛ ٣ : ١٦٦ ، ٣٢٧ ؛ ٤٢٠ ؛ ٣ : ٧٩ ، ١٠٣ ، ٢٠٦ الخ . . . ٤ : ١٨٢ ، ٢١٦ ، ٣٩٠ ؛ ٥ : ١٣ ؛ ٦ : ٣٧٣–٣٧٤ ، ٤١٢–٤١٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ؛ ابو داود الطيالسي ، المسند ، عدد ١٢٢٧ ، ٢٥٠٤ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ٣٢٦ – ٣٢٧ ؛ الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ٢٥٩ الخ . . .

ان لي فيك ضربة لن تسبقني . فيدركه عند باب لدّ الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودي الا انطق الله تعالى ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة الا الفرقدة فانها من شجرهم لا تنطق ، إلّا قال : يا عبد الله ، يا مسلم ، هذا يهودي فتعالَ اقتله . وان ايامه اربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر ايامه كالشررة يصبح احدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي . قيل : يا رسول الله كيف نصلي في الايام القصار ؟ قال : تقدرون في هذه الايام الطوال ، ثم صلوا فيكون عيسى بن مريم في امتي حكَماً عدلًا وإماماً مقسطاً يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا تسعى على شاة ولا بعير . وتُرفع الشحناء والتباغض وتُنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتفر الاسد فلا يضرها . ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتُملأ الارض من السلم كما تملأ الاناء من الماء . وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبد الا الله . وتضع الحرب اوزارها وتُسلب قريش ملكها وتكون الارض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات . قالوا : يا رسول الله وما يرخص الفرس ؟ قال : لا تُركب لحرب ابدًا . قيل له : فما يغلي الثور ؟ قال : تحرث الارض كلها . وان قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الاولى ان تحبس ثلث مطرها، ويأمر الارض فتحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الارض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله السماء في الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الارض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء . فلا تبقى ذات ظلف الا هلكت الا ما شاء الله . قيل : فما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟ قال : التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام[٤٥] .

---

٤٥) ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٦٦ — ٢٦٧ ؛ الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٤٠ — ٤١ .

يخرج الدجال في امتي فيمكث اربعين لا ادري اربعين يوماً او اربعين شهرًا او اربعين عاماً . فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه . ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة . ثم يرسل الله ريحاً طيبة باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه . قال : سمعتها من رسول الله صلعم قال : فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمر ؟ فيأمرهم بعبادة الاوثان . وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسنٌ عيشهم ، ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتاً ورفع ليتاً . قال : واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله ، او قال ، يُنزل الله مطرًا كأنه الطل او الظل نعمان الشاك فتنبت منه اجساد الناس . ثم ينفخ فيه نفخة اخرى فاذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا ايها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤولون . قال ثم يُقال : أخرجوا بعث النار . فيقال : مِن كم ؟ فيقال : من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق[٤٦] .

عن ابي هريرة عن محمد انه قال : والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً عدلًا فيكسرنّ الصليب ويقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد .

والذي نفسي بيده ليوشكنّ ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وحتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها .

ليهبطنّ عيسى بن مريم حكماً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجًا ، حاجًا او معتمرًا ، وليأتين قبري حتى يسلّم علي ولأردن عليه .

خير هذه الامة اولها وآخرها : اولها فيهم رسول الله صلعم ، وآخرها فيهم

---

٤٦) الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٢ : ٣٧٨-٣٧٩ .

عيسى بن مريم ، وبين ذلك نهج اعوج ليس منك ولست منهم .

ليدركنّ الدجالَ قوم مثلكم او خير منكم ولن يخزي الله امّة انا اولها وعيسى بن مريم آخرها[٤٧] .

لم يُسلّط على الدجال الا عيسى بن مريم .

لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم : تعال صلِّ لنا ، فيقول : لا ، بعضكم على بعض امير تكرمةَ الله تعالى لهذه الامة .

عصابتان من امتي احرزهما الله تعالى من النار: عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم .

طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للارض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت وحتى يمر الرجل على الاسد فلا يضره ويطؤ على الحية فلا تضره ولا تشاحّ ولا تحاسد ولا تباغض .

ليس بيني وبين عيسى نبي . وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصّرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل . فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون .

ينزل عيسى بن مريم على ثمانمائة رجل واربعمائة امرأة اخيار من على الارض واصلحاء من مضى .

ينزل عيسى بن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لستّ ساعات من النهار في ثوبين ممشوقين كأنما ينحدر من رأسه اللؤلؤ .

اني لارجو ان طال بي عمر أن القى عيسى بن مريم فان عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرأه مني السلام ...

---

٤٧) هذا الحديث والذي قبله ورد عن عروة بن مريم مرسلًا والاحاديث التي تلي هي عن ابي هريرة وكان مكثارًا .

يهبط عيسى بن مريم فيصلي الصلوات ويجمع الجمع ويزيد في الحلال كأني به تجدّ به رواحله ببطن الروحاء حاجًا او معتمرًا .

(عن ابن عباس قال) : لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم على ذروة افيق[٤٨] بيده حربة يقتل الدجال .

عن ابن عباس قال : الدجال اول من يتبعه سبعون الفًا من اليهود عليهم التيجان وهي الاكسية من صوف اخضر يعني به الطيالسة ومعه سحرة اليهود يعملون العجائب ويرونها الناس فيضلونهم بها . وهو اعور ممسوح العين اليمنى يسلطه الله تعالى رجل من هذه الامة فيقتله ثم يضربه فيحييه ثم لا يصل الى قتله ولا يُسلَّط على غيره . وتكون آية خروجه تركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهاون بالدماء وضيّعوا الحكم وأكلو الربا وشيّدوا البناء وشربوا الخمور واتخذوا القيان ولبسوا الحرير واظهروا بزّة آل فرعون ونقضوا العهد وتفقهوا لغير الدين وزينوا المساجد وخربوا القلوب وقطعوا الارحام وكثرت القرّاء وقلّت الفقهاء وعُطّلت الحدود وتشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال فتكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، بعث الله عليهم الدجال فسُلط عليهم حتى يُنتقم منه وينحاز المؤمنون الى بيت المقدس . قال ابن عباس : قال رسول الله صلعم : فعند ذلك ينزل اخي عيسى بن مريم من السماء على جبل افيق إماماً هادياً وحكماً عادلًا عليه برنس له مربوع الخلق أصلت سبط الشعر بيده حربة يقتل الدجال . فاذا قتل الدجال تضع الحرب اوزارها وكان السلم فيلقى الرجل الاسد فلا يهيجه ويأخذ الحية فلا تضره وتنبت الارض كنباتها على عهد آدم ويؤمن به اهل الارض ويكون الناس اهل ملة واحدة .

عن ابن مسعود قال : ان المسيح بن مريم خارج قبل يوم القيامة وليستغنَ

---

٤٨) افيق مدينة يذكرها الكتاب المقدس مرات عديدة وقد حدثت بالقرب منها مواقع كثيرة بين شاول والفلسطينيين ، ثم بين اخاب والاراميين ، راجع سفر الملوك الاول ، ٢٠ ، ٢٩ ؛ سفر الملوك الثالث ، ٢٠ ؛ والرابع ، ١٣ ؛ ولكن موقعها غير معروف تمامًا ، وقد تكون على الارجح شرقي بحيرة طبرية ، على طريق دمشق ، في فلسطين ، حيث كانت منذ زمن غير بعيد قرية صغيرة لا تزال تدعى باسم « فيق » او « افيق » .

به الناس عن سواه[٤٩] .

فينزل عيسى الروح وفي يده حربة الفتوح فيقتله هناك لان عيسى هو روح الله المالك واذا جاء الحق زهق الباطل وانقطع حكم الملاحم والمداجل[٥٠] .

(عن محمد) ... يدرك الدجال عند باب لد فيموت ثم يعمد الى عصابة من المسلمين عصمهم الله بالاسلام وينزل الكفار ينتفون لحاهم وجلودهم . فيقول النصارى: هذا الدجال الذي أنذرناه وهذه الآخرة . ومَن مسّ ابن مريم كان من ارفع الناس قدرًا ويعظم مسّه ويمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنه . فبينما هم فرحون بما هم فيه خرجت ياجوج وماجوج ...[٥١] .

وفي حديث ابي داود[٥٢] : لو لم يبق في الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلًا من امتي او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي .

ليصيبنّ هذه الامة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم . فيبعث الله تعالى رجلًا من عترتي اهل بيتي يملأ به الارض قسطاً وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلماً .

وروى ابن ماجه[٥٣] وغيره ان رسول الله صلعم قال : لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارًا ولا الناس على الدنيا الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم .

---

٤٩) الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٥٥ – ٥٧ ، قابل جزئيًا بالبخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرهل) ٣ : ٢٩٦ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٢ : ٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٤٩٣ ، ٥٣٨ ؛ ٣ : ٣٥٤ ، ٣٨٤ ؛ ابو داود الطيالسي ، المسند ، عدد ٢٢٩٧ ، ٢٥٧٥ .

٥٠) الجيلاني ، الانسان الكامل ، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٦٥٩٥ ، صفحة ١٦٠ يمينًا .

٥١) الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٥٨ .

٥٢) رواه عن قطن بن خليفة ، وهذا ، كما قيل عنه ، « لا يُحتجّ به ... لسوء مذهبه ... زائغ غير ثقة » ، راجع مقدمة ابن خلدون ، ٣١٣ .

٥٣) ابن ماجه ، سنن ، ٢ : ٢٥٧ .

قال الامام القرطبي : وهذا لا ينافي ما تقدم في احاديث المهدي لان معناه تعظيم شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام على المهدي ، انه لا مهدي الا عيسى لعصمته وكماله فلا ينافي وجود المهدي كقولهم : لا فتى الا علي ، والله اعلم . ويؤيد ذلك حديث : المهدي من اهل بيتي يملأ الارض عدلاً ، وانه يخرج مع عيسى عليه الصلاة والسلام يساعده على قتل الدجال بباب لدّ من ارض فلسطين وانه يؤمّ هذه الامة ويصلي خلفه عيسى بن مريم والله تعالى اعلم[٥٤] .

المسيح ويأجوج ومأجوج

خرج رسول الله يوماً فَزِعاً مُحمرًّا وجهه يقول : لا اله الا الله ! ويل للعرب من شر قد اقترب ! فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هــذه . وحلّق باصبعه الابهام والتي تليها[٥٥] .

سمعت النبي صلعم يقول : يشير باصبعه التي تلي الابهام والوسطى وهو يقول : بُعثت انا والساعة هكذا . . . بعثت انا والساعة كهاتين قال وضمّ السبابة والوسطى[٥٦] .

(عن حديفه قال) : ياجوج امة لها اربعمائة امير وكذلك ماجوج لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف فارس من ولده . صنف منهم كالارز طولهم مائــة وعشرون ذراعاً ، وصنف يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا خنزير الا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان

---

٥٤) الشعراني ، مختصر تذكرة القرطبي ، ١٥٩ ؛ اما الاحاديث عن المهدي التي خرّجها الترمذي وابو داود وابن ماجه والحاكم والموصلي والطبراني وغيرهم من المتشيعين والمتصوفين فقد اشبعها ابن خلدون تمحيصاً وانتهى الى القول انه « لم يخلص منهـا من النقد الا القليل والاقل منه » ، راجع المقدمة ، ٣٢٣ ، حيث يقول ايضاً ان الحديث المشهور (لا مهدي الا عيسى) ، هو « بالجملة ضعيف مضطرب » .

٥٥) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٣٦٠ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢١٥ .

٥٦) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٨٢ ؛ ابن ماجه ، السنن ٢ : ٢٥٧ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٣ : ٣٤١ ، ٥٢٩ وما بعدها ؛ ٦ : ٤٢٨-٤٢٩ ؛ وصحيح البخاري في كتاب الانبياء والفتن ، وصحيح الترمذي في كتاب الفتن ، وغيرهم . . .

يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس. . .

(عن علي قال) : ياجوج وماجوج صنف منهم في طول الشبر وصنف منهم مفرط الطول لهم مخاب الطير وانياب كأنياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم عواء الذئب وشعورهم تقيهم الحر والبرد ولهم آذان عظام احداها وبرة يشتون بها والاخرى جلدة يصيفون فيها . يحفرون السدّ الذي بنـاه ذو القرنين[٥٧] حتى اذا كادوا ينقبونه يعيده الله كما كان حتى يقولوا ننقبه غدًا ان شاء الله فينقبونه ويخرجون فتتحصن الناس منهم بالحصون فيرمون الى السماء فيُرد اليهم السهم ملطخاً بالدم ثم يهلكهم الله بالنغَف في رقابهم والنغَف هو الدود[٥٨] .

ان ياجوج وماجوج يحفرون كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فسنحفره غدًا فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم عـلى الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدًا ان شاء الله تعالى واستثنوا، فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع عليها الدم الذي أحفظ فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله نغَفاً في اقفائهم فيقتلهم بها[٥٩] .

---

٥٧) هو الاسكندر المقدوني، وقد ورد في القرآن اسمه تحت لفظ«ذو القرنين»؛ وهو الذي حسب القرآن بنى سدًا في آخر الارض لم يستطع ياجوج وماجوج « له نقباً » ، سورة الكهف ، ١٨ : ٨٣–٩٨ ؛ وهي قصة مشهورة قبل الاسلام عند المسيحيين السريان راجع E.A. Wallis Budge, *The History of Alexander the Great*, Cambridge, 1889.

٥٨) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢ : ٤٠٥ ؛ راجع ايضاً الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٧–٣٠٨ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٥٩ – ٣٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ١ : ٦٨ وما بعدها، ٢١٨، ٢٢٣، ٦٢٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب (طبعة باريس)، ١ : ٢٦٧ ، ٣٣٧ ؛ ٢ : ٣٠٨ ؛ ٣ : ٦٦ . . .

٥٩) ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٦٨ ؛ الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٨١؛ و « النغَف » هو الدود الذي يسقط من انف الغنم والابل .

بحيرة طبرية ، قال الازهري : هي نحو من عشرة اميال في ستة اميـال وغور مائها علامة لخروج الدجال . رروي ان عيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل بالبيت المقدس ليقتل الدجال عندهـا يظهر ياجوج وماجوج وهم اربعة وعشرون امة لا يجتازون بحي ولا ميت من انسان الا اكلوه ولا ماء الا شربوه فيجتاز اولهم ببحيرة طبرية فيشربون جميع ما فيها ثم يجتاز بها الاخير منهم وهي ناشفة فيقول: أظن انه قد كان هنا ماء. ثم يجتمعون بالبيت المقدس فيفزع عيسى ومن معه من المؤمنين فيعلو على الصخرة ويقوم فيهم خطيباً فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول : اللهم انصر القليل في طاعتك على الكثير في معصيتك فهل من منتدب؟ فينتدب رجل من جرهم ورجل من غسان لقتالهم ومع كل واحد خلق من عشيرته فينصرهم الله عليهم حتى يبيدوهم . ولهذا الخبر مع استحالته في العقل نظاير جمة في كتب الناس والله اعلم[٦٠] .

ثم[٦١] يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه[٦٢] فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى اني قد اخرجت ، أو انزلت ، عبادًا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر اوائلهم عـلى بحيرة طبرية فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء . . . ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلمّ فلنقتل من في السماء . فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً.

ويحصر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرًا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى[٦٣] كموت نفس واحـدة . ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم.

---

٦٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ : ٥١٥ .

٦١) اي بعد ان يقتل الدجال عند باب لد كما ورد اعلاه .

٦٢) اي من الدجال .

٦٣) اي قتلى .

فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطرًا لا يَكِنُ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الله الارض حتى يتركها كالزلفة[٦٤] . ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[٦٥] . ويبارك في الرِّسْل[٦٦] حتى ان اللقحة[٦٧] من الابل لتكفي الفآم[٦٨] من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس .

فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم. ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمْر فعليهم تقوم الساعة[٦٩] .

ختم الولاية العامة

ألا ان ختم الاولياء رسولُ ... وليس له في العالمين عديلُ
هو الروح وابن الروح[٧٠] والام مريم ... وهذا مقام ما اليه سبيل
فينزل فينا مقسطاً حكَماً بنا ... وما كان من حكم له فيزول
فيقتل خنزيرًا ويدمغ باطلًا ... وليس له الا الاله دليل
يؤيده في كل حال بآية ... يراها بعين الرأي فهو كفيل
يقيم باعلام الهدى شرع احمد ... يكون له منه اليه مقيل
يفيض عليه من وسيلة ملكه ... ولكنه في حالتيه نزيل

٦٤) الزلفة ، اي الصحفة او الصدفة .

٦٥) اي بقشرها .

٦٦) اي اللبن .

٦٧) القريبة العهد بالنتاج .

٦٨) اي الجماعة الكبيرة .

٦٩) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٣٧٦-٣٧٧ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢ : ٢٦٥ : ٢٦٦ ؛ الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٣٨-٣٩ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ١ : ٣٧٥ ؛ ٢ : ٥١٠ ؛ ٣ : ٧٧ ؛ ٤ : ١٨٢ .

٧٠) جبريل .

اعلم وفقنا الله واياك ان الله تعالى من كرامة محمد صلعم على ربه أن جعل من امته رسلًا . ثم انه اختص من الرسل من بعدت نسبته من البشر فكان نصفه بشرًا ونصفه الآخر روحاً مطهرة ملكاً لان جبريل عليه السلام وهبه لمريم عليها السلام بشرًا سوياً رفعه الله اليه ثم ينزله وليًا خاتم الاولياء في آخر الزمان يحكم بشرع محمد في امته .

فاذا نزل وليًا خاتم الانبياء يكون ختماً لولاية عيسى من حيث ما هو من هذه الامة حاكمًا بشرع غيره . كما ان محمدًا خاتم النبيين وان نزل بعده عيسى كذلك حكم عيسى في ولايته بتقدمه بالزمان خاتم ولاية الاولياء. وعيسى عليه السلام منهم ورتبته قد ذكرناها في كتابنا « عنقاء مغرب » ، فيه ذكره وذكر المهدي[٧١] .

ان ثمّ رجالًا سبعة يُقال لهم الابدال[٧٢] يحفظ الله بهم الاقاليم السبعة ، لكل بدل اقليم واليهم تنظر روحانيات السموات السبع ولكل شخص منهم قوة من روحانيات الانبياء الكائنين في هذه السموات . وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه آدم سلام الله عليهم اجمعين. اما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون ، فينزل على قلوب هؤلاء الابدال السبعة من حقائق هؤلاء الانبياء. وتنظر اليهم هذه الكواكب السبعة بما اودع الله سبحانه في سباحتها في افلاكها وبما اودع الله في حركات هذه السموات السبع من الاسرار والعلوم والآثار العلوية السفلية . . . وكل امر علوي يكون في يوم الاربعاء فمن روحانية عيسى عليه السلام وهو يوم النور[٧٣] .

---

٧١) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤: ٢١٥ .

٧٢) « وقيل سموا ابدالًا لكونهم اذا مات واحد منهم كان الآخر بدله ويؤخذ من الاربعين واحد، وتكمل الاربعون بواحد من الثلاثمائة وتكمل الثلاثمائة بواحد من صالحي المؤمنين . » وفي اعتقاد ابن العربي ان هناك سبعة ابدال منهم اربعة اوتاد وهم على قلب آدم وابراهيم وعيسى ومحمد ولهم نا للابدال « من روحانية الهية وروحانية الية » ؛ ومن الاوتاد الاربعة إمامان، ومن الامامين هو القطب؛ ابن العربي، الفتوحات المكية، ١: ١٧٨-١٧٩ .

٧٣) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١: ١٧١-١٧٢ .

ومنهم[٧٤] رضى اللهم عنهم الختم وهو واحد في كل زمان بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الاولياء المحمديين اكبر منه . ومن ثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم الى آخر ولي ، وهو عيسى عليه السلام ، وهو ختم الاولياء...[٧٥] .

فان قلت ومن الذي استحق ان يكون خاتم الاولياء كما يستحق محمد صلعم خاتم النبوة ، قلنا في الجواب : الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية المطلقة وختم يختم به الولاية المحمدية ، فاما ختم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام ، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الامة[٧٦]. وقد حيل بينه وبين نبوّة التشريع والرسالة . فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما ان محمد صلعم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده ، وان كان بعده مثل عيسى من اولي العزم من الرسل وخواص الانبياء. ولكن زال حكمه في هذا المقام لحكم الزمان عليه الذي هو لغيره . فينزل ولياً ذا نبوّة مطلقة تشركه فيها الاولياء المحمديون ، فهم منّا وهو سيدنا. فكان اول هذا الامر نبي وهو آدم ، وآخره نبي وهو عيسى ، اعني نبوة الاختصاص فيكون له يوم القيامة حشران حشر معنا وحشر مع الرسل .

واما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب عرفت به في سنة خمس وتسعين وخمسائة ورأيت العلامة التي قد اخفاها الحق عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حين رأيت خاتم الولاية منه ...

بأي صفة يكون ذلك المستحق لذلك النعت ؟ الجواب : بصفة الامانة وبيده مفاتيح الانفاس وحالة التجريد والحركة ، وهذا هو نعت عيسى عليه السلام ، كان يحيي بالنفخ وكان من زهّاد الرسل ، وكانت له السياحة ، وكان حافظاً للامانة مؤدياً لها ولهذا عادته اليهود ولم تأخذه في الله لومة لائم ككثير الاجتماع به في الوقائع . وعلى يده تبتُ ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة

٧٤) اي من الابدال .

٧٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢ : ١٠ .

٧٦) اي الامة المحمدية .

الدنيا والآخرة ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد .

فان قلت ما سبب الخاتم ومعناه ؟... وذلك ان الدنيا لما كان لها بدء ونهاية وهو ختمها ، قضى الله سبحانه ان يكون جميع ما فيها بحسب نعتها له بدء وختام. وكان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع فختم الله هذا التنزيل بشرع محمد صلعم فكان خاتم النبيين . وكان من جملة ما فيها الولاية العامة ولها بدء من آدم فختمها بعيسى فكان الختم يضاهي البدء : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، فختم بمثل ما بدأ ، فكان البدء لهذا الامر بنبي مطلق وختم به ايضاً[٧٧] .

واما خاتمية عيسى عليه السلام فله ختام دورة الملك . فهو آخر رسول ظهر وظهر بصورة آدم في نشئه . فانه لم يكن عن اب بشري ولم يشبه الانبياء اعني ذرية آدم في النشء ، فانه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد ، فانه لم ينتقل في اطوار النشأة الطبيعية بمرور الازمان المعتادة ، بل كان انتقاله يشبه البعث ، يعني احياء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة من جاؤوا عليها في الزمان الكثير ، فانه داخل تحت عموم ...

ثم ان عيسى اذا نزل الى الارض في آخر الزمان اعطاه الله ختم الولاية الكبرى من آدم الى آخر نبي تشريفاً لمحمد صلعم حيث لم يختم الله الولاية العامة في كل امة الا برسول تابع اياه صلعم . وحينئذ فله ختم دورة الملك وختم الولاية العامة فهو من الخواتم في العالم . واما ختم الولاية المحمدية الخاص، وهو الختم الخاص لولاية امة محمد، فيدخل في حكم ختمية عيسى عليه السلام وغيره كالياس والخضر وكل ولي لله تعالى في امته ، فعيسى عليه السلام ، وان كان ختماً ، فهو مختوم تحت ختم هذا الخاتم المحمدي .

وعلمت حديث هذا الخاتم المحمدي بفاس من بلاد الغرب اربع وتسعين وخمسمائة عرّفني به الحق واعطاني علامته ولا اسميه. ومنزلته من رسول الله منزلة شعرة من جسده صلعم ولهذا يُشعر به اجمالًا ولا يُشعر به تفصيلًا[٧٨] .

---

٧٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢: ٥٥–٥٦ .

٧٨) ابن العربي الفتوحات المكية ، ٣: ٥٦٨–٥٦٩ .

واعلم انه لا بد من نزول عيسى عليه السلام ولا بد من حكمه فينا بشريعة محمد صلعم يوحي الله بها اليه من كونه نبياً . فان النبي لا يأخذ الشرع من غير مرسله فيأتيه الملك مخبرًا بشرع محمد الذي جاء به عليه وقد يلهمه الهاماً فلا يحكم في الاشياء بتحليل وتحريم الا بما كان يحكم به رسول الله صلعم لو كان حاضرًا. ويرتفع اجتهاد المجتهدين بنزوله عليه السلام ولا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في اوان رسالته ودولته مما هو عالم به من حيث الوحي الالهي بما هو رسول ونبي ، بل بما هو الشرع الذي كان عليه محمد صلعم وهو تابع له فيه. وقد يكون له من الاطلاع على روح محمد صلعم بحيث يأخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به في امته صلعم ، فيكون عيسى تابعاً وصاحباً[٧٩] من هذا الوجه وهو عليه السلام من هذا الوجه خاتم الانبياء . فكان من شرف النبي صلعم أن ختم الانبياء في امته نبي رسول مكرم هو عيسى عليه السلام وهو افضل هذه الامة المحمدية وقد نبّه عليه الحكيم الترمذي[٨٠] في كتاب ختم الاولياء له وشهد له بالفضل على ابي بكر الصديق[٨١] رضي الله عنه وغيره. فانه وان كان ولياً في هذه الامة المحمدية فهو نبي ورسول في نفس الامر فله يوم القيامة حشران يحشر في جماعة الانبياء والرسل باواء النبوة والرسالة واصحابه تابعون له كسائر الرسل ، ويحشر ايضاً معنا ولياً في جماعة اولياء هذه الامة تحت لواء محمد صلعم مقدماً على جميع الاولياء من عهد آدم الى آخر ولي يكون في العالم. فجمع الله له بين الولاية والنبوة ظاهرًا وما في الرسل يوم القيامة من رسول الا محمد صلعم فانه يحشر في اتباعه عيسى والياس عليهما السلام وان كان كل من في الموقف من آدم فمن دونه تحت لوائه صلعم فذلك لواء العام وكلامنا في اللواء الخاص بامته صلعم . وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل

---

٧٩) الصحابة هم الذين ناصروا محمد فكانوا في صحبته واخذوا عنه والتابعون هم الذين جاؤوا بعد الصحابة فاخذوا عنهم الاحاديث .

٨٠) انظر ايضاً كتابه «نوادر الاصول»؛ لا شك في ان الترمذي هو اول من استنبط هذه الفكرة حول الولاية العامة وكانت لديه غامضة بعد حتى تلقاها ابن العربي وجعلها محور تفكيره الصوفي .

٨١) تجد الفكرة عينها في موضع آخر من الفتوحات المكية ، ٢ : ١٣٩ .

على محمد ختم خاص هو المهدي وهو في الرتبة دون عيسى لكونه رسولًا وقد ولد في زماننا ورأيته ايضاً واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده[٨٢] .

وبعد ان بينت لك مقام عيسى عليه السلام اذا نزل فقل ما شئت ، ان شئت قلت شريعتان لعين واحدة ، وان شئت قلت شريعة واحدة[٨٣] .

قال العلماء[٨٤] رضي الله عنهم : واذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان يكون مقررًا لشريعة محمد صلعم ومجددًا لها لانه لا نبي بعد رسول الله يحكم بشريعة غير شريعة محمد صلعم لانها آخر الشرائع ونبيها خاتم النبيين . فيكون عيسى حكماً مقسطاً لانه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا اماماً ولا قاضياً ولا مفتياً وقد قبض الله العلم وخلا الناس منه . فينزل وقد علم بامر الله تعالى من السماء قبل ان ينزل ما يحتاج اليه من أمر هذه الشريعة ليحكم به بين الناس وليعمل به في نفسه . فيجتمع المؤمنون عند ذلك ويحكمونهم على أنفسهم ولا احد يصلح لذلك غيره ، لان تعطيل الحكم غير جائز ، وايضاً فانما بقاء الدنيا انما يكون بالتكليف فلا يزال التكليف قائماً الى أن لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله[٨٥] .

انه زائل عن مرتبته بختمه وظاهر بعلم غيره لا بعلمه وجار في حكمه على خلاف حكمه . ولولا ظهوره بهذا العلم وحكمه بهذا الحكم ما صح له مقام الختم ولا ختمت به ولاية ولا كملت به هداية . وان له حشرين ولصحبه

---

٨٢) لقد افضى الامر بابن العربي الى الاعتقاد بانه هو ذاته ذلك الختم الخاص للولاية المحمدية ، وكان ذاك منذ كتابة الفتوحات المكية حيث يقول :

« انا ختم الولاية دون شك   لورث الهاشمي مع المسيح »

والهاشمي هو محمد ؛ الفتوحات المكية ، ١ : ٢٧٣ .

٨٣) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١ : ٣٠٦ .

٨٤) عند العلماء المتأخرين ، لا شك في ذلك ، اما عند القدامى فلم يرد شيء عن حكم عيسى بشريعة محمد في آخر الزمان .

٨٥) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٧٩—١٨٠ .

فجرين ولوجهه نورين وفي حفظه علمين وله عالمين يشركهما في حكم ويخص احدهما بحكم فهو صاحب حكمين وهو من العجم لا من العرب آدم اللون اصهب اقرب الى الطول منه الى القصر كأنه البدر الازهر اسمه عبدالله[٨٦] وهو اسم كل عبد لله . واما اسمه الذي يختص به فلا يظهر فيه اعراب وينصرف في صناعة الاعراب اوله عين[٨٧] اليقين وآخره قيومية التمكين ونصف دائرة الفلك من جهة النصف الذي هلك لا يدعى باسم سواه ولا يعرف اباه ان وقف قلت سرولة وان مشى مشى بين السعي والهرولة مرضي القول مشكور الفعل . . . وانه سيد الاولياء[٨٨] .

ان عيسى عليه السلام يمكن ان ينظر في القرآن فيفهم منه جميع الاحكام المتعلقة بهذه الشريعة من غير احتياج الى مراجعة الاحاديث كما فهم النبي صلعم من القرآن العزيز ، انطوى ذلك على جميع الامور الشرعية .

فيفهم من القرآن ما انطوى عليه ويحكم به وان خالف الانجيل ، وهذا معنى قوله يحكم بشريعة نبينا . . .

(عن انس قال) : كنت اطوف مع رسول الله صلعم حول الكعبة اذ رأيته صافح شيئاً ولا نراه. قلنا: يا رسول الله رأيناك صافحت شيئاً ولا نراه. قال : ذاك اخي عيسى بن مريم انتظرته حتى قضى طوافه فسلمت عليه. فحينئذ لا مانع من أن يكون تلقى من النبي صلعم احكامه المتعلقة بشريعته المخالفة لشريعة الانجيل لعلمه بانه سينزل في امته ويحكم فيهم بشريعته فاخذها عنه بلا واسطة .

عن ابي هريرة : ألا ان ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول . ألا انه خليفتي في امتي من بعدي .

---

٨٦) وقد قال عيسى في القرآن : « اني عبد الله . . . »

٨٧) العين في كلمة عيسى ، والعين هو حرف ذات اهمية صوفيــة كبرى عند بعض الفرق الغنوصية في الاسلام .

٨٨) ابن العربي ، عنقاء مغرب ، ٧٦-٧٧ .

قال الذهبي في تجريد الصحابة : عيسى بن مريم صحابي فانه رأى رسول الله صلعم فهو آخر الصحابة موتاً[٨٩] .

وفاة المسيح

قال الله تعالى : « وانه لعِلم للساعة فلا تمترن بها واتبعوني هـذا صراط مستقيم »[٩٠] . وقيل للحسين بن الفضل : هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن ؟ قال : نعم قوله : « وكهلاً »[٩١] وهو لم يكن بكهل في الدنيا وانما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء[٩٢] .

عن ابي هريرة : قال رسول الله : الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد واني اولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ، ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، وانه نازل على امتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين مخصّرتين . . . ثم يلبث في الارض اربعين سنة ويتزوج ويولد له يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر . اقرأوا ان شئتم : وان من اهل الكتاب الا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً[٩٣] ، أي قبل موت عيسى . يعيدها ابو هريرة ثلاث مرات[٩٤] .

عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله اني ارى اني اعيش بعدك فتأذن لي ان أدفَن بجنبك ؟ فقال : وأنى لي بذلك الموضع ما فيه الا قبري وقبر ابي بكر وعمر وعيسى بن مريم[٩٥] .

---

٨٩) جلال الدين السيوطي ، الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٤٥٨٨ ، صفحة ١٢٠ شمالاً الى ١٢٢ يميناً .

٩٠) سورة الزخرف ، ٤٣ : ٦١ .

٩١) وردت الكلمة في سورة آل عمران ، ٣ : ٤٦ .

٩٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٣ .

٩٣) سورة النساء ، ٤ : ١٥٩ .

٩٤) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٣-٤٠٤ .

٩٥) الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٥٧ .

اذا اهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين[٩٦] .

وفي رواية ان عيسى بن مريم اذا نزل يتزوج ويولد له فيمكث خمساً واربعين سنة ويدفن معي[٩٧] في قبري فاقوم انا وعيسى من قبر واحد بين ابي بكر وعمر[٩٨] .

وقيل انه يتزوج امرأة من العرب بعد ما يقتل الدجال وتلد له بنتاً فتموت ويموت هو بعد ما يعيش سنين . ذكره ابو الليث السمرقندي رحمه الله وخالفه كعب في هذا ، وانه يولد له ولدان .

وفي الحديث ان رسول الله صلعم قال : الانبياء اخوة علات ، امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بيني وبينه نبي[٩٩] . فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين مهرودتين اي ثوبين مصبوغين ، وان راسه تقطر ولم يصبه بلل ، وانه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام وحتى يهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الاعور الكذاب . وتقع الامنة في الارض حتى يرعى الاسد مع الابل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً . ويبقى في الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه . وفي بعض الروايات انه يمكث في الارض اربعاً وعشرين سنة . وفي رواية سبع سنين . قال ولا يبقى بين احد عداوة . ورواية اربعين اصح الروايات[١٠٠] . وكان كعب الاحبار يقول : يتسع الرزق في زمن عيسى عليه

---

٩٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٤ .

٩٧) اي محمد ، والحديث هذا منسوب اليه .

٩٨) عمر بن الخطاب ، الخليفة الثاني على المسلمين بعد ابي بكر الصديق .

٩٩) اورده الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٠٦٩ ؛ مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٢٤ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٢ : ٣١٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ وما بعدها ، ٤٨٢ ، ٥٤١ .

١٠٠) ان العدد « اربعون » هو رمز الكمال والنضوج في التقليد اليهودي وقد ورث النصارى ذلك عنهم واورثوه الى المسلمين، ولا يستبعد ان يكون الاعتقاد السائد بان محمد بعث في الاربعين من عمره مدين لهذا التقليد السامي ، وعلى كل فهو لا يستند الا الى آية

الصلاة والسلام حتى ان الحي ليمر بالميت فيقول : يا فلان قم فانظر ما انزل الله تعالى من البركة في الارض . قال وان عيسى ليتزوج امرأة من آل فلان ويرزق منها ولدين يسمّي احدهمـا محمدًا والآخر موسى عليهما الصلاة والسلام ويكون الناس معه على خير زمان وذلك اربعين سنة . ويقبض الله تعالى روح عيسى عليـه الصلاة والسلام ويذوق الموت ويدفن الى جانب النبي صلعم في الحجرة . ويموت خيار الامة ويبقى الاشرار في قلة من المؤمنين فذلك قوله صلعم : بدا الاسلام غريباً وسيعود كما بدا[١٠١] .

...حتى اذا كمل لعيسى في الارض اربعين عاماً يرسل الله اليك ملك الموت ليخبره ان الله لم يخلق خلقاً الا للموت وأن يوقفه على القبر الذي يدفن فيه . فيهبط اليه ملك الموت ويجده قائماً في بيت المقدس يتلو التوراة والانجيل والزبور فيتصور له في صورة رجل بهي الوجه ويقول لـه : جئتك لاطوف معك في الارض. فيجيبه عيسى الى ذلك فيخرجان ويسيران حتى يشرفا على جنازة عظيمة فيقول له : يا عيسى أحيِ لنا من هـذه الجنازة احدًا يخبرنا عن طعم الموت ومرارته. فيسأل عيسى ربه فيقوم ثلاثة نفر احدهم وجهه كالقمر والآخر وجهه كالزعفران والثالث وجهه كالقار الاسود . فيسألهم عيسى عمّا كانوا عليه في الدنيا فيقول الاول : اني كنت فقيرًا شاكرًا فلما قُبضتْ روحي ادخلني ربي الجنة . ويقول الثاني : اني كنت ذا مال كثير وظننت ان تلك النعمة لا تزول حتى ذقت كاس الموت فاني معذب في قبري الى يومي هذا . فيقول الثالث : اني ما كنت اوحّد الله ولا اعبده حتى اتاني الموت فنُزعتْ روحي بكلاليب من لظى وسُقيتُ شربة من الحميم . فيقول لهم عيسى : عودوا ما كنتم عليه

غامضة من القرآن « لبثتُ فيكم عمرًا من قبله » (قبل القرآن) ؛ سورة يونس، ١٠ : ١٦ ؛ وقد فسر المفسرون كلمة « عمر » بالرجوع الى العـدد « اربعين » كما قالوا بان عيسى سيمكث اربعين سنة في آخر الايام ، وهذا تقليد معروف عند النصارى واليهود : هكذا ايليا صام اربعين يوماً على الجبل ، والعبرانيون ظلوا اربعين سنة على طريق ارض الموعد ، والمسيح صام اربعين يوماً ، وتراءى لتلاميذه بعد قيامته مدة اربعين يوماً . . .

(١٠١) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٧٩ ؛ ابن خلدون ، المقدمـة ، ٣٢٦–٣٢٧ ؛ الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ٢٥٨ . . .

فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيله .

ثم يأتون الى قبر محمد صلعم فيسلمون عليه فيرد عليهم السلام من قبره ثم يقول ملك الموت: يا عيسى انا ملك الموت جئتك لقبض روحك لان كل مخلوق لا بد له من أن يموت. فيأتيه جبريل ومعه مسك من الجنة ويدفعه اليه فيأخذه ويشمه ويقبض روحه فيه. ثم تنزل الملائكة اليه يغسلونه ويكفنونه ويحنطونه ويدفنونه الى جانب قبر محمد صلعم .

فاذا كان يوم القيامة فيقول الله له: أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ؟ فيقول : سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم الخ[١٠٢] .

ثم يرسل الله ريحًا طيبة فيقبض بها ملك الموت ارواح المؤمنين ويرفع القرآن والعلم ثم تقوم الساعة وقت الضحى يوم الجمعة[١٠٣] .

وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلعم قال: والذي نفسي بيده ليهلنّ ابن مريم بفجّ الروحاء حاجًا او معتمرًا او بنيّتها .

وفي رواية ليحجنّ البيت وليعتمرنّ بعد خروج ياجوج وماجوج. فهذا صريح بانه يحج البيت اذا نزل آخر الزمان والله تعالى اعلم .

لا تقوم الساعة حتى يمرّ عيسى بن مريم بالروحاء حاجًا او معتمرًا أو ليجمعنّ له بين الحج والعمرة ويجعل الله تعالى حواريه اصحاب الكهف والرقيم فيمرّون معه حجاجاً فانهم لم يحجوا ولم يموتوا[١٠٤] .

وفي الحديث ما معناه ان اول الآيات الخسوف . فاذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجاً الى مكة . فاذا قضى حجه انصرف الى زيارة سيدنا محمد صلعم . فاذا وصل الى قبر الرسول صلعم ارسل الله عز وجل ريحاً عترية فتقبض روح عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين . ويدفن

---

١٠٢) سورة المائدة ، ٥: ١١٦-١١٧ .

١٠٣) الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٨ – ٣٠٩ .

١٠٤) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٨٠ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢: ٢٩٧ ، ابن حنبل ، المسند ، ٢: ٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٠ ، ٥١٣ ، ٥٤٠ .

عيسى عليه السلام مع النبي صلعم في روضته .

ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع اكثر اهل الاسلام الى الكفر والضلالة ويستولي اهل الكفر على من بقي من اهل الاسلام. فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف . ثم تأتي الحبشة الى بيت الله تعالى[١٠٥] فينقضونه حجراً حجراً ويرمون بالحجارة في البحر . ثم تخرج دابة الارض[١٠٦] تكلمهم . ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والارض . فاما المؤمن فيصيبه مثل الزكام واما الكافر والفاجر فيدخل من انوفهم فيثقب مسامعهم وتضيق انفاسهم . ثم يبعث الله ريحاً من الجنوب من قبل اليمن مساسها مس الحرير وريحها ريح المسك، فتقبض روح المؤمن والمؤمنة وتبقى شرار الناس. ويكون الرجال لا يشبعون من النساء والنساء لا يشبعون من الرجال . ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم في البحر .

هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في الاشراط . وقيل اذا اراد الله تعالى انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة ، خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقيل معهم حتى يجتمع الخلق كلهم بالمحشر ، الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل من له روح . فبينما هم في اسواقهم يتبايعون والناس مشتغلون بالبيع والشراء ، اذا هدّة عظيمة من السماء فصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم منذ ثلاثة ايام ، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين قياماً على ارجلهم فذلك قوله تعالى : وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق. فبينما هم كذلك ، اذا هدة اخرى اعظم من الاولى غليظة فظيعة كالرعد القاصف، ولا يبقى على وجه الارض احد الا مات منها كما قال ربنا عز وجل: ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض من الهوام والوحوش

---

١٠٥) الكعبة؛ وفي الانجيل ، اشارة الى بدء علامات الانتهاء « لا يترك ههنا (الهيكل) حجر على حجر الا ينقض » متى ٢٤ : ٢ .

١٠٦) هذه الدابة الجساسة التي تكلم عنها القرآن ووصفها المحدثون وصفاً دقيقاً غريباً قد تكون عديلة التنين الذي ورد وصفه في رؤيا القديس يوحنا ، ١٣ .

والدواب وكل شيء له روح وهو الوقت المعلوم الذي كان بين الله تعالى وبين ابليس الملعون[١٠٧] .

المسيح في الدينونة

عن ابي هريرة قال : أتي رسول الله صلعم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون ممَّ ذلك: يجمع الناس الاولين والآخرين في صعيد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون . فيقول الناس :ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم . فيأتون ادم عليه السلام فيقولون له: انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا الى غيري، اذهبوا الى نوح !

فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح انك انت أول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدًا شكورًا ، اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول: ان ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً شديدًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وان قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ،نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى ابراهيم !

فيأتون ابراهيم فيقولون : يا ابراهيم انت نبي الله وخليله من اهل الارض، اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، واني كنت كذبت ثلاث كذبات ، فذكرهن ابو حيان في الحديث ، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى موسى !

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وكلامه

---

١٠٧) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٨٦–١٨٧ .

على الناس ، اشفع لنا الى ربك . فيقول : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، واني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى !

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، وكلمتَ الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى محمد صلعم !

فيأتون محمدًا صلعم فيقولون : يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء. وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١٠٨] اشفع لنا الى ربك . فانطلقُ فآتي تحت العرش فاقع ساجدًا لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ من محامـده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على احد من قبلي ثم يُقال : يا محمد ارفع رأسك وسلْ تعطه واشفع تُشفَّع . فارفع رأسي فاقول : امتي يا رب ! امتي يا رب ! فيُقال : أدخلْ من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة[١٠٩] .

كان عبدالله بن سلام يقول: اذا كان يوم القيامة جمع الله الانبياء نبياً نبياً وامة امة حتى يكون آخرهم موكزا محمد صلعم وعليهم اجمعـين . ويضرب

---

١٠٨) راجع سيرة كل واحد من الانبياء المذكورين في القرآن الذي يذكر لهم هذه الذنوب ، ولاحظ ان لا جناح على عيسى ، فآدم عصى ، ونوح دعا باطلًا على قومه ، وابراهيم ارتكب ثلاث كذبات ، ومحمد احتاج الى ان يغفر الله خطاياه المتقدمة والمتأخرة .

١٠٩) البخاري ، الجامع الصحيح ، (١٢٩٦) ٥ : ٢١٠-٢١١ ؛ وكذلك في الجامع نفسه ، ٨ : ١٦٢ ؛ وايضاً باختصار ، ٨ : ١٨٨؛الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ٧٨-٧٩ .

لا ذكر في هذا الحديث القديم لما زيد فيا بعد عن ان عيسى كسائر الانبياء يرفض الشفاعة للناس وهو في حيرة من مصير نفسه ، او مصيره ومصير امه مريم ؛ وكأنك به لا خوف عليه من فرط ثقته فهو الوحيد، كما اوردنا ، بين الرسل والانبياء من لا يخشى فضيحة ذنب اقترفه مما تقدم وما تأخر . وعند البخاري حديث آخر عن النبي يقول فيه : « يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة عزلا . . . الا وان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم، وانه يجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فاقول : يا رب اصيحابي! فيقال : انك لا تدري ما احدثوا بعدك . فاقول : كما قـال العبد الصالح (عيسى) :

الجسر على جهنم وينادي مناد : اين احمد وامته ؟ فيقوم نبي الله صلعم وتتبعه امته برّها وفاجرها . فاذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدائه فتهافتوا يميناً وشمالًا . ويمضي النبي صلعم والصالحون معه فتتلقاهم ملائكة ربنا على طريق الجنة ، على يمينك وعلى شمالك ، حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين الرحمن . ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله ويتبعه برّ امتــه وفاجرها ، حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدائه فتهافتوا في النار يميناً وشمالًا . فيمضي عيسى والصالحون معه فتتلقاهم ملائكة يدلونهم على طريق الجنة ، على يمينك وعلى شمالك ، حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي من الجانب الآخر .

ثم يدعى نبي بعد نبي وامة بعد امة حتي يكون آخرهم نوح صلعم رحم الله نوحا[١١٠] .

ثم يأمر الله تعالى ان يؤتي بالنار . . . فيأتون (الملائكة) بها تمشي على اربع قوائم تقاد بسبعين الف زمام ، وفي كل زمام سبعون الف حلقة لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة ، على كل حلقة سبعون الف زباني ، منهم إن يدكّ الجبال لدكّها ، إن يهدّ الارض لهدّها . واذا لها شهيق وزفير ودوي وشرر ودخان تفور حتى تسد الافاق ظلمة . فاذا كان بينها وبين الخلائق مقدار الف عام تفلتت من ايدي سائقيها ولم يقدروا على امساكها لعظم شأنها .

«وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت (الله) الرقيب عليهم» ، (سورة المائدة ، ٥ : ١١٧) فيقال : « ان هؤلاء لا يزالون مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم» ، الجامع الصحيح ، ٥ : ١٧٩ ، ٢٢٤ ، اما في الشفاعة ، فاعتقاد الاسلام ان المسلمين جميعاً سوف يدخلون الجنة ، وتكفيهم الشهادة (لا اله الا الله) « اذ انها تمحو ما قبلها من الخطايا » كما اورده الغزالي . وعلى كل حال فشفاعة محمد « لاهل الكبائر » من امته تكفي لادخالهم الجنة . ولكن المحدّثين كالبخاري وابن حنبل وابن داود وغيرهم ذكروا ايضاً شفاعة سائر الانبياء ، كلٌّ لامته . اما موقف القرآن من الشفاعة فهو غامض ، إذ انه يثبتها مرة وينفيها اخرى ؛ قابل سورة البقرة ، ٢ : ٤٨ ، ٢٥٤ ؛ سورة يونس ، ١٠ : ١٨ ؛ سورة المدثر ، ٧٤ : ٤٨ ؛ سورة الزمر ، ٣٩ : ٤٤ ؛ سورة الزخرف ، ٤٣ : ٨٦ ؛ سورة الانبياء ، ٢١ : ٢٨ ؛ سورة غافر ، ٤٠ : ٧ .

١١٠) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ٧٩

فيجثون الكل على الركب حتى المرسلون . ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى بالعرش، هذا قد نسي الذبيح[١١١]، وهذا قد نسي هرون، وهذا قد نسي مريم . ويجعل كل واحد منهم يقول : يا رب نفسي ! نفسي ! لا اسألك اليوم غيرها !

وروي ان المسيح يقول : يا رب نفسي وامي لا اسألك اليوم غيرهما ، وهو الاصح عندي[١١٢] .

وفي الحديث ان جهنم تزفر يوم القيامة حين يُجاء بها زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه .

وفي رواية : انه اذا جيء بجهنم كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها افئدة الخلائق . ثم تزفر ثانية فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول — الحديث — حتى ان ابراهيم الخليل عليه السلام يقول : بخلّتي لا أسألك الا نفسي. ويقول موسى : بمناجاتي لا اسألك الا نفسي . ويقول عيسى : بِمَ اكرمتني لا اسألك الا نفسي ، لا اسألك مريم التي ولدتني. واما محمد صلعم فيقول : يا رب اسألك امتي لا اسألك اليوم نفسي[١١٣] .

ثم ينادي : اين الفقراء ؟ فيؤتى بهم انواعاً . فيقال لهم : ما شغلكم عن القيام بحق الله تعالى ؟ فيقولون : ابتلانا[١١٤] في دار الدنيا بفقر مدقع شغلنا عن القيام بحقه . فيقال لهم : من اشد فقراً أنتم ام عيسى عليه السلام ؟ فيقولون : بل عيسى . فيقال لهم : ما شغله ذلك عن القيام بحق الله تعالى والتبتّل لذكره[١١٥] .

---

١١١) اي ابنه اسحق، ويزعم عامة المسلمين انه اسمعيل. ولكن المحدّثين القدامى ، في الاجيال الاولى للاسلام ، اعتقدوا على صواب انه اسحق ؛ راجع اسماءهم عند الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٩١ — ٩٣ ؛ وخصوصاً بحث العلّامة غولدسيهر في كتابه «مذاهب التفسير الاسلامي » ، ترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

١١٢) الغزالي ، الدرة الفاخرة ، ٦٦—٦٨ ؛ الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ٩٢ .

١١٣) الشعراني ، مختصر تذكرة الامام القرطبي ، ١٠٦ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥:٣٧٣ .

١١٤) وفي احدى النسخ « ابتلينا » .

١١٥) الغزالي ، الدرة الفاخرة ، ٩٠—٩١ .

(عن الحسن بن صالح) سمعت انه لما قيل لعيسى عليه السلام : أأنت قلت للناس اتخذولي وامي الهين من دون الله ، ترايت مفاصله[١١٦] .

قال عيسى عليه السلام : ان كنت قلته فقد علمته لانك انت القائل في صورتي وانت اللسان الذي اتكلم به بحكم انك متحد في هويتي وعيني[١١٧] .

ثم ينادي المنادي : اين عيسى بن مريم عليه السلام ؟ فيؤتى به فيقول[١١٨] له : أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ؟ ثم يحمد الله تعالى ما شاء ويثني عليه ثناء كثيراً ثم يعطف على نفسه بالذم والاحتقار ويقول : سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علّام الغيوب. فيضحك الله سبحانه وتعالى ويقول : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم[١١٩] . صدقت يا عيسى ارجع الى منبرك واتل الانجيل الذي بلغك جبريل . فيقول : نعم يا رب . ثم يرقى ويقرأ فتشخص له الرؤوس لحسن صوته وترديده وترجيعه فانه احكم الناس له رواية ، فيأتي بالانجيل غضاً طرياً حتى يظن الرهبان انهم ما علموا منه اية قط[١٢٠] .

ثم ينقسم النصارى فرقتين المجرمون مع المجرمين والمؤمنون مع المؤمنين[١٢١] .

---

١١٦) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٣٣٠ .

١١٧) عبد الغني النابلسي ، كتاب هتك الاستار في علم الاسرار ، مخطوطة المكتبة الخديوية ؛ عدد ٣٢٤٥ ، صفحة ٣ ، ذكرها اسين بلاثيوس ، الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٩٥ ، عدد ٢١٥ ؛ قابل بما جاء في الانجيل على لسان المسيح : « أما تؤمن اني انا في الآب وان الآب فيّ . الكلام الذي اكلمكم به لا اتكلم به من عندي بل الآب الذي هو مقيم في هو يعمل الاعمال . » يوحنا ١٤ : ١٠-١١ .

١١٨) اي الله ، وما يلي نص القرآن .

١١٩) سورة المائدة ، ٥ : ١١٦-١١٩ .

١٢٠) يعتقد كثير من المسلمين عن جهل ان القرآن يتهم النصارى بتحريف الانجيل ، ولم يتهم الكتاب سوى البعض من اليهود انهم حرفوا المعنى لا اللفظ ، لان مثل هذا التحريف يستحيل ان يسلم به العقل كما ادرك ذلك الرازي فنفى ادعاء المفسرين السابقين اذ لا يحتمل تغيير اللفظ « لان الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ » .

١٢١) الغزالي ، الدرة الفاخرة ، ٧٦-٧٧ .

الفهرس

صفحة

صفحة

اني مدين في انجاز هذه الطبعة الثانية لهمّة الاب اغناطيوس عبده خليفه ، مدير مجلة « المشرق » ، الذي تكرّم فراجع مخطوطتي واشرف على الطبع واصلح اخطاءه ، بعد ان ذلّل الصعوبات المالية ، وذلك منه حرصاً على الهدف الذي نسعى الى تحقيقه منذ زمن في تعريف النصارى بالمسلمين ونشر العقيدة المسيحية بالعربيه ليعرفها المسلمون ، فنتآخى على سبيل المعرفة والحق لا على سبيل الجهل المشترك والسياسات الباطلة .

فلا بدّ لي اذاً من الاقرار بجميله ، اذ ان هذه الطبعة لم تكن لتحلم برؤيـــة النور لولاه .

طُبع باذن الرؤساء

تمت الطباعة على مطابع كاليغراف ــ بيروت

على قدمي
سيدة الهجرة والنخلة والصحراء،
«أمّ هذا الروح الطيّب التي اختارها الله لكلمته
وطهّر جوفها لروحه وسوّدها على إمائه»،
أضع هذه الصفحات التي خطّها اخوان لي من
ذلك الشرق العجيب الحبيب،
نذراً عليّ، لديها، في محبتهم وخدمتهم
حتى الموت

الاب ميشال الحايك شاعر ولاهوتي ومؤرخ
له مؤلفات معروفة بالعربية والفرنسية.





ISBN: 2-84289-490-1